عبد الكريم العلاف

بغداد القديمة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية من عهد
الوالي مدحت باشا

من سنة ١٢٨٦ إلى سنة ١٣٣٥ هـ
من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٩١٧ م

كتب التصدير له سيادة الأستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي



طبع على نفقة السيد شمس الدين الحيدري
صاحب المكتبة الأهلية ببغداد

مطبعة المعارف – بغداد

١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م

كتب التصدير له

سيادة الأستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي

تصدير

بقلم سيادة الأستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي

بين مظاهر الحياة من شتى نواحيها الاجتماعية والعمرانية والثقافية والسياسية في الجيل الماضي وما يماثلها في الجيل الحاضر فروق بعيدة فنحن لا نعيش اليوم كما عاش اهل جيل أو اجيال مضت لشأنها وكثير منا لا يعرف كيف كان يعيش الناس في تلك الفترة الماضية ولا يعلمون ما هي عاداتهم في مطاعمهم ومشاربهم أو في ملابسهم ومساكنهم أو في مراتبهم ولا يعرفون كذلك ما هي وسائلهم في الثقافة . وما هي صناعاتهم أو حرفهم ومهنهم . وما هي مكانتهم التي يتبوؤنها في سلّم المدنية والحضارة إلى غير ذلك من الاحوال والاوضاع .

أجل ما أكثر من يجهل منا اوضاع بلادنا في جيل مضى ومن امتع البحوث التاريخية واكثرها فائدة واحسنها عائدة أن يتصدى كاتب أو اديب من الذين عاصروا اهل تلك الفترة واخذوا عن اهلها أو تحدثوا عنهم . وراقبوا سير التطور والتجدد الطارىء على مظاهر الحياة المذكورة .

لقد احسن الاديب المتفنن السيد عبد الكريم العلاف صنعاً في وضع هذا السفر الذي تضمن نبذة صالحة من اخبار تلك الفترة الماضية ووصف اوضاع بغداد ، واحوالها والألمام ببعض خططها وهندستها المعمارية على ما كانت عليه في ذلك الحين . هذا إلى التعريف بطبقة من رجالها على اختلاف مناحيهم سواءاً أكانوا من الحكام أو الوجهاء أم من العلماء والشعراء والادباء والمقرئين المجودين وحفظة الكتاب الكريم . ولم يغفل التعريف ببعض الدعار ومخيفي السبل وقاطعي الطرق على وجه لا يخلو من الطرافة . ومرد كثرة عدد

هؤلاء الدعار ومخيفي السبل في رأي هذا الاديب إلى مظالم الحكام وإلى فساد السياسة وضياع العدالة وهو يدعو إلى التزام العفو والصفح عن العقوبة لأن فرض العقوبة الشديدة في كثير من الاحيان يدل على الضعف أكثر مما يدل على القوة

عنى المؤلف مضافاً إلى ذلك بذكر جملة من الاندية والمجالس الادبية حتى مجالس الانس والطرب . ولم ينوه بهذا الضرب من المجالس على علاتها بل استهجن ما تشتمل عليه أحياناً من المجون والخلاعة والخروج عن الآداب . وندد بذلك ودعى إلى الحشمة والمحافظة على الاتزان .

وللاطلاع على رأي المؤلف الاديب في هذا الشأن يحسن قراءة الفصول التي كتبها عن الملاهي في بغداد .

لذلك يسرنا تقديم هذه الطرف التاريخية العراقية إلى القراء ولا شك أنهم سيرون فيها جهداً لطيفاً لمؤلف الكتاب والله ولي التوفيق

١٩٦٠/٧/٣٠ محمد رضا الشبيبي

الإهداء

إلى الذين لا يعرفون شيئاً عن ذلك العهد أقدم كتابي هذا
ليحيطوا به علماً

عبد الكريم العلاف



المؤلف في عهد الدراسة العلمية



المؤلف في العهد الأخير

أقول إلى المصور حين وافى	ليأخذ في ضياء الشمس رسمي
سأدفن بعد رسمك لي بقبر	ولا يبقى سوى رسمي وإسمي

العلاف

تقريض وتاريخ

إن هذا خير سفر	فيه آثار جسيمه
أجهد العلاف فيه	نفسه وهي عظيمه
ناشراً للناس أرخ	وصف بغداد القديمه

١٧٦ / ١٠١١ / ١٩٠

سنة ١٣٧٧ هـ

الشيخ علي البازي

المقدمة

بقلم المرحوم الاستاذ السيد ابراهيم الواعظ

الأستاذ الأديب عبد الكريم العلاف أحد اولئك الكثيرين الذين تخرجوا على يد استاذهم الكبير والعالم المتطلع والفقيه الممتاز والشاعر الأريب الشيخ عبدالوهاب النائب عليه رحمة الله ورضوانه فان هذه المدرسة وهي مدرسة جامع الفضل قد أسست على العلم والتقوى وكان علمها المفرد وعيلمها الفذ الأستاذ النائب مستمراً على التدريس فيها ليلاً ونهاراً مدة تجاوزت الخمسين عاماً تخرج منها مجموعة قيمة من رجالات العلم والأدب ببغداد فمن أديب لا يجارى وأريب لا يبارى وشاعر ملهم وكاتب بليغ وخطيب مصقع وفقيه متضلع ومفسر محقق ومحدث صادق ومدرس حاذق وقد اصبح كثير من المتخرجين من هذه المدرسة ذوي مناصب مرموقة وشهرة ذائعة في الأوساط العراقية وقد كان للأستاذ العلاف صفة خاصة من المتخرجين وله ولوع في الموسيقى وتحبير المذكرات عن الحوادث المختلفة فمن جملة ما الف وكتب كتابه الفريد في بابه (الطرب عند العرب) طبع هذا الكتاب واصبح مرجعاً مهماً للموسيقى العراقيـة والموسيقيين وكتاب (المواهب في ذكرى عبدالوهاب النائب) والذي يدلنا على خلق سام ووفاء لأستاذه النائب رحمه الله وأخيراً لم يرد أن يختم حياته بدون أن يخلدها تخليداً يبقى على كر العصور ومر الدهور فقد وضع هذا الكتاب الذي اقدمه اليوم الى قراء العربية عامة والعراقية خاصة فقد جمع في فصوله وبين سطوره حوادث لم تكتب وقضايا لم تسجل وصوراً عن الحالة الاجتماعية والماشية في بغداد خاصة والعراق عامة تعيد إلى الكهول والشيوخ ذكريات قيمة مرت عليهم مرور صور السينما وكأنها لم تقع

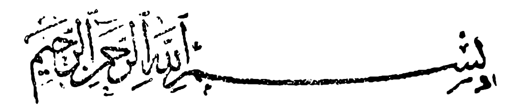
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وتوضح للشباب العراقي ما كانت عليه بلاده في السنين الماضية من حالة اجتماعية ومعاشية وغيرها من سجلات الحياة . وإني أقدم هذا الكتاب القيم إلى القراء الكرام أكبر في المؤلف الفاضل هذه الهمة القعساء والجهد العظيم الذي صرفه في جمع ما جمع بين صحائف هذا الكتاب رغم المرض الذي لم يزل يلازمه وقد عطل يده اليمنى التي كانت ناصره وعضده في التأليف والكتابة سائلاً المولى تعالى أن يشفيه مما هو فيه ويوفقه لاخراج أمثال هذه النوادر اللطيفة والمواضيع الظريفة إنه سميع مجيب .

في ١١ رجب الفرد ١٣٧٧
١ شباط ١٩٥٨

السيد ابراهيم الواعظ

تمهيد



الحمد لله الملك المتعال الدائم بلا زوال والصلاة والسلام على سيدنا وملاذنا محمد وعلى آله وصحبه اولي الرفعة والـكمال .

وبعد لقد عني المؤرخون بتدوين أحوال سكان بغداد منذ أول تشييدها واتخاذها عاصمة وعنوا بتدوين تطوراتها الاجتماعيـــة والسياسية والعمرانية والجغرافية ولذلك رأينا المـكتبة العربية زاخرة بالمجلدات الضخمة التي حفلت بأخبار بغداد وما يتصل بأحوال أهلها وولاتها وحكامها وعلمائها وامتلأت بطون الـكتب بأحاديث شتى عن تصوير وقائعها وكانت الأجيال تتناقلها حتى اليوم وتستزيد منها غير ان فترة قصيرة من أيام العهد العثماني في بغداد لم تدون عنها الاخبار بما تنقع الغلة وتشفي العلة وأخص تلك الايام والعهد مايبدأ من سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م حيث كان مدحت باشا المصلح الشهير والياً عليها فلا تجد إلا نتفاً قليلة من أوضاع سكان وأحوال هذه المدينة التاريخية الخالدة وما فيها من ثقافة وعادات وتقاليد وأعمال وأزياء ومدارس ومعاهد وعمارات وطرق وطوائف واجتماعات ومجالس ومقاهٍ ونوادر ومتاجر ومصانع وأسواق وخشية أن تظل هذه الفترة مجهولة لدى الأجيال القادمة انتهزت الفرصة لجمع ما تفرق من أخبارها والاستماع إلى روايات المعمرين من الجيل الماضي وأحاديث ممن يروون عنهم طبقة عن طبقة كما رجعت إلى الصحف التي كانت تنشر في تلك الفترة والرسائل المتفرقة المخطوطة والمطبوعة وجمعتها إلى بعضها وصنفتها وحصلت على تصاوير شمسية (فوتغراف) للتعريف ببعض تلك الأحوال واولئك

الرجال لعلي أكون قد خدمت الناحية التاريخية للباحثين والمتطلعين إلى معرفة شيء من هذه الحقيقة في تاريخ بغداد حتى لا تنقطع سلسلتها وتنطوي صفحات كتابها ولعلي أيضاً قــد بذلت جهداً في هذا السبيل يحقق الغاية المتوخاة ويلقي ضوءاً في ظلام التاريخ الغريب والله من وراء القصد .

المؤلف

تاريخ بناء مدينة بغداد

من الأسماء التي اطلقت على مدينة بغـــداد اسم بغداذ وبغدان ومغدان ويغذاد والمنصورية نسبة لمؤسسها الخليفـة المنصور واشتهرت كذلك بدار السلام والزوراء ومما جاء في تاريخ الأمم والملوك للطبري أن مدينة بغداد حين أمر المنصور ببنائها أراد أن ينظر اليها عياناً فأمر أن تخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليها ينظر إلى ما خط من خنادقها ثم أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب قطن ويصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهمها وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم ثم ابتديء في عملها ، وقيل إن أبا جعفر لما أمر بحفر الخنــدق وانشاء البناء واحكام الأساس أمر أن يجعل عرض السور في أسفله خمسين ذراعاً وقدر أعلاه بعشرين ذراعاً وبنيت المدينة مدورة وذلك عام ١٤٥ هـ وجعل أبوابها أربعة على تدبير العساكر في الحروب وبنى قصره في وسطها والمسجد (الجامع) حول القصر ، وان الاستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة و (الروزكاري) أي العامل اليومي بحبتين الى ثلاث حبـّات وقد عمل في البناء نيف ومئة ألف عامل وتوسط قصر الخليفة (باب الذهب) أو (القبـة الخضراء) ولم يلبث المنصور إن بنى قصر الخلد ، والواقع أن المنصور هو باني القسمين الغربي والشرقي من بغداد على كلتي الضفتين وتوالى خلفاء العباسيين بعد ذلك وكان همهم أن يعلوا شأن بغداد ويرفعوا قدرها ويجعلوا منها قبلة العلماء ومحطاً للناظرين

ولعل أصدق وصف لما بلغته بغداد من شأو في ذلك الزمن ما جاء في كتاب(الأعلاق النفيسة) لابن رسته إذ يقول انها وسط الدنيا وسرة الارض والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة سكنها أصناف الناس من جميع البلدان وهي مدينة بني هاشم ودار

ملكهم ومحل سلطانهم وباعتدال هوائها وعذوبة مائها حسنت أخلاق أهلها ونظرت وجوههم وتفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والنظر والتمييز .

وذكر الجاحظ في بغداد على لسان بعض الجند انها الدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى معناها وجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وفتا كها لفتا كها الخ ..

ووصف ابن خلكان وابن الأثير لشارع أبي جعفر انه أحسن ما يكون وأحفله من الشوارع واتساعه بلغ آنذاك أربعين ذراعاً طوله من دار الخلافة إلى محلة باب الشام على استقامة واحدة ليس في الامكان أصح منها .

وجاء في مقدمة ابن خلدون وصف لبغداد في ذلك العصر ولبغداد جسران معقودان والناس يعبرونها ليلاً ونهاراً رجالاً ونساءاً فلهم من ذلك نزهة متصلة وببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس إلا انها خربت ، وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل لرائيه انه رخام أسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع ابداً به ويصير في جوانبها كالصلصال وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلى به نصف حائطها مما يلي الارض والنصف الأعلى مطلى بالجص الأبيض الناصع فالضدان بها مجتمعان مقابل حسنها ، وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان أحدهما يجري بالماء الحار والآخر بالماء البارد .

هذا قليل من كثير مما جاء عن بغداد في كتب التأريخ وقد أرخت عام بناء مدينة بغداد بقولي :

بغــداد مشرقة وفي اشراقهـا عم الصفــاء
فيها الخلافــة والثقا فــة والضيافة والسخاء

قد شادها المنصور لمّا	ضاق بالوطن الفضاء
وسعى لنهضتها فلم	يوقفه كدٌّ أو عناء
فالكرخ يزهو والرصا	فة منعش فيها الهواء
غنت بمربعها القيا	ن وقد سما فيها الغناء
وبنى الحصون لكي تؤ	من في المقاصير النساء
مذ راق صرح بنائها	تاريخها نُجِز البناء
سنة ١٤٥ هـ	٦٠ ٨٥



« سيرة الولاة العثمانيين واصلاحات »

مدحت باشا

انتزع العثمانيون بغداد من أيدي الفرس الذين حكموها من سنة ٩١٤ هـ يقابلها سنة ١٥٣٥ م فظلت بغداد تحت حكمهم ٤٠٠ سنة إلى احتلالها من قبل الجيش البريطاني وقد تولى ولاة كثيرون وهم في الغالب من ذوي العقليات الصغيرة الضيقة ولم يكونوا من ذوي النزعة الاصلاحية فتركوا بغداد في غمرة من الفقر والجهل والمرض والحالة الاقتصادية المتدهورة وكان الشعب يعاني ألواناً من الاضطهاد والاستبداد والتعسف ولم يكن هم الولاة إلا جباية الضرائب وجمعها وإرسالها الى عاصمة السلطنة العثمانية استانبول ، ولكن بعض الولاة وهم أفراد قلائل يبذلون جهوداً في نشر العلم وتكريم رجاله كما ان أغلبية الشعب كانوا كالبقرة يستدر لبنها ويؤكل لحمها لا إرادة لها في شئون السياسة ولا سلطان لهم فى حكم أنفسهم ولا يرتفع لهم صوت إلا فى النادر وقد كان مصير من يدعو إلى الاصلاح والتحرر الاضطهاد والسجن والنفي فكانت طبقات هذا الشعب من علماء وحكام وتجار وزراع وملاكين وفلاحين وعمال مسخرين جميعاً لخدمة السلطة والعمل على تثبيت قدمها وليكن الشعب بعد ذلك فى ظلام دامس ونوم عميق وسبات مطبق حتى ظهور الوالي مدحت باشا في عهد السلطان عبدالعزيز بن السلطان عبدالمجيد .

وفي ١٨ من شهر المحرم سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها سنة ١٨٦٩ م أستقبلت بغداد طلائع عهد جديد أعقبه تباشير نهضة شاملة انتشرت بسرعة فى أطراف العراق .



« السلطان عبدالعزيز »

مشاريع مدحت باشا

قام مدحت باشا في أول يوم تسنمه منصة الحكم بحملة اصلاحية واسعة النطاق مستنيراً بعقله الراجح وثقافته العالية ، وبذر بذور صالحة في تربة بغداد البكر فقامت فى غضون ثلاث سنوات من حكمه مشاريع عمرانية وثقافية دلت على عظمته وحسن ادارته وسنذكر هذه المشاريع واحدة بعد الأخرى

جريدة الزوراء

كان لمدحت باشا مشاريع لها مكانتها تستحق الذكر وقد أراد أن يدون ما يقوم به من المشاريع النافعة والأعمال الخالدة فأصدر جريدة باسم الزوراء في وقت كان العراق لا يعرف عن الصحافة شيئاً وقد صدر العدد الأول منها في بغداد نهار الثلاثاء ٥ ربيع الاول سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م وكانت

تنشر في اللغتين التركية والعربية واستمرت تصدر طول أيامه وبعده حتى احتلال البريطانيين بغداد سنة ١٣٣٥ هـ يقابلها سنة ١٩١٧ م .

طرق المواصلات :

وعلى ضوء جولة مدحت باشا العمرانية شرع في تبليط سوق (البلانجيه) ويسمى (بولنجية) وهو اليوم شارع المأمون وجرى تبليطه تبليطاً بارزاً

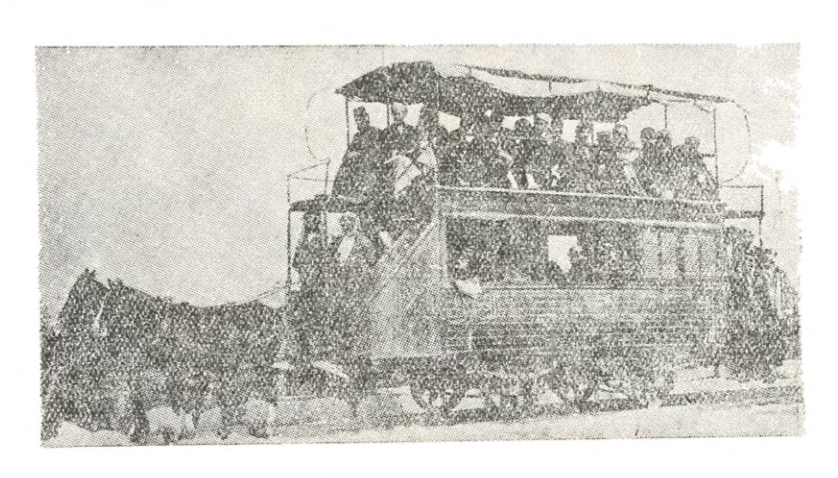


« الوالي مدحت باشا »

بجلاميد من الصخر وفي ذلك الوقت اطلق عليه (عقد الصخر) وقد أشعر مدحت باشا أن وسائط النقل لا زالت بدائية لا تكاد تسد حاجات الذين كانوا يتطلعون إلى ما يخف عنهم عناء السير والانتقال بواسطة ركوب الحيوانات من بغداد للوصول إلى الأمكنة النائية أو زيارة المراقد المقدسة في ضواحيها كبلدة الكاظمية التي دفن فيها الامامان موسى الكاظم

ومحمد الجواد عليهما السلام فبادر مدحت باشا الى مشروع (الترامواي) بين بغداد والكاظمية وجعله شركة مساهمة اشترك فيها جماعة من سكان بغداد والكاظمية ومدت سكة الحديد التي تسير عليها عربات (الترامواي) التي تجرها الخيل .

ونظمت الشركة ادارة للنقل وظلت سائرة بانتظام حتى سنة ١٩٤١م حيث تقرر تصفية أعمال الشركة وانتهى هذا المشروع بعد أن استعيض عنه بالسيارات الكبيرة والصغيرة التي بدأت تنقل الركاب من الزائرين وغيرهم حتى استحدثت مصلحة نقل الركاب في العاصمة واستعملت السيارات الضخمة



عربة من عربات الترامواي

المريحة لتسهيل نقل الركاب في شوارع بغداد وضواحيها البعيدة وتخليص الناس من حرارة القيظ وقر الشتاء في الليل والنهار .

النقل النهري :

تقع بغداد في قلب العراق وفي ملتقى الطرق النهرية نظراً الى مركزها التجاري فان البضائع المستوردة إلى ايران من طريق الموصل والبصرة لابد أن تدخر في المستودعات ببغداد وخاناتها وكانت وسائط النقل التي تنقل الأموال بين بغداد والبصرة مختصرة في السفن الشراعية .

وإن الذهاب والاياب يستغرق وقتاً طويلاً إذ لا تقل المدة عن شهر كامل وان على الذي يريد السفر إلى البصرة يعد العدة كاملة من الزاد والغذاء لهذه الرحلة ناهيك مشقة السفر لاسيما إذا كان الهواء معاكساً لمجرى النهر فيضطر الملاحون إلى سحب السفينة بواسطة الحبال التي تشد بأعلى ساريتها ورأس مقدمتها وكثيراً ما كنت أسمع الملاحين وهم يجرون السفينة يرددون كلمة (يا موليسة) ولم أدر ما معنى هذه الكلمة وبعد التحري الدقيق عنها علمت انها



سفينة شراعية

مجرد دعاء إلى الله تعالى وهو يا مولاي سهّل ولكثرة ترداد هذه الكلمة خففت وصارت (يا موليسة) ولقد وقفت على قصيدة بمجموعة خطية يصف ناظمها اولئك الملاحون الذين يجرون السفينة وهي .

رأيتهم في غروب كئيب يعز على شمسهم أن تغيب

حدتهم باشلاء ضوء ذبيح يعصفر أشباحهم باللهيب

جبابرة عوذوا للهواء وبشو رقاهم لريح المغيب

يلوحون صفاً وئيد الحراك   كأنهموا صلبوا في الكثيب
يسيرون سير الهوان المريب   ويمشون مشي الزمان الكئيب
فتحسبهم اوغلوا في الخيال   وعيناك تأخذهم من قريب
على صدرهم من غضون الكفاح   أفاعي حبال تلف الجنوب
تجاذبهم خطوهم للوراء   فهم من عناء بقايا طروب
سواعدهم موثقات الزنود   ولكنها عدة للهبوب
تشق الفضاء بأظفارها   فتنشق أجوازه أو تذوب
وأجسادهم حانيات لها   ركوع المحمل ثقل الذنوب
كأنهم في سفوح الزمان   شياطين تحدو المساء الرهيب
سقاهم سليمان من سره   فكادوا يمسون سمع الغيوب
أقاموا جنازاً يئن الفضاء   بأصدائه وينوح الغروب
يكاد ليغري ويمشي النخيل   وراءهم وتذوب السهوب
شدوا واستجاروا وطاب النداء   ففاحت خطاهم وشقوا الجيوب
ومروا حفاة عراة لهم   شهيق الثكالى وزفر الغريب
على الأرض خرسٌ وإن همهموا   فهذى صلاة تذيب القلوب
يجرون أيامهم خلفهم   وذكرى شقاوتهم والكروب
عبيد الرياح كلانا رقيق   فغنوا وسلوا عبيد الخطوب

وكذلك كان السفر بين الموصل وبغداد مقتصراً على طريق النهر (بالكلاك) جمع كلك ويقومون الطراحون جمع طراح بتسيير الكلك بواسطة المجاديف ، كاخوانهم ملاحي السفن الشراعية . وفي سنة ١٢٧٢ هـ يقابلها ١٨٥٥ م اشترت الحكومة باخرتين لنقل الأموال التجارية والركاب من الأهلين بين بغداد والبصرة .

وفي أيام الوالي مدحت باشا سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها ١٨٦٩ م ازداد عدد البواخرحتى بلغ ثماني بواخر وعهدت ادارتها إلى دائرة المراكب وسميت ادارة



الـكلك في الشط



باخرة عثمانية

(النهرية) ، وكان محل هذه الادارة في جناح من اجنحة المدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة ودامت المراكب تسير بين بغداد والبصرة إلى أن حدثت قضية بيع الادارة النهرية لشركة (لنج) الانكليزية وهذه القضية من القضايا الهامة وقد أصبحت موضوع حديث كل اثنين في بغداد الأمر الذي يخشى على بيعها خروج نهري دجلة والفرات من سيادة الدولة العثمانية فقاموا أهل بغداد وقعدوا لهذا الحادث المريب لأن وسائط النقل ستكون منحصرة في أيدي الشركة تتحكم بها كيفما تشاء فاحتج الأهلون على هـذا الأمر الذي يضر اضراراً كلياً بالتجارة وفي مقدمتهم الوجيه عبد القادر باشا الخضيري ووجهة احتجاجهم أن لا يرجح الأجانب على الأهلين فكتبت برقيات عديدة إلى استانبول وقد تداولها المجلس وطلب نواب العراق أن ينظر في هذا الطلب بوجه العدل فرد طلبهم ووردت برقية كان فحواها لم تكن رغبة الحكومة أن تبيعها وإنما غرضها توحيد المساعي بصورة شركة لا غير وأخيراً بيعت اغلب الحصص واخذت تسلمها رويداً رويداً

وأما وسائط النقل بين جانب الرصافة والكرخ ببغداد فكان عبارة عن (القفف) جمع قفة و (البلام) جمع بلم بالتحريك وهو القارب وكان استعمال القفف شائعاً أكثر من القوارب البلام .

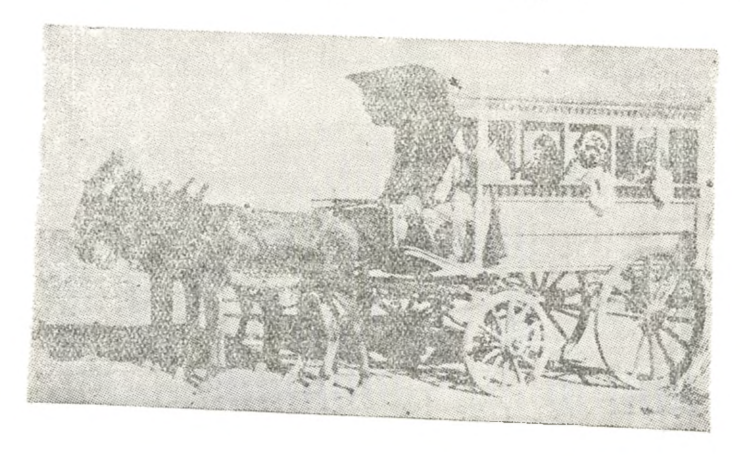
النقل البرى

أما النقل البري فلا يختلف عن النقل النهري فكلاهما مصدر الاتعاب وكانت القوافل البرية على وضعها البدائي تتألف من البغال والحمير والخيـل والأبل ويقال للجموع السائرة منها (كروان) أو قافلة وعرب البدو يسمونه ضمن والكروان المؤلف من مجموعة بغال وحمير وخيل وفي ضمنه (التخت روان) و (الكجاوة) و (المحمل) ويتألف (التخت روان) من عريش خشبي كالغرفة من مواد خشبية مجهزة بفراش وأثاث يحمل من الأمام والخلف



قافلة جمال

و (الـكجاوة) عبارة عن هودج مستور بالقماش يقي راكبه من حرارة الشمس وهطول الامطار ويشد أحدهما على بعير أو بغل من جهة اليمين واليسار و (المحمل) على غرار الهودج إلا أنه غير مستور ، وكان السفر بين بغداد وكربلاء والحلة وبعقوبة بواسطة عربات خشبية تجرها خيول أو بغال تستغرق مدة سفرها اثنى عشر ساعة أو أكثر من بغداد أو الحلة أو كربلاء



عربة خشبية

وكان وجهاء بغداد وأغنياؤها يعنون بتربية الخيول الأصيلة يمتطونها في

أسفارهم إلى الأرياف بين المدن فى حالة أنسهم ولهوهم وقد اتخذ لها اصطبلات خاصة يقوم بادارتها احذق السائسين المشهورين بتربية الخيول والطبقة المتوسطة تمتطي حميراً من نوع الحساويات نسبة إلى مدينة الحسا وعندما تذهب إلى الميدان بالاسم المعروف الآن بالقرب من جامع الميدان تشاهد اصحاب الحمير مهيئين حميرهم للكراء

المتنزه العام

من أعمال الوالي مدحت باشا الطيبة اتخاذه متنزهاً عاما في حديقة البلدية وكانت هذه الحديقة بستاناً لنجيب باشا وتسمى (النجيبية) وقد اطلق عليها (المجيدية) وهي كائنة في عبر الشاطي الأيسر من دجلة في محل بناية المستشفى الحالي ولقد اعتنى بها اعتناءاً تاماً وأصبحت متنزهاً لأهل بغداد يتمتعون بنسيمه وهوائه وأزهاره النضرة فى حين لم يكونوا يعرفون قبل ذلك شيئاً عن المنتزهات وإنما يقضون أيام عطلهم وأعيادهم في البساتين خارج بغداد أ على ساحل دجلة .

مصنع الغزل والنسيج

لقد ادرك الوالي مدحت باشا ان من عومل زيادة الرغبة في الخدمة العسكرية الترفيه عن الجنود وأول ما اعتنى فى ملابسهم وتهيئة المقادير الكافية من الأقمشة والنسيج لخياطتها فاستورد الآلات الحديثة (مكائن) للغزل والنسيج بدلاً من الحياكة اليدوية (الجومة) فأسس معملاً ينسج أقمشة ملابس الجنود ويسمى هذا المعمل (العباخانة) وفي محله اليوم مصلحة ادارة التنوير والكهرباء لمدينة بغداد

* * *

« المعاهد العلمية »

الكتاتيب

لم يكن للمعاهد العلمية شأن يذكر في ذلك العهد ولا يتعدى الكتاتيب لتعليم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة وهـــذه أيضاً قليلة وكانت دراستها مقتصرة على القرآن الكريم ومبادئ الدين الاسلامي فى العبادات وعلم الخط ، وكان الناس يتهافتون بارسال أولادهم اليها وأذكر جيداً كيف كنا نكتب الخط ويسمى (مشق) فى قطعة من الصفيح (التنك) وبعد أن يطلع (الملا) على الخط ويكسب رضاءه نغسله بالماء ونعود نكتب غيره وكذلك اذكر كيف كنا نطرح ارضاً وتربط اقدامنا فى (الفلقة) وينهال عليها (الملا) بسوط (خيزرانة) والسعيد الذي يتقن درسه ويلازم الهدوء والسكينة اينجو من عذاب (الفلقة) وآلام السوط ، وهذه الكتاتيب ظهرت قبل ظهور المدارس حيث قامت الحكومة بتشييد مدارس ذات نظام جديد ومنها مدرسة الصنائع.

مدرسة الصنائع

في سنة ١٢٨٦ هـ يقـــابلها سنة ١٨٦٩ م أيام الوالي مدحت باشا اسست مدرسة الصنائع لأيتام المسلمين الذين لا معيل لهم يتعلمون صناعـــة النجارة والحدادة والنسيج وغيرها وعين لها أساتذة وظلت هذه المدرسة قائمـــة حتى احتلال بغداد سنة ١٩١٧ م ومحل بنايتها اليوم اتخذ مقراً للبرلمان وهي في محلة الميدان تطل على نهر دجلة .

المدرسة الرشدية

اسست المدرسة الرشدية سنة ١٢٨٦ هـ يقابلهـا سنة ١٨٦٩ م أيام الوالي مدحت باشا وبقيت حتى اعلان الدستور (المشروطية) سنة ١٣٢٤ هـ يقابلها

سنة ١٩٠٨ م ثم صارت بنايتها كلية للحقوق ولما انهدمت شيد بمحلها متصرفية لواء بغداد الآن .

المدرسة الرشدية العسكرية

انشئت المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٢٩٦ هـ يقابلها سنة ١٨٧٩ م أيام الوالي عبد الرحمن باشا ويتخرج طلاب هذه المدرسة للدخول في مدرسة الاعدادية العسكرية ودامت إلى احتلال الجيش البريطاني بغداد وتقع في محلة الميدان أي محل المدرسة الاعدادية المركزية الآن أمام دائرة البريد ومقابل النادي العسكري

المدرسة الاعدادية العسكرية

تم بناء المدرسة الاعدادية العسكرية سنة ١٢٩٦ هـ يقابلها سنة ١٨٧٩ م لتخرج الطلاب وإرسالهم إلى الكلية العسكرية فى استانبول لاكمال دراستهم ليتخرجوا ضباطاً عسكريين وقد ظلت مستمرة حتى الاحتلال البريطاني وقد اتخذت بنايتها مقراً للمحاكم المدنية والجزائية الآن .

المدرسة الاعدادية الملكية

تم بناء المدرسة الاعدادية الملكية سنة ١٣٠٨ هـ يقابلها سنة ١٨٩٠ م أيام الوالي حسين جلال بك وفي هذه السنة بدل إسمها وصارت تعرف (بمكتب السلطاني) .

المدرسة الرشدية بجانب الكرخ

تم بناء المدرسة الرشدية فى جانب الكرخ وافتتحت فى ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٦ هـ يقابلها سنة ١٨٧٩ م أيام الوالي عبدالرحمن باشا



المدرسة الرشدية في الكرخ

وقد جرى على هذه المدرسة تطورات عديدة وبالأخير جعلت لتخرج ضباط الصف عسكريين واطلق عليها باللغة التركية عبارة (كوجك ضابطان مكتبي).

المدرسة الحميدية

فى أيام الوالي سري باشا سنة ١٣٠٧ هـ يقابلها سنة ١٨٨٩ م كانت محلة الفضل فى طليعة محلات بغداد وكان أبناؤها محرومين من ارتشاف العلم فتقدم شيخ علماء زمانه العلامة المرحوم عبدالوهاب النائب وشيد مدرسة فيها من خالص ماله وبعد أن أتم تعميرها وهبها إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فتقبلتها منه قبولاً حسناً وقامت بتأثيثها وتعيين مدرسين لها واطلق عليها إسم (حميدية مكتبي) لأنها شيدت فى عهد السلطان عبدالحميد وأول مدير عين لها المرحوم الشيخ عبد المحسن الطائي والد الاستاذ الحاج كمال الدين الطائي مدرس جامع الحيدرخانة حالياً وهي باقية إلى الآن واطلق عليها (مدرسة الفضل الابتدائية.)

دار المعلمين

في أيام الوالي نامق باشا الصغير اسست دار المعلمين وكان عدد الطلاب فيها ٤٠ طالباً ومدة الدراسة فيها لا تزيد على السنتين وكان أول مدير لها عبدالله افندي وحسب ما اعتقد هو المرحوم عبدالله افندي الخطيب الأسبق لجامع المرادية بالميدان وبعده المرحوم الشيخ نوري الشيرواني وبقي فيها مدة وعين لها بالوكالة الاستاذ حسن رضا خريج كلية الحقوق بدرجة على الأعلى ثم عين لها عادل بك وهو تركي الأصل وقد الحقت بهذه الدار مدرسة ابتدائية للتطبيق وهي مدرسة تطبيقات دار المعلمين وكانت تشغل البناية الواقعة قبـــالة نادي الضباط اليوم . أما دار المعلمين نفسها فقد كانت تشغل مكان بناية متصرفية لواء بغداد الحالية ثم انتقلت إلى بناية المدرسة الرشدية فى الـكرخ وظلت مستمرة فى الدراسة حتى توقفت عند إعلان الحرب العالمية الأولى .

مدرسة ابتدائية :

عمرت مدرسة ابتدائية سنة ١٣١٢هـ يقابلها سنة ١٨٩٤ م أيام الوالي الحاج حسن باشا وهذه المدرسة فى محلة الميدان وهي ملاصقة للمدرسة الرشدية العسكرية تجاه النادي العسكري اليوم على ساحل دجلة والتي أصبحت تطبيقات دار المعلمين .

مدرسة الجعفرية :

لم يكن لأبناء الطائفة الجعفرية غير مدرسة دينية واحدة يرتادها الطلاب لارتشاف مناهل العلم أسسها المرحوم الشيخ شـكر في أواخر القرن التاسع عشر في دواخانة السيد حسين السيد حيدر ببغداد وبعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م والمنادات بالحرية والمساواة ونهوض الحكومة فى فتح المدارس المختلفة شعر أبناء الجعفرية بضرورة وجود مدرسة خاصة بهم

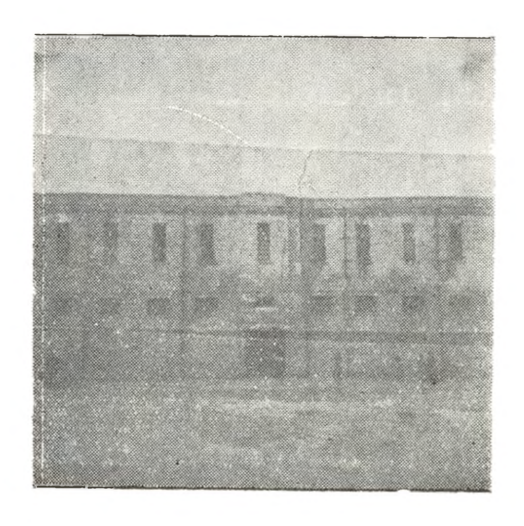
فأخذ يعمل بها جماعة من العلماء والوجهاء منهم المرحوم السيد عبد الكريم الحيدري والمرحوم الشيخ شكر والمرحوم الحاج سلمان أبو التمن فعقدوا اجتماعاً لهذا الغرض وانتخبت هيئة تتألف من ذوات لهم مكانة سامية وبعد المداولات حرروا طلباً إلى الوالي نجم الدين منلا يطلبون به الاجازة فى فتح المدرسة وبعد موافقة الوالي على منح الاجازة فتحت فى ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها ١٩٠٩ م واطلق عليها إسم (المكتب الترقي الجعفري) وهو الاسم الذي أطلقه عليها مؤسسها المرحوم الشيخ شكر وأصبح مديراً لها واتخذ مقراً لها دار مجاورة لمسجد الحاج داود أبو التمن وفي نهاية الحرب الأولى سنة ١٩١٨ م فرغ من إنشاء بناية لها فنقلت اليها وغيرت إسمها وأصبحت (المدرسة الجعفرية) وهي إلى الآن تؤدي رسالتها العلمية بكل جد واخلاص حتى أصبحت تضاهي المدارس العالية ببغداد .

مدرسة تحفة المأمورين :

في سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا أسست مدرسة تحفة المأمورين وقد اجريت مراسيم افتتاحها برعاية جمال باشا وحضر المراسيم القائد سليمان عسكري بك وتقع هذه المدرسة فى محلة الميدان وعلق على بابها لوحة كتب عليها باللغة التركية (تحفه مامورين مكتبي) .

مدرسة ابتدائية ثانية :

في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها سنة ١٩١٤ م حضر الوالي جاويد باشا ووكيل مدير المعارف الاستاذ حكمت سليمان وقد تولى منصب رئيس الوزراء سنة ١٩٣٦م لوضع الحجر الأساسي لتشييد مدرسة ابتدائية بالقرب من جامع الخاتون ببغداد وهي الآن مدرسة دار المعلمات الابتدائية .



مدرسة دار المعلمات الابتدائية

ومما يجدر الاشارة اليه أن سبب تأسيس هـــذه المدرسة هو أن أهالي مدينة النجف تبرعوا بمبلغ أربعة آلاف ليرة ذهب عثمانية بمناسبة تنصيب سادن (كليدار) جديد للروضة الحيدرية في عهد الوالي جاويد باشا فرفضها الوالي خوفاً من أن تعتبر رشوة ولما سمع الاستاذ حكمت سليمان وهو يوم ذاك مدير مدرسة الحقوق ووكيل مدير معارف لواء بغداد خف إلى الوالي وفاوضه في قبولها وتقديمها إلى دائرة المعارف لبناء مؤسسات علمية وفي الحال استدعى الوالي الوفد وعرض عليه هذه الفكرة فقدم المبلغ الذي تبرع به وتشكلت هيئة قوامها كل من عبد القادر باشا الخضيري والتاجر عبد الوهاب محمد أغا وتحت إشراف هذه الهيئة بنيت هذه المدرسة كما بنى مخفر في جهة الباب الشرقي (البتاوين) اليوم .

مدرسة الاتحاد والترقي :

أسست هذه المدرسة سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها سنة ١٩١٤م أيام الوالي جاويد باشا من المبلغ الذي تبرع به أهل النجف وقام بتعميرها اوسطه علوان الدوري

وكانت هذه المدرسة قبل تعميرها من أشهر المقاهي في الميدان وتسمى (قهوة البلدية) وقد أرخت عام بنائها بقولي :

بشراكم يا أهـــل بغداد في مدرسة شيدت بفضل الجواد
رائـــدها العلم ونبراسهـا يهدي الورى إلى طريق الرشاد
قولوا لمن يطلب تاريخهـا عنوانها مدرسة الاتحــاد
١٣٣٢ هـ

وبعد نزوح العثمانيين من بغداد انتقلت إلى مدرسة ابتدائية باسم المدرسة (المأمونية) ولهذه المدرسة بذل الأستاذ حكمت سليمان قصارى جهده في توسيعها إذ حصل على قسم من حديقة (القلعة) المجاورة لها وضمه إلى فناء المدرسة حتى أصبحت مدرسة فخمة تضم خيرة الطلاب وأكابر الأساتذة وأخيراً انتقلت اليها مديرية معارف لواء بغداد المركزي ولا زالت تشغلها

مدرسة التهذيب للبنات :

في سنة ١٢٩٣ هـ يقابلها سنة ١٨٧٦ م أسست جمعية الاتحاد الاسرائيلي ببغداد مدرسة للبنات أطلق عليها إسم (مدرسة التهذيب للبنات) وعينت لها مدرسات ودامت إلى أن وقع الاحتلال البريطاني في بغداد .

مدرسة الكاثوليك للكلدان :

في سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م أسست مدرسة الكاثوليك للكلدان وعرفت باسم (مدرسة الاتفاق الكاثوليك الشرقية)

مدرسة لورا خضوري :

شيد أليعازار خضوري مدرسة للاناث الاسرائيليات وكان الانتهاء من تشييدها سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١م وأجريت مراسيم افتتاحها برعاية الوالي جمال باشا وجعلها باسم قرينته لورا خضوري ودامت حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

((المستشفيات))

مستشفى المجيدية :

كانت هذه المستشفى فى أول أمرها بستاناً ويسمى بستان (نجيب باشا) قد اتخذه والي بغداد مدحت باشا متنزهاً عاماً كما ذكرنا واطلق عليه (حديقة البلدية) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م صدر الأمر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لاتخاذ هذا المتنزه مستشفى عسكرياً وكانت المستشفى العسكري يومذاك فى محلة الميدان وهي اليوم نادي الضباط العسكري وبقيت هذه المستشفى وهي تزخر بالمرضى العسكريين إلى آخر العهد العثماني وأهل بغداد يعبرون عنها (بخستخانة المجيدية) وهي اليوم المستشفى الجمهوري يؤمه الأهليين للتداوي به .

مستشفى الغرباء بالكرخ

لقد شعر مدحت باشا ابان النهضة العراقية التي أخذ على عاتقه أن بغداد خالية من مستشفى للغرباء ولما كانت نفقات تشييد هذه المستشفى تتطلب مبالغ جسيمة تنوء بها ميزانية الدولة شحذ همة الأهلين فى بغداد للتبرع لهذا المشروع الانساني فانهالت التبرعات من الأغنياء والوجهاء فشيد بها مستشفى للغرباء بجانب الكرخ فى الحديقة التابعة إلى وقف سليمان باشا وقد أرخ بناءها المرحوم العلامة عبدالوهاب النائب ولا يزال التأريخ بأعلى بنائها وهو :

لله ما أطيب هـذا البنا	في وضعه ليس له من مثيل
على التقى مذ تم أرختـه	أطيبه هذا شفاء العليل

١٢٨٦ هـ

ولم تبق هذه المستشفى على ما هي عليه وإنما أصابها تقلبات كثيرة أدت إلى إهمالها

وفي عهد الوالي قدري باشا سنة ١٢٩٥ هـ يقابلها سنة ١٨٧٨ م قرر تعمير هذه المستشفى وإصلاحها وقبول المرضى فيها وبعد ذلك فى سنة ١٩٢٥ م اتخذت مقراً للمجلس التأسيسي العراقي الذي سن القانون الأساسي وصدق على المعاهدة العراقية البريطانية وبعد ذلك أصبح مقراً لمجلس الأمة مدة غير يسيرة إلى أن أعيدت بصفتها مستشفى الكرخ وانتقل مجلس الأمة إلى بناية مدرسة الصنائع العثمانية التي بناها الوالي مدحت باشا وهي بالقرب من دار الضباط العسكري .

مستشفى الغرباء بجانب الرصافة

في أيام الوالي نامق باشا الصغير شيدت مستشفى ثانيـــة للغرباء فى جانب الرصافة خارج باب المعظم وقد غرست أمامها حديقة غنـاء وفي صباح يوم الخميس ١٥ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ يقابلهـا سنة ١٩٠٠ م أجريت مراسيم افتتاحها ودامت مدة وهي تزخر بالمرضى ثم انقلبت مستشفى للأمراض العقلية (المجانين) والآن فيها بناية السجن المركزي للواء بغداد .

مستشفى مئير الياس :

شيد هذا المستشفى مئير الياهو الياس وتقع خارج باب المعظم مقابل ثكنة الخيالة (الكرنتينة) بالسابق وفي يوم ٩ شعبان سنة ١٣٢٨ هـ يقابلها سنة ١٩١٠ م أجريت مراسيم افتتاحها وقد فتح بابها الوالي ناظم باشا بيده وهذه المستشفى باقية إلى الآن .

الأطباء :

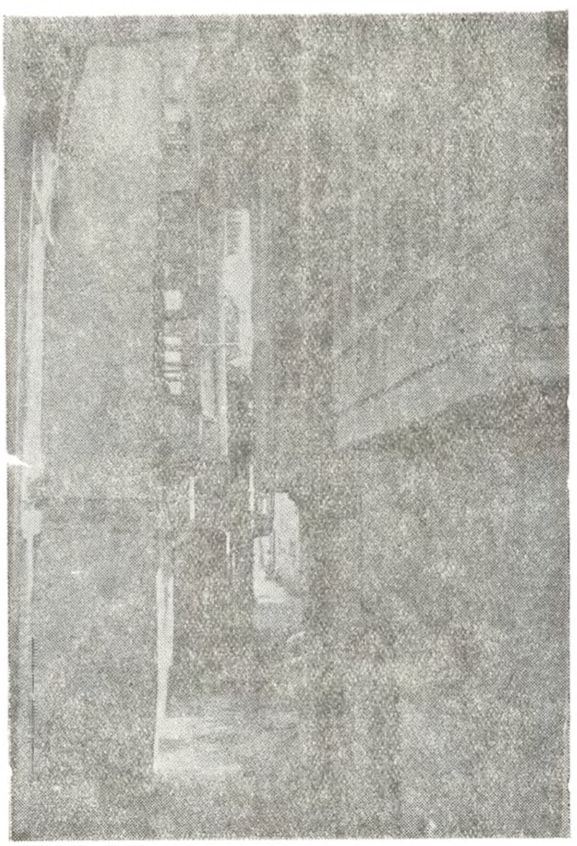
كان الأطباء قليلين بالنسبة إلى سكان بغداد في ذلك العهد وأهل بغداد يسمون الطبيب (دختور) وأشهر الأطباء فى الأربعين سنة التي تسبق عهدنا هذا كل من (مظفر بك) و (نظام الدين بك) و (آدلر) النمساوي

و (أرسطو) و (يانقو) وهـذا الطبيب حينما يذهب لفحص المريض يمتطي (بغلة شهباء) وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها سنة ١٩٠٨ م جاء إلى بغداد عدد من الأطباء عسكريين ومدنيين واشتهر الطبيب (بلال بك) وهذا نطاسي بارع وعلى جانب عظيم من حسن الخلق فضلاً على زهده وتقواه والطبيب (كاني بك) وهو جراح ماهر ولم يكن في بغداد قبل مجيء (كاني بك) جراح عليه المعول غير (عزت بك) وكان في بغداد جراح أهلي يدعى (اوسطه عباس) وامرأة يهودية إسمها فرحة خاتون تمارس طب العيون .

أما طب الأسنان فهو منوط بالحلاقين في بغداد .

((تخطيط بغداد وأحوالها العمرانية))

يروي العارفون من طبقة المعمرين في بغداد عن أسلافهم بعد آخر نكبة نكبت بها بغداد من الغزوات كانت على جانب عظيم من الحضارة والعمران ولكن الوباء (الطاعون) الذي فتك بأهلها وطغيان دجلة (الغرق) في عين الوقت كانا عاملاً في خرابها أكثر من غزوات (هولاكو وتيمورلنك) وكان الوباء يذهب بـ ١٥٠٠ نفس في الاسبوع والذين ينجون منه ذهبوا ضحية الغرق والفيضان وبعد هذه الكارثة أخذ أجداد سكانها الحاليين يعيدون ما خرب منها واندثر ويبنوها كل على ذوقه وحسب اقتداره بدون تصميم وبغير



دربونة من درابين بغداد القديمة

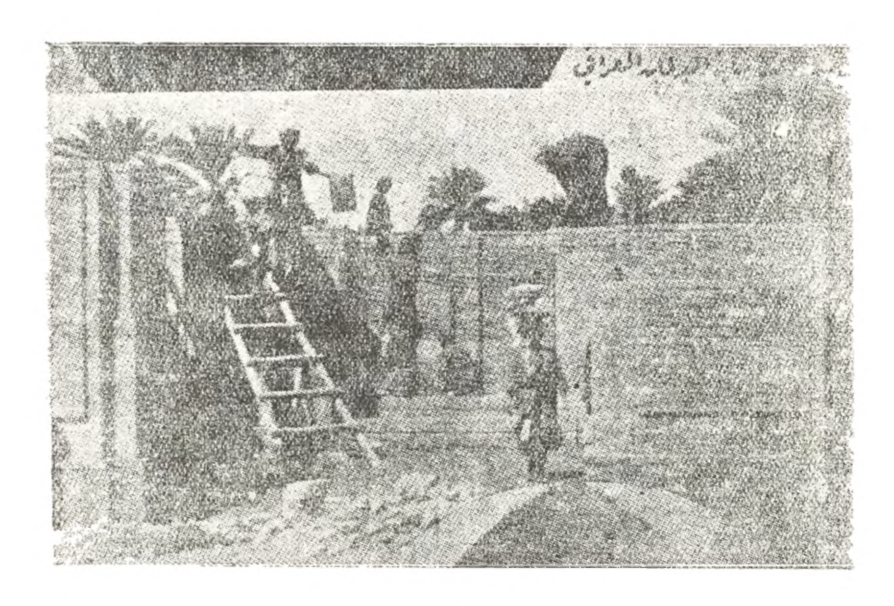
اتساق فنشأت معوجة الجدران وعلت السطوح على السطوح ولاذت الأواوين بالغرف واشرأبت الشرفات إلى الشرفات وامدت بعضها إلى بعض فتوسعت البيوت وتضيقت الطرق وصارت تدعى بلغة البغداديين (درابين) . وما كان الولاة والحكام ليكترثوا بهذا الحال ما دام أبناء البلد يدفعون الضرائب وهم صاغرون .

لقد ظهرت بغداد بهذا المظهر المزري مظهر الفوضى في البناء وصارت الدور متراصة مبعثرة تكتنفها (الدرابين) كما عبروا عنها بادية بضيقها واعوجاجها وفي هذه المظاهر من نشأتها تبدو بوضوح انها غير ما كانت عليه أولا فهي قديمة جديدة وهي متراصة مبعثرة .

لقد كانت الدور يومذاك تتكون على الأغلب من طبقة واحدة وطبقتين فذات الطبقة الواحدة تتألف من قاعة مفتوحة في الوسط بشكل مستطيل أو مربع تحيط بها الأواوين والغرف ، وذات الطبقتين ففي الطبقة الأولى قاعة وطارمة أو طارمتان وسرداب وغرفة المؤن والمطبخ وفي الطبقة الثانية غرف للنوم متصلة بعضها ببعض بواسطة الطارمات ولغرف الطبقة الفوقانيــة منافذ للخارج يدخلها الهواء والضوء وبعض نوافذ شبابيك بارزة تسمى (شناشيل) وتشرف على الطريق .

والأغلب من دور بغداد تبنى بالطين والآجر ومثل هذا البناء لا يدوم كثيراً فهو سريع الانصداع والانهيار لأن البنائين يومذاك يركون الحجارة بعضها فوق بعض دون أن يراعوا علم القياس وقاعدة الامتزاج .

وقــد اطلق البناؤن أسماء متعددة لأقسام هذه الحجارة منها ما يقال له (وسطاني) و (جبل) و (محير) و (بابلي) نسبة إلى مدينة (بابل) وللشاعر المرحوم عبد الرحمن البناء قصيدة يحث فيها البنائين على اتقان العمل نثبتها هنا لعلاقتها ببحثنا واستدلالاً على وضع البنائين في بغداد وهي :



البناؤن في العمل

أساتذة التعمير أنتم اولي الحزم ... كفاكم فخاراً أن زففت لـكم نظمي
لأني أنا البنـــآء للشعر والعلى ... بنيت لـكم مجداً على قمة النجم
أقول لأرباب الصناعة منكم ... مقال حكيم لا يروغ عن الحـكم
خذوا الصدق أماً والاباء لـكم أباً ... وخلوا أكاذيب التخاصم بالعظم
ولا تجعلوا إلا العفاف شعاركم ... لأن عفيف النفس خالٍ عن اللؤم
ولا تظلموا العمال منكم برشوة ... فان اغتصاب الحق من أقتل الظلم
فداروا ذوي الاشغال والدور منكم ... برفق وانصاف وحـــلم على حلم
وراعوا بني دار السلام برأفـــة ... وسلم لأن الحر يجنح للسلم
فان بني الأوطان سد عليهم ... دخيل غريب منبع الرزق والعلم
فرفقاً بهم رفقاً فان حياتهم ... من البؤس باتت وهي في حالة السقم
و (ربّاز) أمسى تاركاً في جيوبهم ... يغني لهم بالزير طـــوراً وبالبم
سهـام رمت قلب التجارة منهم ... فلله من رام ولله من سهم

أقيموا بني امي القصور مشيدة | على اسس التقوى أقيموا بني امي
أقيموا على الطرز الجديد بناءكم | بنصب ورفع جل عن عالم الجزم
فعيشتكم دون الصنائع حرة | وغنمكموا في الرزق من أوفر الغنم
خلوا عرى التقليد منكم بعزمة | يقول لكم اكسيرها يا اولي العزم
ألا وانحتوا فوق الصخور هياكلاً | حقائقكم فيها تجل عن الوهم
وخطوا بديعات الخرائط وارسموا | نفيساً إذا ما اعجب الناس بالرسم
وصبوا بابداع القوالب طوقكم | وصوغوا أكاليلاً من الشرف الفخم
نعم وانقشوا التاج السليمي زاهراً | كروض أنيق جاده عارض الوسم
وصدوا عن التقليد روحاً حديثة | تؤمل أن ترقى إلى عالم النجم

الرصافة والكرخ

إن الجهة الشرقية في بغداد لا تزال تدعى باسمها القديم (الرصافة) المخلد في بيت الشاعر علي بن الجهم وهو :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما تدعى الجهة الغربية باسم (الكرخ) المخلد في بيت الشاعر ابن زريق البغدادي وهو :

أستودع الله في بغداد لي قمراً | بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

ولم يكن آنذاك فى هاتين الجهتين شوارع تذكر بل يخترق الرصافة شارع (رأس القرية) ويسمى شارع (المستنصر) اليوم لوجود بناية المدرسة المستنصرية في أوائله وقد بنيت مدرسة المستنصرية على عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٠٢ هـ يقابلها سنة ١٢٣٣ م ووضع هذا الشارع يومذاك جدران عالية ليس فيها مايسمى بالفن المعماري وفيه (أزقة) قصيرة و(درابين)

تنفذ إلى نهر دجلة وإذا ما ولجت فيها وسرت بين أبواب ودور عريضة نخمة عليها مطارق تنوعت أشكالها ومع هذه الدور التي أخنى عليها الزمن فان آثار الماضي المجيد تتمثل في طراز عمارتها ونخامتها فلا يلبث الناظر اليها إلا أن يردد قول الشاعر :

إن آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

وإذا ما دفعك حب الاستطلاع وفتحت لك باب إحداها وأشرفت على صحن الدار المبلط بالطابوق الأصفر المشوي تعلم بما كان عليه سكان عاصمة العباسيين من الراحة التامة على ضفاف دجلة الساحر .

أما حوانيت هذا الشارع فهي متباعدة عن بعضها وأصحابها على اختلاف نحلهم وأديانهم قانعون بما يمن الله عليهم من الرزق الحلال .

إن مظاهر بغداد اليوم تدلك على أنها مدينة عربية بطبيعتها شرقيـــة بمظاهرها ووضعها وقد بدت فيها تباشير نهضة علمية تتصل بماضيها العلمي الزاهر فقد تأسس فيها عدد من الكليات مثل كلية الحقوق وكلية الطب وكلية الهندسة وكلية التجارة وكلية الآداب والعلوم كما ان فيها من التمسك بفضائل الدين الاسلامي والخلق الديني من الورع والتقوى ونجد فيها عدداً غير قليل من رواد الشغب والنفاق والتمرد إلى جانبهم عدداً ممن عرفوا بمزايا الشهامة والبطولة والتغني بها

أزياء البغداديين :

تستعمل في بغداد قيافات مختلفة عديدة متشعبة تعود إلى عصور مرتحلة من القدم وتمثل أوضاعاً مختلفة وإذا القيت نظرة رأيت الأسواق المكتظة بالمارين قد تحدى أزياء رؤوسهم فهذا لابس (العقال) فوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون ويندر أن يلبسه غـــير الشيوخ والطاعنين في السن ولهذا العقال صفات أخرى في بغداد فاذا كان ذا لفتين سمي طيتين وإذا كان ذا ثلاث لفات

أو أربع لفات عرف (باللف) ولا يلبسونه غير الكهول ويلبسونه فوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون والعقال الأسود الشائع فيدعى (قحطاني) نسبة إلى قحطان ويلبس فوق يشماغ أزرق.



جماعة بالعقال والجراوية

أما اليشماغ فهو عمامة قصيرة لا تزيد لفاتها على الثلاثة لفات مشدودة حسب مزاج صاحبها والذين يرفعونها فوق الجبين هم الفتيان المشهورون بأعمال الشقاوة أي الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومة باسم (أبو جاسم لر) أي أبو (الجواسم) جمع جاسم وأداة (لر) الملتحقة تدل على الجمع ، ولفة اليشماغ كيف ما وضعت تسمى (چراوية) نسبة إلى (چرو العبد) وهذا الرجل من محلة الحيدرخانة ، و (عصفورية) توضع فى قمة الرأس نسبة إلى رجل إسمه قدوري بن عصفور من محلة الفضل ، وأخرى يقال لها (عدام) أي يعدم شنقاً و ١٥ سنة أي محكوم بهذه المدة وإن لفها صاحبها على الرأس وتلثم بها (فتدعى بيشماغين) وذات لفة واحدة ويلبسونها على الأكثر بتأدب أصحاب الصناعات.

وأما العمائم فالبيضاء خاصة بالعلماء والشبان المتدينين إذا كانوا من طلاب

العلم ، والخضراء للسيد الشريف ، والعمة من الحرير المقصب تسمى (كشيدة) وهي خاصة بالتجار والوجهاء وجميع هذه العمائم تلف فوق الطربوش ويعبرون عنه باسم (فينه) نسبة إلى مدينة (فينا) عاصمة الدولة (النمساوية) لأنها تصنع في معاملها ، أو تلف على (عرقچين) الطاقية .

أما العباءة فهي على الأغلب سوداء مطرزة بالحرير الأسود أو بخيوط الذهب والفضة ويسمى (كلبدون) أو (ليهي) وهي تصنع في بغداد من الوبر أو الصوف أو من قماش أوربي والباقي تصنع فى بلاد ايران وبلاد الاحساء والعباءة الحسوية من وبر الجمال جمع جمل وهو الحيوان المعروف ويلبسها مشائخ العشائر ، والعباءة الايرانية التي هي من الصوف البني اللون على نوعين (الكوباني) و (النايني) يلبسها العالم والتاجر ، والعباءة (الخاجية) الرقيقة أو (البتية) تلبس في فصل الصيف تصنع فى بغداد والعمارة والحلة والنجف ، ولعباءات القرنة والنجف شهرة خاصة فالاولى ممتازة برقة نسيجها والأخرى بمتانتها ، وإذا أمعنت النظر إلى ما تحت العباءة تجد الملابس مختلفة باختلاف أذواق أصحابها فطبقة علماء الدين يرتدون الزبون والخرقة والجبة والحذاء (اليمني) من النوع الأصفر والحذاء البلدي المسمى (قوندرة) ، و (البوتين) ، و (الجزمة)



الأحذية البغدادية

ترتديها طبقة العسكريين ، وطبقة التجار والأغنياء ترتدي الزبون والدميري والعباءة والحذاء من النوع الجلد الأسود أو الأصفر وطبقة أصحاب الصناعات

ترتدي الزبون والدميري والحذاء (اليمني) من النوع الأحمر ، والعمال ترتدي الزبون من نوع (البشت) معمول من غزل الصوف والحذاء (كاله) وهي معمولة من الخيوط القطنية وأغلبها تستورد من ايران وبعضهم يرتدي (دشداشة) من نوع الخام الأسمر و (چبنه) أو (جنده) وهم يحملون الاكياس والصناديق على ظهورهم ويقال لهم حمالون والرجل لا يمشي فى الاسواق والطرق حاسر الرأس وبغير عباءة .

((الحالة الاجتماعية))

المجالس الأدبية :

أينما تولي وجهك تجـــد في أغلب دور أكابر بغداد وخاصة دور العلماء والافاضل يجتمع بها فى ليالي الشتاء أو الصيف أكابر رجال الدولة والوجهاء والاغنياء والشعراء والادباء يقضون لياليهم فى سمر ومنادمة وليس أروع من مجلس يترك به أصحابه الخوض فى سير الناس فينصرفون إلى لعب الشطرنج .

لعبة الشطرنج :

الشطرنج لعبة ذاع صيتها وانتشرت في كل بقاع الارض وانها تجري بين شخصين لا يجوز لأحدهما أن يستهين بمقدرات الآخر لأن غلطة بسيطة تحدث أثراً كبيراً فى نتيجة اللعب ، ولـكبار اللاعبين حيل بارعة يخفونها وراء نـكتة أو تظاهر بالاستهتار أو عدم المبالات فينتبه خصمه اليها وبذلك يفقد الشرط بسرعة فائقة ، وان لعبة الشطرنج ليست للتسلية أو قضاء وقت بل هي رياضة عقلية ومنهج لتدريب الذهن على التدبير ورسم الخطط وقد قال الامام الشافعي في حقها انها تمرين للذهن وترفيه عنه .

ووصفها أحد أبطالها فى الزمن الغابر انها ساحة نزال وميدان قتال يتنازع فيها الذكاء وحسن التدبير .

وكانت لعبة الشطرنج في بادئ الأمر خاصة بالملوك والامراء وعلية القوم ثم شاعت اصولها حتى شملت جميع المدن وكانت بغداد في ضمن المدن التي شملتها هذه اللعبة وكانت مركزاً عظيما للعبة الشطرنج ، وشجع على انتشارها محبة الخلفاء العباسيين لها كهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وغيرهم وعقدوا المباريات في قصورهم بين اقدر اللاعبين ومنحوا الجوائز الثمينة للفائزين

واشتهر ذلك القرن بلعبة الشطرنج بين المسلمين فظهر أبطال كبار مثل (الصولي) و (الماوردي) و (الراضي) و (العادلي) وغيرهم فلذلك أصبح العرب أبرع وأمهر من الذين جاءوا بعدهم والعرب زعماء الحضارة والمدنية في العصور الوسطى وهم الذين نقلوا لعبة الشطرنج إلى الغرب وفي الشطرنج قال الشاعر أمين الجندي :

اقول إن لاعب الشطرنج ... كفارس هاج ببحر السرج

ولا يزال ناصب الفخاخ ... يصطاد من جاء من الرخاخ

كأنه ليث الشرى المفترس ... لا شيء إن أرخا عنان الفرس

وصالت الأفيال للأفيال ... في حومة القتال والجدال

وابتدرت أمامها البيادق ... تسعى فمنها سابق ولاحق

وبارز الشاه أخوه الفرز ... وانتهك الستر وزال العز

وميز الغالب بالتأييد ... وبان فضل باعه المديد

وأقبل النصر من الاله ... وتمت الحرب بموت الشاه

المطارحة والمطاردة :

ولم تقتصر تلك المجالس على لعبة الشطرنج وحدها بل كانت المطارحة مجالاً واسعاً فيها وتسمى (مطاردة) وهي أن يروي أحد الجالسين بيتاً من الشعر يعقبه الآخر ببيت يكون أول قافية الحرف الأخير من البيت مثل :

فلو سمح الزمان بها لضنت ... ولو سمحت لضن بها الزمان

فيعمد الآخر إلى النون وهو آخر حرف من قافيته ويروي مبتدئاً مثل

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

وهكذا يتلقف السامع فيلتمس بيتاً مبدوءاً بها ، ولا يلبث في النزال إلا من كان قوي الحافظة حاضر البديهة وقد يأتي في هذه المطارحة بيت ارتجالاً لا من الغث في الكلام ولكن يأتي فورياً ومقفى هذا كل ما يحتاج اليه الأديب حينما يرتج عليه وكثيراً ما يأتي المرتجل شيئاً خلواً من المعنى مملوءاً بالمناقضات المضحكة .

المرأة البغدادية :

إن المرأة البغدادية تمتاز بالسمرة والشعر الأسود وتملك خفة الروح والجاذبية القوية والحشمة والوقار فضلاً على جمال الخلق وحسن الطباع ولا أظن بين نساء المدن العراقية من هي أفصح لساناً وأفضى بياناً من المرأة البغدادية فالمرأة البغدادية هي التي تجاهد في بيتها لأحلال السعادة فيه وتربية أبنائها وتفخر بحياة الأمومة والتمسك بالأسرة وما احيلى طفلها الذي تعتز به وهو مطمئن في الصحة والهناء .

المرأة العراقيـــة تطير فرحاً عندما تشاهد طفلها وفلذة كبدها وهو ينمو ويرفل بزيه البغدادي تلوح على وجهه الملامح العربية ، مرة يغضب وأخرى يرضى ، ويبكي ويضحك ويتـكلم معها بلغة لا يفهمها أحد سواها .



طفل بزيه البغدادي

المرأة البغدادية في العهد الذي نؤرخ به أحواله مؤلفة من طبقتين : الأولى هي الطبقة الراقية ويطلق عليها إسم (خواتين) جمع خاتون وتسمى باللغة

التركية (خانم) وانها سيدة بيتها لا تخرج منه إلا بأذن من زوجها وتكون وجهتها بيت أهلها وذوي قرباها وعند خروجها تخرج محجبة يغطي محياها (بوشي) أي برقع من الحرير الأسود وهو خاص بالنساء .



نساء محجبات

ولا أحد يكاد يصدق أن تلك المرأة المحجبة التي لا تخرج من بيتها إلا والعباءة تلفها من قمة رأسها إلى اخمص قدميها هي تلك المرأة الأنيقة المعطرة التي نراها في بيتها العامر بهدوء وسكينة وأدب جم ، وكثيراً ما كنت اشاهد تلكم (الخواتين) وهن محجبات يمشين في الطريق وأمامهم خادم أو عبد يحمل بيده (فانوس) أي مصباح ويضيء لهن الطريق وهن يتهادين بحشمة ووقار .

أما مجتمع المرأة العراقية فهو خال من الرجال حتى من الأزواج والأبناء وأولاد العم ، والمرأة العراقية لا تخصص يوماً معلوماً لزيارتها أي يوم (قبول) كما هو اليوم عندنا وإنما باب دارها مفتوحة على مصراعيها لكل الزائرات ويقدم بها القهوة أولاً ثم يأتي دور الشاي وهو الشراب المفضل فيقدم معه (الكليجة) التي اعدت لمثل هذه الضيافة



امرأة وأمامها معدات الشاي

وبعد شرب الشاي تقدم المائدة بأطباق شائقة تتفنن في تقديمها وهي اتأكد

تقدمها بنفسها ولا تعهد بصنعها إلى الطباخة إذا كانت توجد طباخة أو خادمة مهما كانت مكانتها الاجتماعية .

أما الطبقة الثانية وهي الطبقة الوسطى لا تختلف عن أختها الطبقة الأولى بأدبها وحسن خلقها ويعجبني فيها المرأة التي بلغت العقد الرابع من عمرها خمارها الذي ضربته إلى حد عينيها كما يعجبني ثوبها الفضفاض (الهاشمي) تحت عباءتها التي تغطي قدم رجليها وهي تسير لا تلوي على شيء .

والمرأة البغدادية لا تدخن التوتون (السكائر) والخواتين يدخنّ توتون (النركيلة) للتفكهة وهذه (النركيلة) من فصيلة (الجوزة) أي جوزة الهند وتكون مزركشة بصورة تجلب النظر .

امرأة مخمرة

وأما الفتاة البغدادية فحدث عن حسن مزاياها وأدبها ولا حرج فثغرها الأشنب لا تفارقه الابتسامة الحلوة وصوتها الهادي الرزين عنوان الفتوة والأنوثة ، لا تفارقها الدعابة والمرح فهي كما قال فيها الشاعر :

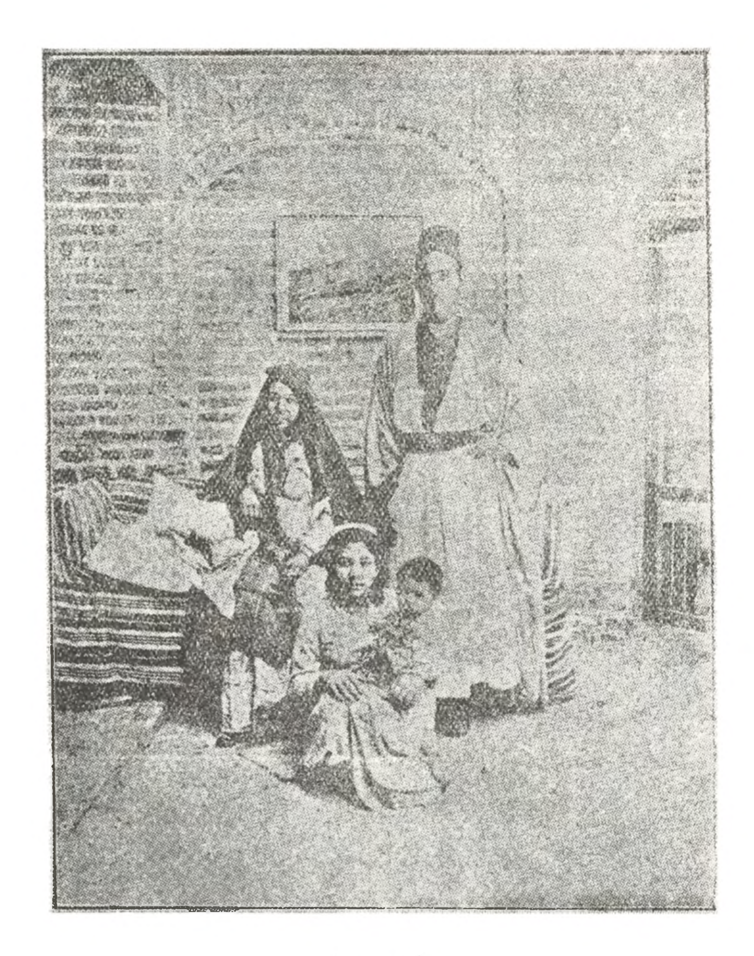
يحسبن من لين الكلام زوانياً ... ويصدهن عن الخنا الاسلام
بيض حرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام

الطوائف فى بغداد :

إن الطوائف في بغداد في عهد الدولة العثمانية وخاصة طائفتي اليهود والنصارى جزء من مجموع السكان فاذا سارت الحكومة في طريق الحضارة والعمران أخذت تلك الطوائف نصيبها من تلك النهضة وان الدساتير التي تضعها

الدولة وتعين مقدار الافراد والجماعات فان قامت على اسس العدالة والمساواة والراحة دامت تلك الجماعات ترفل في بحبوحة العز والرفاه وبذلت المجهودات في سبيل الرقي والمدنية وجرت شوطاً كبيراً في ميدان الأعمال ، ومن ذلك الوقت فكرت الحكومة العثمانية في اصلاح أنظمتها وقوانينها وشؤون ادارتها وقد نال النصارى واليهود بسبب هذه السياسة كثيراً من الراحة والهناء في العراق عامة وبغداد خاصة فكان حظ النصارى حظاً رفع مكانتهم لأنهم اخلصوا النية في اعمالهم وكانوا أدباء وكتاباً ووجهاء واغنياء عكس اليهود الذين تجردوا من كل هذه الصفات الحميدة ما عدا التجارة وان اعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة التي جبلوا عليها كانت معلومة عند العثمانيين آنذاك فصاروا يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آن ، وكانت حالتهم السياسية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فانهم يتصلون بأساليب شيطانية الى دخول سراي الحكومة ودوائر الكمرك والمكوس وبيوت الوجهاء حيث يجدون من يستخدمهم في اعمال مهن اكثرها ذات صلة بالمال .

ومن ولاة بغداد الذين استخدموا اليهود في بغداد الوالي مدحت باشا عندما بث روح الحرية والمساواة وتنشيط الأعمال الاقتصادية ، ومن الولاة الذين يذكرهم اليهود بأطيب الأحاديث المشير رجب باشا قائد الجيش ووالي الولاية فقد اظهر من التساهل والحكم ومراعاة الأشغال ما سر اليهود كل السرور ، وقابل اليهود اعلان الدستور في الدولة العثمانية بهتاف الترحيب واقاموا مظاهرات الارتياح ، وبقي إسم ناظم باشا عالقاً في أذهانهم لما لاقوا في أيامه من الحرية وحسن المجاملة ، وبين جماعة اليهود في بغداد رجال من كل الطبقات منهم التاجر والصيرفي والدلال والمحامي والطبيب وأهل الصنائع كالصائغ والحداد والنجار والاسكافي والموسيقي وغير ذلك ، أما مسكنهم في بغداد باستثناء البعض فانه يقع في زاوية من زوايا بغداد القذرة في بيوت يسكنها عدة عائلات تحسبها كالسفينة تمخر في بحر من الأوساخ والقاذورات .



عائلة يهودية

((الصناعات))

كان قطر العراق في الازمنة الماضية قطراً اشتهر فى الصنعة وقد برهنت أخبار السياح الذين تجولوا في العراق مثل (ابن بطوطة) و(ابن جبير) وغيرهما على ان أهل العراق كانوا يزرعون كميات كبيرة من القطن وبعد حلجه وندفه يستعملونه للنسيج كما كانوا ينتجون الحرير والقز وينسجون منها الأقمشة الحريرية وغيرها ومع اندثار معاهد الحضارة في العراق طوال السنين التي انقضت بعد استيلاء (التاتار) عليها لا زال محتفظاً بتلك الصناعة إلى الآن .

الندافة وخياطة الأفرشة

ولا يستعمل القطن المنسيج فقط بل يستعملونه للأفرشة الاعتيادية منها الأفرشة والخاصة بالأعراس ، فيأتي أصحاب العرس بالنداف حاملاً معه



الندداف

آلة الندف والخياطة ويقوم بخياطة الافرشة وكل ما يلزم من متممات الأفرشة للعرس وغيرها . وجهاز العرس الخاص للمنام يتكون من (اللحف) جمع لحاف و (دواشك) جمع دوشك و (مخاديد) جمع مخدة أي وسادة .

صناعة الغزل والنسيج

إن صناعة الغزل والنسيج كانت شائعة شيوعاً عظيما في بغداد كما نوهنا وتدار صناعـــة الغزل بواسطة الآلات اليدويـــة وتسمى (دواليب) جمـــع دولاب يقوم بها رجال ونساء أتقنوا هذه الصناعة وكذلك تدار بواسطة (مغازل) جمـــع مغزل تقوم به نساء تعودن على الغزل والمرأة البغدادية تسليتها الوحيدة في بيتها الذي لا تخرج منه هو المغزل الذي لا يفارق يديها ولو أمعنت النظر في نساء بغداد لوجدت أكثرهن يجيدن صناعة الغزل على اختلاف أنواعه .



دولاب غزل



النساء الغزالات

أما النسيج فـكان يصنع بواسطـــة الآلات اليدوية أيضاً وتسمى (جوم)

جمع جومة تنسج بها الأزر المقصبة جمع ازار ولصناعة الأزر ينسب الشاعر البغدادي الشيخ كاظم الازري ، كما تنسج (الشراشف) جمع شرشف والخمر جمع خمار وهو خاص بالنساء .



الحايك

وتصنع في بغداد الكوفية وهي منسوبة إلى الكوفة عاصمة العراق الأولى قبل بناء بغداد سنة ١٤٥ هـ ، والنساج يسمى في مدينة بغداد (حايك) والنسيج يسمى حياكة وتنتشر الحياكة في محلات عديدة في بغداد وأشهرها محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني والشواكة والكريمات بجانب الكرخ والكاظمية والأعظمية وبعض المدن العراقية .

صناعة الحدادة :

للحدادين سوق خاصة وللحدادة موسم يعرفه الحدادون ولذلك تراهم يهيئون للفلاح العراقي (المساحي) جمع مسحاة و (المناجل) جمع منجل وهذه

كلها من مستلزمات الزراعة الابتدائية قبل أن يحل عصر الآلات (الميكانيكية) كما انهم يعملون القضبان الحديدية لشبابيك فى عمارات الدور و (السلاسل) جمع سلسلة لربط جمع الحيوانات كالخيل والبغال والحمير .

صناعة النجارة :

كانت النجارة في بغداد تقتصر على الأعمال الخشبية البسيطة المستعملة فى جميع أثاث الدور كالسرر للمنام وصناديق الملابس و (الدواليب) جمع دولاب و (المرافع) جمع مرفع لحفظ الأواني البيتية و (المحاريث) جمع محراث و (الجراجر) جمع جرجر للزراعة ، والنجارة الراقية خاصة في عمل صناديق (الأضرحة) جمع ضريح وتصنع هذه الصناديق من الخشب المعمول (بالچرخ)



الجراخ

ويقال لصانعها (چراخ) بالجيم الفارسية ، وعمل وجهات الغرف المزخرفة بأشكال هندسية منظمة باسلوب عباسي قديم واسلوب ايراني وأحسن مثال

لذلك شبابيك الخشب في مسجد الامام موسى الكاظم عليه والسلام .

صناعة السلال :

للبغداديين صناعة خاصة وهي صناعة حياكة السلال على اختلاف أنواعها وأشهر المدن التي تصنع بها السلال هي مدينة بغداد والبصرة وكربلاء وبعقوبة وقد اشتهر النساء بهذه الصناعة .



نساء عاملات السلال

ولقد كنا نشاهد بين الآونة والأخرى زمرة من الرجال يحلون في بغداد قادمين من العمادية وزاخو في لواء الموصل لعمل السلال من غصون الأشجار بعد تجريدها من الورق وبيعها ويقال للواحد من هؤلاء (سبع طلان) بتعبير وهذا التعبير محرف كلياً وأصل هذه الكلمة هي تركية (سبت صاطان) بمعنى بائع السلال .

((أسواق بغداد))

الأسواق جمع سوق وتتألف من مجموعة الحوانيت المتقابلة يضللها سقف من الآجر والجص على هيئة اقواس أو مسقف بالخشب والحصران على هيئة الجمالي بتشديد الميم ومن تلك الاسواق :

سوق البزازين

وهذه السوق معروفة بسوق (الچوخه‌چيه) اليوم وهي خاصة ببيع الأقمشة من نوع الچوخ المستورد من الخارج وفيها الاقمشة الحريرية والقطنية على اختلاف أنواعها

سوق القزازين

إن هذه السوق كانت عامرة وتباع بها أنواع الأقمشة من الحرير والقز من صنع بغداد وتباع بها الحزم (الهميان) و (الحيص) جمع حياصة وهي الحزم الخاصة للشباب والصبيان وأحسن نوع يسمى (الحلاوية) نسبة إلى مدينة الحلة .

سوق السراجين

سوق لها مكانتها بين أسواق بغداد وهي خاصة بعمل السروج جمع سرج للخيل كما تعمل الصناديق المكونة من جلود الغنم الخاصة للسفر وفي محلها اليوم سوق الصاغة المتصلة بسوق السراي والمعروفة اليوم بسوق الشابندر .

سوق الغزل :

وقد كانت هذه السوق من أمهات الأسواق ببغداد يباع بها القطن وأنواع الغزل الذي تنسج منه الأقمشة وفي مقدمتها العباءة وتباع بها الأواني النحاسية

المعمولة كما يباع بها أنواع الطيور والحمام الزاجل والقماري جمع قمري والمنادل جمع عندليب والقطا والبط والدجاج وغيرها والحيوانات كالخراف والماعز والغزلان والقرود والارانب ويباع بها أنواع العطور كماء الورد وماء القداح وغيرها .

سوق الصفارين :

إن هذه السوق خاصة للصفارين وهي تكتظ بدكاكينهم ، ببضاعة الأواني النحاسية من قدور وأواني وطسوت وأباريق وغيرها ، وليس في هذه السوق دكان لغير الصفارين وهذه الدكاكين تعرض بها المصنوعات النحاسية وتصنع فيها الأواني فهي معامل ومعارض متراصة فلا تسمع إلا طرقاً يصم الأذان ولا ترى إلا عملاً متواصلاً ولهيباً متصاعداً .



الصفارين

سوق الهرج

هي السوق المحاذية لدائرة الكمرك والمكوس (مدرسة المستنصرية)

وسميت بالهرج دلالة على كثرة الازدحام فيها وتعالى الأصوات والتهريج للبيع والشراء ومعنى الهرج في معجم اللغة هرج في كلامه أي خلط .

وكانت تباع بها الأسلحة النارية والجارحة على ملأ من الحكومة والناس .

سوق الصاغة

تعرف هذه السوق (بخان جغان) وهي محل سوق دانيال الآن وانتشرت بها دكاكين الصاغة وخاصة بصياغة الذهب والفضة وانحصرت هذه الصناعة في العهد الذي نؤرخ فيه باليهود وعدد قليل من المسلمين والمسيحيين والصابئة .



يهودي صائغ

وفي أي وقت دخلت في (خان جغان) تجده غاصاً بالنساء هذه تطلب أن يصاغ لها (خلخال) وتلك تنظر إلى (الملاوي) وأخرى تضع أقراطاً بأذنيها والصائغ اليهودي يصول ويجول ويخادع ويماطل ولا يترك المرأة إلا وهي قد

اشترت شيئاً ، وهذه الصناعة يتقنها اليهود من القديم وقد استولوا عليها بأساليبهم الشيطانية .

سوق الشورجة

تعرف هذه السوق بسوق العطارين وكانت ضيقة وفى سنة ١٣٢٨ هـ يقابلها سنة ١٩١٠ أيام الوالي ناظم باشا جرى توسعها

ويباع بهـــذه السوق أنواع الأواني البلورية والخزفية فضلاً على المواد العطارية السكر والشاي والصابون وفي قسم منها تباع الحبوب الغذائية الرز والحنطة وسائر الحبوب الصيفية والشتائية

سوق حنون

تقع هذه السوق في محلة قنبر علي وكانت هذه السوق ولا تزال قذرة مليئة بالأوساخ وكانت خاصة باليهود قبل اسقاط جنسياتهم وتركهم بغداد تباع بها المواد الغذائية كاللحم والسمك والدجاج والبيض وأنواع الفواكه والمخضرات وكل هذه كان اليهود يرغبون بها ويتنعمون بخيراتها

سوق اليمنچية :

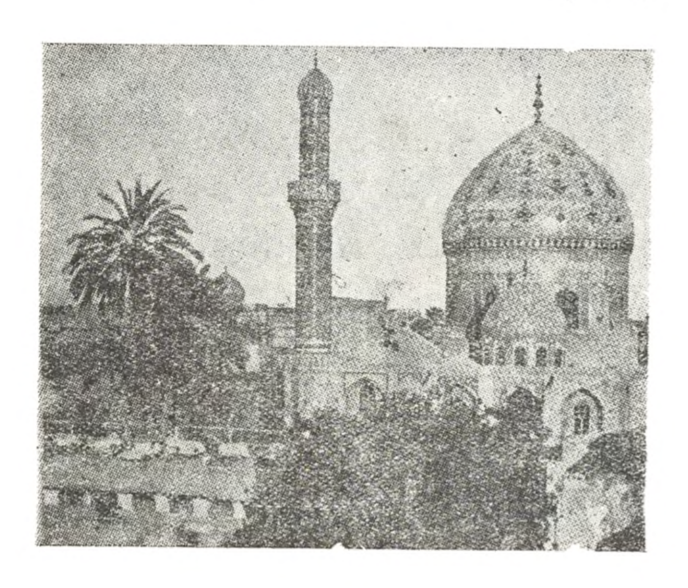
وتسمى سوق الزنجيل تشاهد فيها الأحذية الوطنية من نوع (اليمني)الأحمر اللماع معروضة للبيع بجميع أنواعها ومنها ما يسمى (قبه لورطة) و (لزكار) بالكاف الفارسية و (كوجك لزكار) و (مركوب) وهذه الأسماء جميعها تركية ما عدا المركوب وأحسن يمني هو المعروف بعمل ابن البناء .

أما الأحذية النسائية فهي لا تزيد على نوعين نوع يسمى (سراي لي) وتلبسه (الخواتين) والآخر يسمى (عجمي) وتلبسه بقية النساء .

سوق الميدان

وهي مؤلفة من عدة أسواق منها سوق الميدان المتصلة بجامع الميدان

(الأحمدية) . ويباع بها مختلف الحاجيات من لحوم وخضروات وحبوب وأقمشة كما يوجد بها مخازن الرز والحنطة والشعير .



جامع الميدان

وبضمنها سوق الهرج الصغير يباع بها الآثاث البيتية والمواد الخشبية المستعملة وفيها سوق (الحمير) وتباع في هذه السوق سائر الحيوانات كالخيل والبغال والحمير على اختلاف أنواعها وهي على مقربة من باب بغداد الشمالي المسمى باب المعظم وبمحلها اليوم محطة بيع (البانزين) .

سوق السراى

هي السوق المتصلة بدوائر الحكومة اليوم وتباع فيها الكتب العلمية والأدبية والمدرسية التركية .

وأقدم بائع كتب بها هو ملا خضر والد المرحوم عبدالرحمن خضر المدون القانوني ، والمرحوم ملا نعمان الأعظمي صاحب المكتبة العربية المؤسسة سنة ١٣٢٣ هـ يقابلها سنة ١٩٠٥ م ومحمود حلمي صاحب المكتبة العصرية

المؤسسة سنة ١٣٣٣هـ يقابلها سنة ١٩١٤م وهو لا يزال في قيد الحياة وصاحب هذه المكتبة شهيراً بهذا الاسم وتقع مقابل المخبز العسكري .

سوق الجديد

وهذه السوق اسم محلة في جانب الكرخ معلومة كان يسكنها أو يجتمع فيها جماعة من الأدباء والشعراء كعبد الباقي العمري الشاعر المشهور وعبدالغفار الأخرس وعبدالله الخياط صاحب الظرائف وغيرهم وكانت تباع بهذه السوق أنواع الخشب الذي يجلبه التجار من الموصل لتعمير البيوت وكانت عربات (الترامواي) التي تسير على خط الكاظمية تمر منها ، وفي جانب الكرخ سوق الشواكة وسوق العجيمي وسوق حمادة ولا تزال بأسمائها هذه حتى الآن خاصة بالناس .

« أشهر المقاهي في بغداد »

كان انتشار المقاهي في بغداد أمراً يستلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب ولقد أصبحت هذه المقاهي مراحاً لذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة ويتردد عليها التجار والموظفون والأدباء والعمال يجلسون بها ويدخنون النوارجيل والسكاير ويشربون الشاي والقهوة ويلعبون اللعب المسلية كالعبة (الدومينو) أي دومنة والمنقلة وهذه اللعبة خاصة بالبغداديين .

وتأتي في مقدمة هذه الألعاب لعبة (الطاولي) واسمه الصحيح (نرد) وفيه قال الشاعر فيمن يحبه:

إني رضيت بأن أكون بكفه
زارا يقلبني بلعبة نرده



لاعبي المنقلة

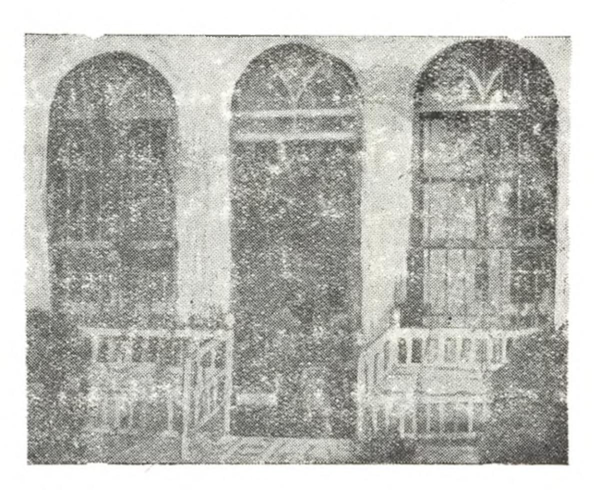
مقهى سبع

وقد عرف هذا المقهى باسم صاحبه سبع وهذا الرجل من القهواتية القدماء وعرف بدماثة أخلاقه وطيب سريرته ومن أعماله التي عرف بها انه كان يعرف المعوزين الذين يترددون إلى مقهاه وهؤلاء من الطبقة التي يقال في أفرادها (يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف) فلا يطالبهم سبع بأجور المقهى وقد كان موضع احترام رؤساء الحكومة من عسكريين وملكيين وأصبح محل هذا المقهى مدرسة (المأمونية) التي أصبحت اليوم مديرية معارف لواء بغداد المركز كما نوهنا .

مقهى وهب

ويأتي بعد مقهى سبع بالميدان مقهى وهب ويقع في باب (القلعة) ثكنة

المدفعية والمدفع باللغة التركية (طوب) لذلك تسمى ثكنة المدفعية (طوبخانه) واليها نسبت محلة (الطوب) في بغداد وبمحل هذا المقهى الآن دائرة مصلحة إسالة الماء بعد أن شيدت .



مقهى وهب

مقهى عزاوي

وهذا المقهى كان يعرض فيه الآعيب (خيال الظل) أي (قره كوز) في ليالي رمضان وفي سائر الليالي يشتغل به (تياترو) بتعبير أهل بغداد وبمحله الآن مقهى (الأوبرا) وقد كان قبل ذلك ملهى ترقص به الراقصات ليلاً

مقهى كل وزير :

وهذا المقهى مشهور (بشربته وشايه) وهو مرتاد الطبقة الراقية من البغداديين وهو المقهى الوحيد الذي لا يوجـــد فيه أداة للهو (كالطاولي والدومينو) وبمحله اليوم معمل أحذية الـكاهچي بجانب باب وزارة الدفاع الحديثة .

مقهى القرائخانه :

وهذا المقهى يقع قرب باب المعظم وقد عرف بـ (عثمانلي قرائخانه‌سى) وهي

أول مقهى في بغداد نظم تنظيماً عصرياً من حيث المقاعد وشرب القهوة والشاي ويستطيع الجالس أن يقرأ الجرائد التي تصدر في بغداد صباح كل يوم فضلاً على الجرائد التركية الواردة من استانبول .

وصاحب هذا المقهى رجل ايراني الجنسية يتكلم باللغة الفارسية والتركية والافرنسية وقد غلب عليه اسم (مسيو) أي أفندي باللغة الافرنسية لكثرة تكلمه بهذه اللغة أي الافرنسية .

مقهى المميز

يقع مقهى المميز على رأس الجسر القديم ويطل على نهر دجلة محاذياً لدائرة الكمرك والمكوس القديمة وعلى الأغاب هو جناح من أجنحة مدرسة



مقهى المميز

المستنصرية ، وفي ليالي رمضان كان المغني العراقي أحمد زيدان يغني فيه المقام العراقي وهو يموج بالناس يستمعون اليه .

مقهى البيروتي :

وهذا المقهى من مقاهي جانب الكرخ على رأس الجسر القديم وكان مجتمعاً تجارياً يضم تجار الحبوب الغذائية والاخشاب والغنم وكان التجار الجالسون فيه يتداولون البحث فى البيع والشراء بهدوء وسكينة كأن على رؤوسهم الطير .

مقهى اعكيل :

نسبت هذه المقاهي إلى عشائر (اعكيل) أي عقيل المتمددة وقد نزحت من نجد إلى بغداد في القرن الماضي وهذه المقاهي خاصة بشرب القهوة العربية وتصنع هذه القهوة فى (دلال) جمع دلة بتشديد اللام حيث تغلى على النار بعد أن يخلط الماء بطحين القهوة وتمزج ببعض البهار وهناك يطيب شربها .

وتقع هذه المقاهي فى الجانب الغربي من بغداد أي الكرخ ولا تختلف مقاهي المدن العراقية عن مقاهي بغداد بوضعها المألوف آنذاك .

مقهى العنبار

يقع هذا المقهى فى محلة المصبغة بجانب الرصافة ويتردد اليه اناس من طبقة التجار ويعتبر هذا المقهى المقر التجاري يومذاك (كالبورصة) فى هذه الايام لأن محلة الرواق وخانات مخازن الجملة قريبة من هذا المقهى وأكثر رواده تجار اليهود الذين بيدهم مقاليد التجارة يومذاك .

مقهى ملا حمادى

وهذا المقهى واقع فى محلة (المربعة) الكائنة الآن بجانبه (سينما الزوراء)

وهذا المقهى الآن موجود وإن كان شيد حديثاً وكان محاط ببساتين وموقعه كالمتنزه والويل ثم الويل لمن يجتاز تلك البساتين ليلاً ! !

مقهى العبد :

كان هذا المقهى منعزلاً فى آخر المدينة فى الباب الشرقي بمحل ما يسمى الآن (البتاوين) أو (الأرفلية) وبجانب ذلك المقهى (قولغ) مخفر للدرك أي الجندرمة يحيط به حقول وبساتين وزرع الحقول (بالخس) حتى سميت بستان الخس ولما شيدت فيها أخيراً دور أصبحت تسمى محلة بستان الخس في شارع العلوية بعد تمثال السعدون ومقهى العبد غير منظم مثل مقاهي المدينة وإذا جئت اليه صباحاً أو ظهراً لا تجد به أحداً وإنما يؤمه الناس عصر كل يوم يمتطون الخيول لبعد المسافة عن المدينة من جهة الباب الشرقي وكان أحدهم يحمل سلاحه معه خوفاً من الاعتداء .

مقهى التبانة

وهذا المقهى من مقاهي محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية وكثيراً ما كنت أشاهد في هذا المقهى ليلاً (ابن الحجامة) الهزلي المشهور واسمه الحاج جاسم من محلة (العوينة) مع زميله الفكه (منصور) يقومان بشبه تمثيليات هزلية لا تخلو من النكات المضحكة على جمهرة من المتفرجين ويسمى ذلك (أخباري)

نطاح الكباش وعراك الديكة :

وفي النهار يكتظ مقهى التبانة بالمتفرجين على نطاح (الكباش) جمع كبش وعراك (الديكة) جمع ديك وللكباش أسماء مختلفة مثل (خماس) و (ضرغام) و (عنتر) وغيرها وأشهر المعتنين بتربية الكباش هما (أحمد دبي) من محلة الفضل و (علي الحبشي) من الأعظمية ، وعند مبارزة الكباش أو الديكة يعلو هتاف المتفرجين للكبش أو الديك الذي يفوز بهذا المضمار .

تربية الطيور :

في بغداد أنواع كثيرة من الطيور أليفة اعتاد بعض الناس تربيتها وجعلها ملهاة لهم وأسماؤها كثيرة منها المسكي والعنبري والرمادي والأصفر والأحمر والفضي والزنكي كما اعتاد أصحاب تلك الطيور اطلاقها من أوكارها صباح ومساء كل يوم ويستمر تحليقها في سماء بغداد أكثر من ساعة وتختلط الأسراب في طيرانها بعضها مع بعض وعيون أصحابها مشرأبة اليها ثم تنعزل ويعود كل سرب إلى حالته الأولى وينزل إلى وكره .

ومن تلك الطيور نوع واحد يرجع إلى فصيلته الحمام ويستوطن البيوت ويلوذ بالمراقد المقدسة ومآذن الجوامع فيعيش آمناً مطمئناً لا يناله أذى من أحد ولا يسعى في طلب القوت بل يقتات الحبوب التي ينثرها له الزائرون فيلتقطها من الارض من دون خوف ووجل



عازف الربابة

عازف الرباب

أما باقي المقاهي في بغداد فلا تخلو من وجود أساليب التسلية واللهو ليلاً ونهاراً ويوجد في بعض المقاهي عازف (الرباب) يجلس في المقهى وحوله الناس يستمعون إلى الانغام المنبعثة من الرباب وهو يشنف آذانهم بغناء (العتـــابة والنايل) الشائع آنذاك في بغداد ، وهذا الغناء هو غناء العراق الأصيل .

القصاص :

لم يكن سماع العزف على الرباب قائماً وحده بل كان للقصاص مكانة مرموقة في المقهى لأن السواد الأعظم لم يكن لديه ما يلهو به كالملاهي ودور السينما وغيرها فكانت تسليتهم بسماع القصص والاساطير يتلوها عليهم أحد القصاصين، ويعبرون عنه (قصخون) وأشهر قصاص يومذاك ملا ابراهيم الموصلي توفى سنة ١٣٠٨ هـ يقابلها سنة ١٨٩٠ م أيام الوالي سري باشا ومن بعده ملا خضر وهو موصلي أيضاً توفى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا .

ولا زال البغدادي مجبولا على سماع تلك الاساطير ، وقد قيل من يتمتع بطيبات الحياة يضيع الوقت بأحاديثها ومن يحرم منها يسترسل في الاحلام التي تزينها المخيلة وتذهبها الأهواء ، وهكذا أخذ بعض الناس يسمعون إلى القصاص وهو جالس في المقهى تحفه جماعة من السامعين يصغون اليه وهو ينقل اليهم صورة من وقائع (عنترة العبسي) التي جمعت في القرن الرابع زمن العزيز بالله الفاطمي ، وقصة (أبو زيد الهلالي) وما فيها من الحروب المبالغ فيها ، ومما يروى أن بعض رواد مجلس القصاص الذي تروى فيه تلك المغامرات حزن حزناً شديداً عندما وقف القصاص في موقف وقع فيه (عنترة العبسي) أسيراً بيد محاربيه فلم يكن من الرجل إلا أن ذهب إلى بيت القصاص وطلب منه أن يطلق سراح (عنترة العبسي) من الاسر الذي وقع فيه لكي ينام ليلته مرتاح البال فلم يجد القصاص بداً من أن يطلق سراح عنترة (العبس) من الأسر وذهب الرجل شاكراً له فعله .

الحلاقة والحلاقون :

لم تكن للحلاقة في بغداد صالونات كما هي اليوم وإنما كانت مقتصرة على حوانيت منبثة فى الاسواق والمحلات فحانوت الحلاق الشهير يتكون من مرآة كبيرة وكرسي موضوع أمام المرآة أعدت لمن يحلق لحيته أو يزين

شعر رأسه ، وفي الحانوت مقعدان طويلان وضعا في جانبي الحانوت لجلوس الزبائن وعلى جدران الحانوت أباريق وأواني نحاسية معلقة تستعمل عند الغسيل والجدار مزين بألواح مخطوط فيها آيات قرآنية ، والحلاق الماهر هو الذي يكسب رضى زبائنه من عسكريين وموظفين وأهلين حسب قواعد الحلاقة المتبعة عندهم يومذاك



الحلاق المتجول

أما أهل بغداد وبضمنهم العلماء والمشائخ والوجهاء فالعلماء والمشائخ يحلقون رؤوسهم ويتركون لحاهم مسترسلة إلى صدورهم ، والوجهاء يحلقون رؤوسهم

حسب أذواقهم مع المحافظة على وضع شواربهم ، والعامل يحلق رأسه بالموس مع حفظ شاربيه وجعلها معكوفة إلى الأعلى وكثيراً ما يحلف بها بقوله (وحق هل شارب) ، ومن الكلام الشائع عند النساء البغداديات إذا ما أرادت امرأة ان تخاطب رجلاً وتستجير به تقول له مستعطفة (أنا تحت شاربك)، والشاب الذي لا شارب له لا يجلس في المقهى ولا يتقدم على من هو أكبر منه سناً في كل المناسبات .

وكان بعض الحلاقين يتجولون في الطرق حاملين عدة الحلاقة في شبه محفظة من الجلد ربطت بحزم الحلاق وسير من الجلد معلق بالحزام من الامام يمشي عليه الحلاق بالموس بين الآونة والأخرى تسهيلاً لأعماله ، وفي يديه آنية من النحاس أو الصفيح (تنك) على هيئة ابريق مملوء بالماء لتيسير العمل عند الحلاقة وكثيراً ما يلتقي بعض الفقراء بهؤلاء الحلاقين وهو بحاجة إلى الحلاقة فيقعد في الطريق فيبدأ الحلاق بحلق رأسه على أن لا يتعرض لشاربيه مستعيناً بالماء المعد في تلك الآنية ، وهكذا كانت الحلاقة عند البغداديين .

الشحاذة والشحاذون :

الشحاذة معروفة في بغداد بأساليبها وانظام مجتمعاتها فمن الشحاذين من يجعل رائده الاستجداء بالتوسل ومنهم من يعتمد على الصياح يستدرون عطف الناس عليهم ومنهم من يصطنع البكاء ويظهر ألواناً من الامراض والأسقام ويبدي ما به من نقص في خلقته ومختلف العاهات ويظهر ما يؤيدها من رث الثياب ونحول الأجسام وكلما كانت الأوساخ والقاذورات ظاهرة للعيان كان ذلك أبلغ أثراً لاستدرار الأكف .

ومن الشحاذين من استعاض عن التجوال بالوقوف على أبواب الأضرحة المقدسة والجوامع يستجدون فيها ومنهم من يجلس على قارعة الطريق باسطاً كفه للسؤال وهو صامت لا ينبس ببنت شفة .



الشحاذ الصامت

ومن عادات الشحاذين أن يجلس أحدهم في بعض الأمكنة المكتضة بالمارين يتلو سوراً من القرآن الكريم غير ملتفت إلى الأغلاط في قراءته ، وآخر يمشي بالسوق وينشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأخرى في مدح آل البيت الأطهار .

الزورخانة والرياضة :

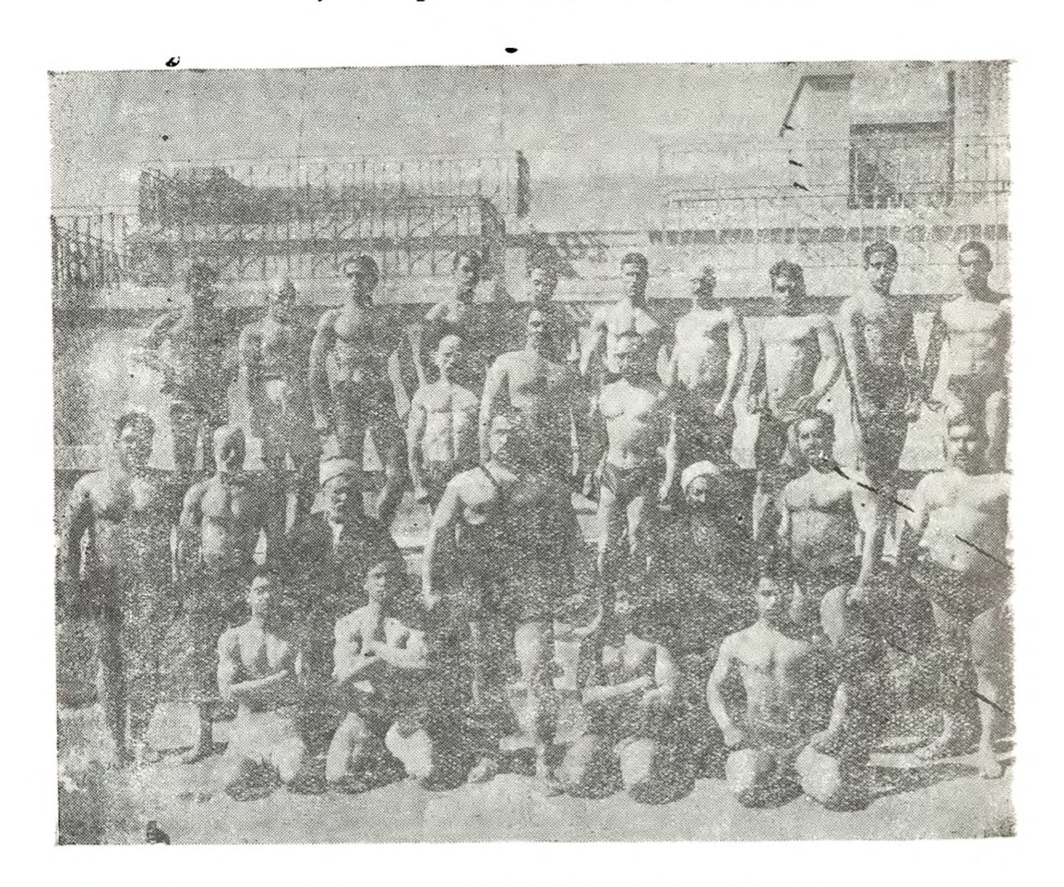
كانت بغداد ميالة إلى الألعاب الرياضية بأعتبارها من متحمات الحياة اليومية

ولكن لم تنظم التنظيم الذي نراه اليوم بل كانت بصورة مختصرة ترمز إلى تغذية الجسم وسيرانه (بالزورخانة) وهي حفرة عميقة مدورة في الارض يجري فيها اللاعبون مختلف الحركات برفع أشكال متنوعة من قطع الحديد وتجري حركات اللاعبين فيها على ضرب (الدنبك) الكبير وهذا الدنبك يسمى (زرف) باصطلاح اللاعبين ، وفي حركات اللاعبين يراعون الوحدة الموسيقية والذي يؤدي الضرب على الدنبك أي (ضابط الايقاع) رجل له خبرة نظرية وعملية في المصارعة في جميع تجاربها ، وأشغالها ويسمى (مرشد) .

والحركات التي تؤدي في الزورخانة تستهدف إلى تقوية العضلات كعضلات الرقبة والصدر والساعدين والساقين والاكتاف وقد انتشرت الزورخانات في كثير من محلات بغـــداد كمحلة (الفضل) و (الحيدرخانة) و (الدهانة) و (الصدرية) و (العوينة) و(باب الشيخ) وجانب الكرخ فضلاً على مدينة الكاظمية ومن أشهر أبطال الزورخانة (أسطه غني) الذي اطلق عليه بالحق والاستحقاق (بهلوان) بغداد الأول لخفة حركته وسرعـــة جريه داخل الزورخانة وخطف المصارع بحركات لا تخطر على بال وقد صارع أوسطه غني بعض مشاهير أبطال المصارعة في ايران والهند ممن جاءوا إلى بغداد فخرجوا منها يجرون أذيال الخيبة والخسران وقد تخرج عليه عدة مصارعين ومن أشهر تلاميذه المرحوم الحاج محمد ابريسم العزاوي ، والسيد ابراهيم سادن الامام أبو يوسف وقد تتلمذ عليهما كثير من المصارعين في بغداد وأشهرهم أوسطه محمد الخياط .

والغريب في ذلك العهد أن الأطفال والصبية في عهد الزورخانات كانوا محرومين من مشاهدة ما يجري داخل الزورخانات أو حضورها وقد شهدت الزورخانة حضور بعض ولاة بغداد وبعض رجال الحكومة وإن دل هذا على شيء فيدل على مكانة المصارعة في نفوس القوم عهدئذ ولابد من الاشارة إلى هذا أن دعوات التحدي التي كان يتبادلها المصارعون من بغداد وبين زملائهم

من المصارعين في إيران والهند كانت تمثل أسمى أخلق الخطاب في المراسلات وتبدأ عادة بالبسملة وتنتهي بالدعاء بسيفة المتحدي للمخاطب .



جماعة من المصارعين يتوسطهم الحاج محمد ابريسم والسيد ابراهيم

محلات بغداد ورؤساؤها :

إن بغداد على شهرتها ليس بها محلات منظمة كما هي اليوم وليس بها من يقوم بادارة شئونها وشئون سكانها ولقد مضت عليها مئات السنين وهي لم تزل بعيدة كل البعد عما يحقق لها شهرتها وفي سنة ١٢٥١ هـ يقابلها سنة ١٨٣٥ م أيام الوالي علي رضا باشا اللاز اجري انتخاب المختارين لها فصار لكل محلة مختار أول وثاني مع امام يقوم بشئون الزواج متفقاً مع المختارين ، ولضيق

طرق المحلات وقلة المصابيح ومنعاً لوقوع جرائم فيها أمر الوالي عبدالرحمن باشا سنة ١٢٦٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٩ م بانارة بعض المحلات في جانب الرصافة فوضعت المصابيح (فوانيس) جمع فانوس وفي عصر كل يوم يجتاز مستخدموا البلدية الطرق ومعهم سلالم خشبية يرتقون عليها لأشعال الضوء في المصابيح المعلقة على الجدران ، وبذلك انكشف عن بغداد بعض الديجور المخيم في أرجائها وكانت محلات بغداد موحدة مثل محلة الفضل وبضمنها محلات العزة وخانلاوند (النائبية) اليوم ومحلة السيد عبدالله ومحلة حمام المالح والقراغول وكان رئيس هذه المحلات العلامة المرحوم الشيخ عبدالوهاب النائب ومحلة الميدان وما جاورها ويترأسها المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومحلة (الحيدرخانة) وما جاورها يترأسها العلامة المرحوم الشيخ داود النقشبندي ومحلة (قنبر علي) وما جاورها يترأسها آل جميل ومحلة (القشل) وما جاورها يترأسها آل كبة ومحلة (باب الشيخ) وما جاورها يترأسها آل النقيب ومحلة (رأس القرية) وما جاورها يترأسها آل الپاچه‌چي وجانب الكرخ يرأسه آل السويدي ، وأهل هذه المحلات متمسكون برؤسائهم ويضحون بالغالي في الدفاع عنهم كما أن رؤساءهم بدورهم يراعون مصالحهم ويسهرون على تلبية مطالبهم كما يفعل رب الأسرة بأعضاء أسرته .

الحمامات في بغداد

كنت في العقد الثاني من عمري وكنت أفرح فرحاً لا مزيد عليه حينما أذهب مع رفقائي للاستحمام في نهر دجلة ، ونهر دجلة في الصيف الحار حمام عام لأهل بغداد حيث تجد الصبيان وهم عراة يلعبون على شاطئيه تارة ويعومون في لجته أخرى .

والرجال يستحمون به تاركين جحيم حمامات بغداد .



الصبيان يسبحون في نهر دجلة

والحمامات في بغداد يومذاك عبارة عن دهاليز مظلمة ماءها حار لايستطيع المستحم بها البقاء أكثر من نصف ساعة فيخرج منها متضايقاً بل كان عدد منهم يغمى عليه من شدة الحر .

وفي حمام الفضل قلت بعد أن استحممت به وخرجت :

وحمـــام دخلت به صباحاً دخول ذوي الجرائم للجحيم
غسلت الجسم فيـــه بماء طهر فـكان جحيمه عين النعيم

والذين يدخلون الحمام من الموسرين والأغنياء لابد أن يقوم بواجبات غسلهم (دلاك) والدلاك رجل اتخذ غسل الأبدان مهنة له يقوم بواجبات المستحم أحسن قيام ، فترى في يده الكيس المصنوع خصيصاً للتدليك يمرره على الجلد ويستخرج منه فتيلاً من الأوساخ .



الدلاك في الحمـــام

ومن أشهر الحمامات في بغداد حمام (الباشا) وحمام (السراي) وهما في محلة الميدان وحمام (عيفان) وحمام (المالح) فى محلة الفضل وحمام (كچو) بالجيم الفارسية وحمام (پنجه علي) بالباء الفارسية وحمام (الـكمرك) في محلة باب الآغا وحمام (القاضي) وحمام (حيدر) فى محلة رأس القرية وحمام (الشورجة) فى سوق الشورجة وحمام (السيد) فى محلة سراج الدين وحمام (آل جميل) فى محلة قنبر علي وحمام (تاجه) فى محلة الحاج فتحي وحمـــام (الراعي) فى محلة رأس الساقية وحمام (عويد) فى محلة المربعة وحمام (فضوة عرب) فى محـــلة باب الشيخ وحمام (الجسر) فى محلة رأس الجسر القديم بجانب الرصافة وحمام (أيوب) وحمام (شامي) وحمـــام (اليتيم) بالتصغير في جانب الـكرخ ، وهذه الحمامات أغلبها انقرضت وحلت مكانها حمامات عصرية منظمة تشتغل (بالغاز) النفط بعد أن كانت تلك الحمامات يحمى ماؤها (بالزبل) القاذورات المجموعة في اصطبلات الخيل والبغال والحمير .

الارواء واسالة الماء

لا زال أهل بغداد يذكرون ما عانوه من قلة الماء قبل أن يتم ضخ الماء بواسطة المكائن على الرغم من أن نهر دجلة يخترق بغداد والسقائين الذين كانوا ينقلون الماء على ظهورهم وعلى ظهور الحمير في (القرب) جمع قربة وهي معمولة من جلد الغنم بعد دبغها .



السقا

والسقاء الذي يبيع الماء ينادي عند تجواله (هوي هي) ولم أدر ما معناها ولدى التحري الدقيق علمت أنه يريد بها (هذي هي) أي القربة المملوءة ماء وكان السقاء ينقل الماء من شرائع جمع شريعة خاصة في نهر دجلة

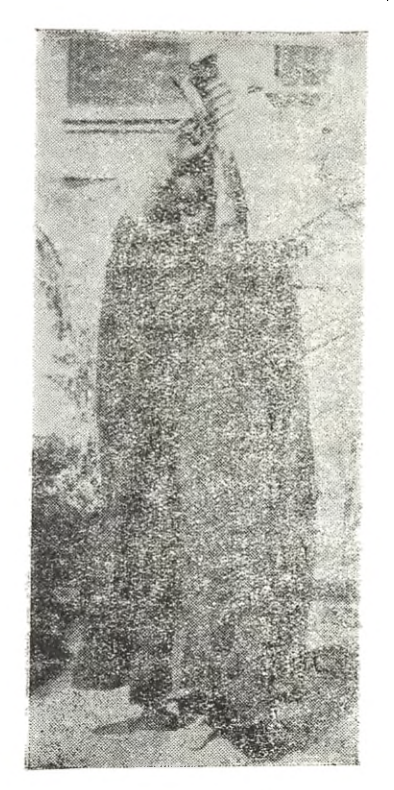
ولم يكن الماء طاهراً ولا يعتنى بأمر نظافته وظلت بغداد تشرب تلك المياه الموبوئة إلى أن منّ الله عليها وبعث لها من ينقذها وفي سنة ١٣٠٧ هـ يقابلها



شريعة من شرائع بغداد

سنة ١٨٨٩ م أيام الوالي سري باشا فقد أنشأ في ساحة (خانلاوند) النائية اليوم بعد غرسها بالنخيل والأشجار حوضاً كبيراً للماء لأرواء الناس فأخذ سكان محلة الفضل وما جاورها من النساء يوفدان على ذلك الحوض ويأخذن منه الماء شاكرات الوالي سري باشا على عمله هذا .

فترى البيوت وفيها الأواني المعدة لحفظ الماء (حباب) جمع حب طافحة بالماء المعين ، بعد الظمأ الشديد الذي كانت تعانيه تلك العوائل والمحلات النائية ولقد أصبحت شرفات الدور في الصيف وعلى حافاتها (تنك)



امرأة تحمل الماء بالمشربة

ولم يكن عمل الوالي المشار اليه مقتصراً على مشروع الماء فقد تعداه إلى ما هو أهم من ذلك إذ أصدر أوامره باعطاء الأرامل والايتام ما تستحقه من المخصصات الشاهانية مما دفع المرحوم العلامة الشيخ عبدالوهاب النائب أن يثني على أعمال الوالي بقصيدة وهي

يا والي الزوراء دمت وزيرها	إذ قدشرحت من الانام صدورها
ورقيت مأوى للعفاة بأسرها	إذ قد جبرت من الضعاف كسيرها
ومنحتهم منك العطاء تفضلاً	فاستكملت في ذا الزمان شهورها
ولطالما ابت ولم ينتج لها	إلا وعمرك ما أهاج زفيرها
تغدو وتذهب بالرجاء ولم يكن	مما يسر مرادها وجورها
حتى أتيت وللعدالة حاملاً	فهناك قد ساوى الغني فقيرها
سعدت أناس في حماك مقيلهم	نعم العصور إذا دعوك عصورها
هذي العدالة لاعدمتك منصفاً	تسقي العطاش إذا أتوك نميرها
أمد النفوس لمثل ذاتك ترتجى	لتكون في وقت الاياس بشيرها
إني لأشكر عن لسان أرامل	وجدتك يا عين الزمان نصيرها
لا زلت يا بدر السعادة ساطعاً	لتشاهد الزوراء منك مشيرها

* * *

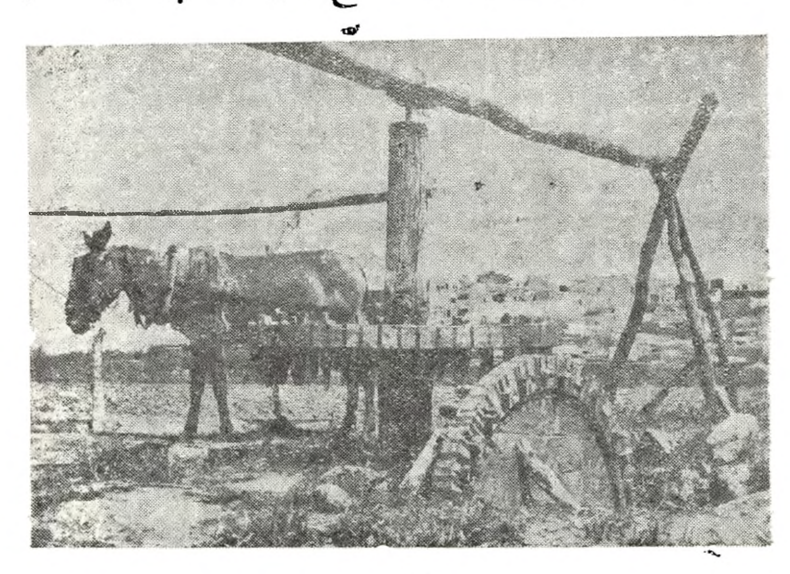
وفي سنة ١٣٢٥هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م أيام الوالي حازم بك أنشئت ما كنة إسالة الماء في بغداد بواسطة مضخة نصبت في شريعة الميدان واجري الماء بواسطة أنابيب وكانت أجور الماء الشهرية لكل دار شيء زهيد وهي عشرة قروش صحيحة تساوي اليوم مئة فلس وبهذا ارتاحت بغداد من عناء الارواء ونجت الجوامع والحمامات من مياه الآبار المالحة ، ولقدكان جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وجامع الشيخ عمر السهروردي قبل مشروع إسالة الماء يجهز لهما الماء من سافية يجري فيها بواسطة (كرد) الأول نصب في شريعة الشيخ والثاني في شريعة الميدان فالكرد يصب الماء بواسطة (دلو) في حوض

اهد له فيذهب الماء بالساقية المحفورة تحت الارض والمزفتة تزفيتاً متقناً .



الـكرد

وقد سميت محلة رأس الساقية نسبة إلى تلك الساقية الممتدة من حر دجلة إلى جامع الشيخ عبدالقادر الـكيلاني ، أما اروأه البساتين والحدائق المحيطة ببغداد فكانت تسقى بواسطة (النواعير) جمع ناعور وتسحبها الخيول والبغال.



الناعور

ماكنة الثلج

وفي سنة ١٢٩٩هـ يقابلها سنة ١٨٨١م أسست في بغداد ماكنة ثلج ونصبت في شريعة الميدان ولم يكن ذلك الثلج كالثلج الذي عندنا اليوم وإنما كان شبه الزجاج السميك (جام) ويوضع داخل (التبن) علف الحيوانات خشية ذوبانه ويباع بالوزن الكيلو بقرش صاغ .

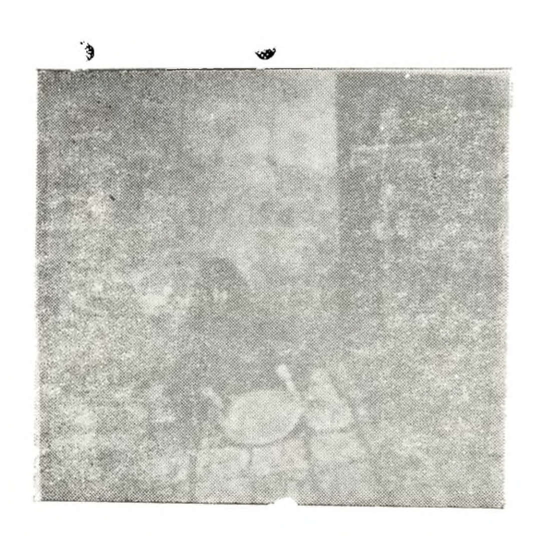
المواد الغذائية وأسعارها

كانت بغداد في العهد الغابر لا تعرف السوق السوداء وهي بعيدة كل البعد عن الغلاء والتلاعب بالاسعار لأن في بعض السنين تكون الأمطار وحدها كافية لانتاج محصول عظيم من الحنطة والشعير والاعشاب والاوراد الطبيعية لتكسي الأرض العراقية حللاً سندسية لاعاشة ملايين من المواشي كالاغنام وغيرها ، وفي سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي محمد زكي باشا عم الرخاء في جميع أنحاء العراق وبضمنه بغداد فكان رخاءاً منقطع النظير حتى بلغ سعر مائة كيلو الحنطة (الداوودية) مائة قرش رايج وحنطة (القنطرة) التي تجلب (بالكلاك) جمع كلك تسمين قرش رايج والحنطة التي تسمى (عراكية) أي عراقية بثمانين قرش رايج ، ولم يكن في ذلك العهد آلات (مكائن) تقوم بواجبات الطحن كما هو اليوم وإنما كانت بواسطة (المدر) جمع مدار وفي البيوت (رحى) جمع رحاة وأهل بغداد يسمونها (رحية) أو (رحا) ومن النادر أن تشاهد بيتاً خالياً من هذه الآلة . أما الرز فهو متيسر بجميع أنواعه ورخيص جداً وأهل بغداد يعبرون عنه باسم (تمن) ويقولون تمن عنبر وتمن شنبه وتمن نكازه بالكاف



امرأة تطحن

الفارسية ولم تكن يومذاك واسطة لهبش الرز كما هي اليوم وإنما كان الهبش بواسطة (الدنك) بالكاف الفارسية والدنك آلة خشبية اخترعها أهل بغداد لهبش الرز واتخــذت ســوق (البلانجية) بولنجية شارع المأمون اليوم لها ويسمى سوق الدنكجية نسبة للدنك وقد كان هبش الرز في البيوت بواسطة (الجاون والميجنة) وهي آلة خشبية تعمل في سوق خاصـــة مزدحمـــة بالنجارين بجانب الكرخ .



امرأة تهبش

أما أسعار اللحم فهو رخيص جداً فالكيلو الواحد يبـــاع بسبعة قروش رايج وكذلك الخبز الفاخر يباع الكيلو بثلاثة قروش رايج والمثل المتعابر عنـــد أهل بغداد عن الشيء الرخيص إذ يقال : (مثل خبز باب الآغا حارومكسب ورخيص) وأكثر أهل بغداد يخبزون في بيوتهم بواسطة التنور .



امرأة تخبز

ومما يلفت النظر إلى المرأة التي تخبز فى بيتها وهي مرتدية عباءتها دلالة على أنها تخشى دخول أحد أقرباءها إلى الدار وهي سافرة هذا هو حجاب المرأة البغدادية حتى فى بيتها .

الأطعمة الناضجة :

كانت بغداد يومذاك تزخر بالأطعمة الناضجة وهي (الكباب) وأحسنه كباب (الصابونچية) في الميدان و(الپاچة) وأحسنها پاچة (طوبان) فى جانب الكرخ محلة خضر الياس و (الكاهي) وأحسنه كاهي سوق الميدان و (الهريسة) وأحسنها هريسة باب الآغا بسوق الصفارين و (الكبة) وأحسنها كبة الحاج مرعي في جانب الكرخ وتعمل هذه الكبة من العجين والسمن محشاة باللحم وتخبز في (التنور) وتباع في علبة من الخشب مع العلم أن هذه الكبة غير كبة البرغل المشهورة .



بائع الكبة

ومما يجدر الاشارة اليه بيع (الباجلة) باقلاء وقد تعود أهل بغداد أكلها صباحاً وجعلها لهم غذاء لذلك تشاهد في بعض محلات بغـــداد نساء جالسات في قارعة الطريق وأمامهن قدور الباقلاء معدة للبيع .

وكنت أشاهد رجلاً اسمه (مهدي بن صالح الكردي) يحمل فوق رأسه الباقلاء ويتجول فى محلة الميدان وما جاورها وينادي باللغة التركية

(كل ون بقله يه‌ون جاي ايچمه ون) والمعنى - تعالوا كلوا باقلاء لا تشربون شاي .

الاطعمة الغير ناضجة :

ولا تخلو بغداد من الاطعمة الغير ناضجة وهي السمك والبيض والجبن والقشطة (الـگيمر) واللبن وكلها تباع بأسعار زهيدة لا تخطر على بال واللبن تجلبه نساء عربيات من ضواحي بغـــداد وقد تعودن الدخول إلى المدينة سافرات .

وما أحلى تلك المرأة التي تحمل فوق رأسها (علب) اللبن وما أظرفها وهي تهادى بقامتها المشوقة يسترها جلباب أسود تتصل أطرافه إلى الـكمين وقد شد في وسطها حزام حيك من الصوف الملون بالاصباغ ووجهها مستدير في سمرة مشوبة بحمرة خفيفة وعينان سوداوان في ذبول خلاب تبسم عن أسنان صغيرة متساوية كأنها اللؤلؤ والوشم ظاهر على الذقن وتحت الانف وقد زاد وجهها رونقاً وجمالاً

وفي بغداد طعام لذيذ من نوع المخضرات ومن فصيلة المخللات أي (الطرشي) يقال له (كبر) يبيعه بائع يتجول في الطرق وينادي بنغم مطرب وكلام مسجع يجلب الانظار ، (أكلك منافع يا كبر ، يكتل الدود ويحمر الخدود ويتن الزنود) هكذا ومع الأسف المرير أن هذا الطعام قد اهمل ولم نر له أثر يذكر في بغداد رغماً على ان الطرشي لا زال في بغداد وأحسنه طرشي (حنانش) في جانب الـكرخ وخان جغان كما ذكرنا أصبح اليوم سوق تباع فيها الاقمشة الحريرية والقطنية والصوفية .

باب المعظم :

هذا الباب الشمالي لمدينة بغداد وقد سمي بهذا الاسم أخيراً دلالة على أن الطريق يؤدي إلى بلدة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه .

والذي يقف عند هذا الباب يرى بعض السابلة وبائعات اللبن والنخيل الباسقة تلوح على البعد ويرى (قشـلة السوارية) ثكنة الخيالة وأغلب أهل بغداد يسمونها (كرنتينة) والكرنتينة محـل الحجر الصحي لمكافحة الأمراض المعدية ثم يرى مستشفى الغرباء التي نوهنا عنهـا وعند باب المعظم يرى عربات أو عرباتن جمع عربة من الخشب على غرار العرباتن التي تسير بين بغداد والحلة وكربلاء وبعقوبة تسحبها البغال تسير ذهاباً واياباً بين بغـداد وناحية الأعظمية والكراء أي الأجرة عن الرجل الواحد عشرة بارات .



بائعة اللبن

معرض حيواني

وعلى مقربة من باب المعظم شيد المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني داره وللموما اليه ولع شديد بتربية الخيول العربية الأصيلة وقد اتخذ لها اصطبلاً واسعاً أمام داره ووضعها فيه وهناك تشاهد الخيول من أنسال (الأعبيان) و (الحمداني) و (الكحيلة) و (الصقلاوية) وغيرها وجمع في الأصطبل بعض الحيوانات منها (السبع) و (الضبع) و (النمر) و (الفهـد) و (الدب) و (الذئب) و (الثعلب) و (حمار الوحش) و (الأيل) وبعض الطيور منها (النسر) و (الصقر) و (النعامة) و (الطاوس) و (البط) على اختـلاف

أنواعه وجعل للحيوانات مروضاً رجلاً من الأرمن إسمه (كوستي) وفي عصر كل يوم خميس يسمح لأهل بغداد بالتفرج على هـذا المعرض الحيواني الوحيد فى بغداد .



باب المعظم

متنزه الميدان

وأول محلة تبتدئ من باب المعظم إلى داخل بغداد محلة الميدان ولم يكن الميدان حديثاً في بغداد فقد ذكره أبو الفرج الاصفهاني فى كتابه (الأغاني) حيث قال : ومن الضراب المحترفين (عمر الميداني) وهو رجل من أهل بغداد

يسكن محلة الميدان معروف بها ، وفيه يقول (ابن الرقاق) سمعت (أبا حشيشة) و (المستورد) ومن قبلهما من الطنبوريين فما سمعت منهم غناءاً وأكثر تصرفاً من (عمر الميداني) ، فيستبان مما قاله الأصفهاني ان محلة الميدان قديمة في بغداد وتضم جملة من الموسيقيين . والميدان في العهد العثماني شارع واحد يمتد من باب المعظم حتى السوق المحاذية إلى جامع الأحمدية جامع الميدان .

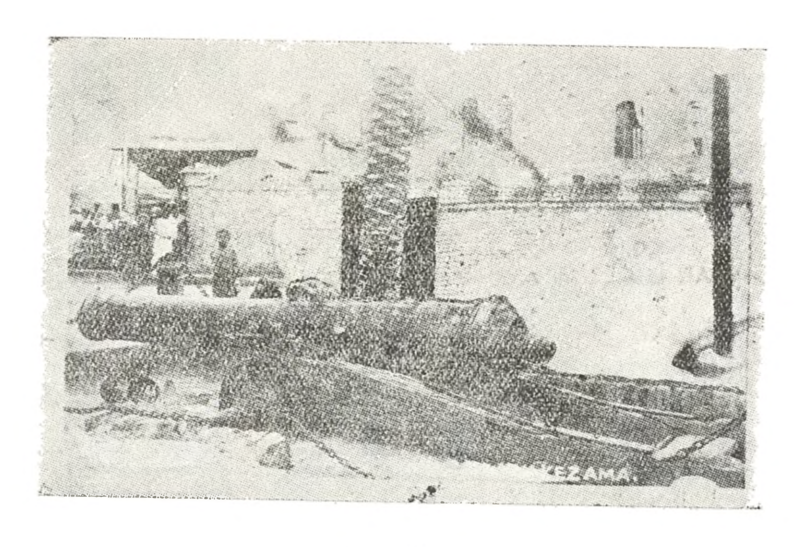


شارع الميدان

وفي الميدان حديقة واسعة غرست سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩ م أيام الوالي سري باشا ووضع وسطها حوض يحتوي على شذروان يقذف الماء بشكل يستهوي الانظار فبواسطة هذه الحديقة والمقاهي الممتدة على جانب الطريق كان الميدان خير متنزه لأهل بغداد فضلاً على أنه كان فيه دوائر الحكومة السراي الحالية والقلعة ثكنة المدفعية وكانت معروفة فى العهد العباسي وفيها أثر يسمى (القصر العباسي) والذي يلفت النظر إلى باب القلعة تمثالان لأسدين وضعا على يمين الباب وشماله .

طوب أبو خزامة :

ويشاهد أمام باب القلعة مدفع كبير طوله أربعة أمتار وقطر فوهته نصف متر مصنوع من نحاس ويسمى (طوب أبي خزامة) وقد كتب على ظهره مما يلي الفوهة ما نصه : (مما عمل برسم السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان) وعلى مؤخره أيضاً ما نصه : (عمل على كتخداى جنود يردركاه عالى سنة ١٠٤٧) أي عمل علي الذي هو رئيس الجنود في باب السلطان ، والشائع عند السذج من البغداديين والبغداديات أن (طوب أبو خزامة) كان صاحب معجزات باهرة والمساعد الاكبر لفتح بغداد ونزعها من أيدي الفرس الذين استولوا على بغداد وأضحى بعد ذلك ولياً من أولياء الله ومنهم من يزورونه ويتبركون به ويعقدون الخرق بسلسلة من الحديد التي تطوق قاعدته ويشعلون الشموع حوله كل ليلة جمعة وأكثر زواره من النساء والمرأة البغدادية تعتقد انه ولي قلما يخيب زواره .



طوب أبو خزامة

فالقابلة الجدة تأتي بالمولود في يومه السابع وتدخله في فوهته وتخرجه

ثلاث مرات تيمناً وتبركاً ، ومن عقائد الجدات والقابلات ان كل مولد يولد بعد مرور ثلاثة أيام لولادته تأتي الجدة القابلة وتأخذه وتضع على وجهه قطعة بيضاء من القماش القطني الخفيف وتذهب به أولا إلى الجامع ثم إلى (طوب أبو خزامـــة) وتدخله في فوهته ثلاث مرات ثم تذهب به إلى الصباغ الذي يصبغ الألبسة فتنقده شيئاً من الدراهم فيضع الصباغ من جميع ما لديه من الالوان على تلك القطعة القطنية ومن هناك تذهب به إلى محل السجناء وإلى المدبغة التي يدبغ بها الجلود ثم إلى الثكنة العسكرية ثم إلى الجوبة محل بيع الاغنام فتتخطا بين الاغنام المنبثة فى الجوبة ، وبعد ذلك تعود إلى دار أهله وهي فرحة مسرورة



القابلة بين الاغنام

ليلة النصف من شعبان :

ومن العوائد المتبعة عند أهل بغداد فانهم يقيمون في ليلة النصف من شهر شعبان فى كل عام مهرجاناً عاماً ويسمونه (المحيا) ويسهرون طول الليل ويتجولون نساءاً ورجالاً فى الطرق ، فالرجال يقضون تلك الليلة بالألعاب

النارية وبتفجير المفرقعات وهي تحتوي على (الزنابير) جمع زنبور وهي لفائف من الورق محشاة بالبارود ونوع آخر يسمى (طـگاك) بالـكاف الفارسية وهو من (البوتاس) ويتأبط كل واحدة من النساء (دونبك) تضرب به وتغني غناءاً خاصاً بهذه الليلة ومنه :

غمج علي يلنايعـه هي فرد هل ليـله

والعبارة محرفة والصحيح هي (همج علي يلنايمه) والمعنى أيتها المرأة النائمة إن كان حصل عندك هم فليكن ذلك علي وتعالي معنا فان هذه الليلة ليلة وحيدة . ومن غناء تلك الليلة هو الأغنية المشهورة

ماجينـه ماجينـه حل الجيس وانطينه

وكثيراً ما تقع فى تلك الليلة من جراء الألعاب النارية خسائر فى النفوس والأرواح والأموال وكلما حاولت الحكومة العثمانية منع تلك الالعاب النارية فلم تفلح ولا زالت هذه العادة باقية إلى يومنا هذا

ليالي رمضان المبارك :

رمضان شهر مبارك فضله الله على سائر الشهور فمن أدرك حكمته وأحسن صيامه وقيامه ظفر بخير الدنيا والدين وحاز الرضا والقبول وخرج منه صحيح البدن نقي النفس منتفعاً بحكمة الصيام ولهذا ترى المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها يحتفلون بهذا الشهر المبارك احتفالات متنوعة تشمل النواحي الدينية والدنيوية وقد ابتدعوا بها مأكولات لذيذة ومشروبات طيبة خاصة لا تـكاد الموائد تعرفها إلا في هذا الشهر المنعوت بالخيرات وفي هذا الشهر ترى الناس تتوافد على الجوامع فى بغداد لأداء الصلاة المفروضة مع صلاة التراويح وبعد الفراغ من الصلاة منهم من يذهب لزيارة أصدقائه فى بيوتهم ومنهم من يذهب إلى المقاهي المنبثة فى بغداد يقضون الليل فى الالعاب المسلية وأحسن لعبة عندهم فى ليالي رمضان هي لعبة الصينية والمحيبس .

الصينية والمحيبس

للبغداديين ولع شديد بلعبة الصينية والمحيبس تصغير محبس ولعبتها يستغرق وقتاً طويلاً وقد يكون إلى وقت اطلاق مدفع السحور ومن قواعد اللاعبين بها مثلاً ان أهل محلة الفضل يدعون أهل محلة باب الشيخ وبالعكس فيستقبلونهم بكل حفاوة وتقدير وقد يجوز افساح المجال للمدعوين التغلب على الداعين في اللعب تقديراً لهم وبانتهائه يقدمون لهم حلويات رمضان ثم يودعونهم بمثل ما استقبلوا به وهذه الألعاب باقية إلى الآن في بغداد ولا تلعب هذه الألعاب إلا في شهر رمضان .

ألعاب القره كوز :

أما الاولاد الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة يذهبون في ليالي رمضان إلى مقهى (عزاوي) في الميدان لمشاهدة العاب (القره كوز) وهذه الالعاب ليست حديثة العهد في ذلك الزمن فقد وصفها العلامة (ابن خلكان) بحفلات المولد النبوي على عهد المظفر صاحب (أربيل) إذ قال : كان مظفر الدين يعقد لكل طبقة في قباب الزينة للاحتفال بهذا اليوم المبارك جوق من الأغاني وجوق من أرباب (الخيال) وقد علمنا انه (خيال الظل) وهو تماثيل من ورق يحركونها بخيوط من وراء ستار نسيج أبيض يشعلون من ورائه شموعاً فترسم صورها على الستارة بحركاتها التي تمثل بلسان محركها رواية مضحكة يتخللها أشياء من الهزل والفكاهة ، وفي خيال الظل قال العامر المناوي :

وجارية ممشوقة القد أقبلت	بحسن كزهر الروض تحت كمام
إذا ما تغنت قلت شكوى صبابة	وإن رقصت قلنا حباب مدام
ترينا خيال الظل والستر دونها	فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلاعب بالأشخاص من خلف سترها	كما لعبت أنملها بأنام

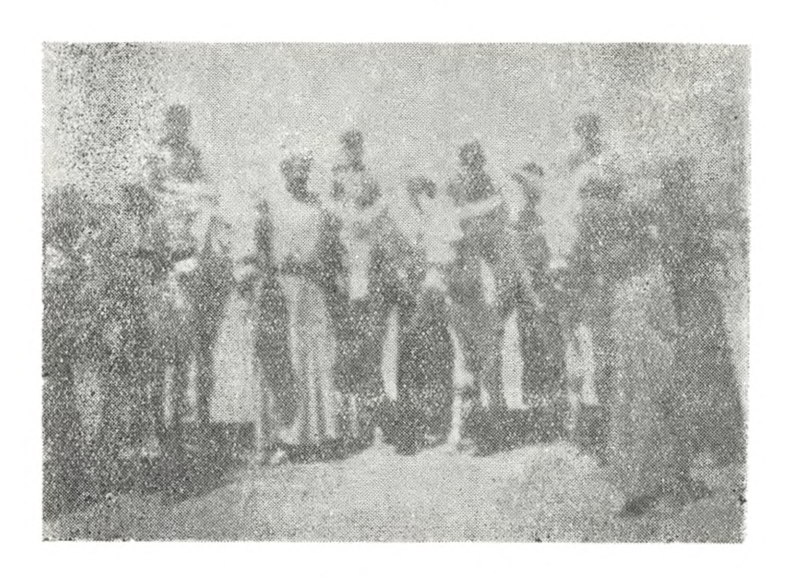
وكانت هذه الألعاب معروفة إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وأعتقد ان بعض أهل بغداد الأحياء يتذكرون (راشد أفندي) وما كان يقوم به من هذه الألعاب ، وهل العاب (خيـــال الظل) هذه كانت مقدمة لاختراع السينما التي هي اليوم منتشرة فى الأنحاء ؟

أيام الأعياد :

وللأعياد البغدادية صفحات رائعة من صفحات الحياة فهي موضوع الاحترام والاجلال يؤدي الأهلون فيها ما تفرضه الشعائر الدينية والمناسبات العامة ويعظمونها ويظهرون فيها شعورهم نحوها ويتخذون فيها وسيلة لاظهار البهجة والرضا والتحابب وأهم تلك الأعياد (عيد الفطر) و (عيد الكبير) أي عيد الأضحى وبمناسبة حلول عيد الفطر تشاهد الناس في أيام العشرة الأخيرة من رمضان المبارك والأسواق غاصة بهم لشراء الأقمشة الحريرية والاحذية الجديدة وترى أغلب أهل بغداد مشغولين بعمل اقراص (الكليچة) بالجيم الفارسية وهي خاصة بأهل العراق ، وفي صباح يوم العيد يخرج الناس مبكرين من بيوتهم مستصحبين أولادهم الصغار إلى الجامع وكان الآباء يعلمون أولادهم الصغار الصلاة ويحملونهم على أدائها قبل العاشرة من أعمارهم وكذلك النساء يخرجن إلى زيارة قبور أمواتهن وقرائة ما يتيسر من آي الذكر الحكيم والشائع في القراءات في العيد سورة (يسن) ، وللأعياد مواقف خاصة للأفراح منها ساحة الشيخ عمر السهروردي وساحة الشيخ معروف الكرخي وساحة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتسمى هذه الساحات (فرجة) وتنصب فيها الأراجيح ويقال لها مراجيح ودواليب الهواء لتسلية الصغار من الفتيان والفتيات ، وتراهم يمتطون الحمير عند الذهاب إلى إحدى الساحات (الفرجة) وأحسن (فرجة) هي في ساحة الشيخ عمر السهروردي حيث تقام فيها من جهة الباب (الوسطاني) مسابقة خيل شبه (ريسز) وتسمى (منطرد)



دولاب الهواء



فتيان يمتطون الحمير

تقام تحت إشراف المرحوم محمد باشا الداغستاني وكان يعطي جائزة من خالص مالِه إلى صاحب الحصان أو الفرس الفائز لقصب السبق وبعد الانتهاء من السباق تدق الطبول والمزامير ويرقصون رقص (الجوبي) ابتهاجاً بيوم العيد السعيد وفرحاً بهذا السباق .



رقص الجوبي

« حفلات المولد النبوى »

كثيراً ما كان أهل بغداد يمتنون باقامة حفلات ليلية تتلى خلالها تلاوة منقبة المولد النبوي الشريفة وباصطلاح أهل بغداد يسمونها (مولود) كما أن الحكومة كانت تقيم في كل عام من يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول بجامع الامام أبي حنيفة احتفالاً بيوم مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعل ذلك عطلة رسمية لا زالت إلى الآن وتقوم دائرة الاوقاف بنفقات طبخ الأطعمة وتوزيعها على الفقراء كما أنها توزع الدراهم على الأرامل والايتام ولا تخلو هذه الحفلات في جميع أدوارها من ضروب الفرح والابتهاج والقارئ يتلو المنقبة النبوية المباركة على مسامع الناس وتشرع بطـانته بتنزيلة من النغم الذي يأتي به القارئ .



ملا عثمان الموصلي

وأحسن قارئ يجيد تلاوة المنقبة النبوية هو الشيخ عثمان الموصلي ولد رحمه الله سنة ١٢٨١ هـ وكان عالماً فاضلاً وموسيقياً مبدعاً وله نباهة وشهرة في استانبول ومصر وسوريا والعراق واليمن والحجاز وسائر الاقطار العربية التي ساح فيها وله عدة مؤلفات في الشعر والنثر كما كان وحيد عصره في التجويد وقد كادت تنقرض بموته شعبة عظيمة من الفنون الجميلة الاسلامية في العراق.

إن هذا الشيخ الضرير قد بلغ من العمر

عتياً وبقي على ذلك اعجوبة الزمان في الذكاء والفطنة وله نوادر عديدة منها انه إذا سمع صوت واحد عرف أوصافه من طول وقصر وبياض وسواد وحسن ودمامة وعرف عمره وكم له من السنين ومن تكلم معه فلن ينساه أبداً ولو بعد سنين وله القدح المعلى في الموسيقى وكان يضرب العود ويلعب (الدامة) و (الشطرنج) وهو أعمى وهذه إحدى العجائب وله يد في العلوم الفلكية يتفوق بها على علماء عصره ، وكان حسن البداهة لطيف النوادر حاضر البديهة مع شراسة طبع وشدة في الاخلاق وقد نفاه الوالي تقي الدين باشا سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦ م إلى سيواس لأنه دعا في حفلة لسلطان العجم على رؤوس الاشهاد وهو عثماني وبعد منفاه ذهب إلى استانبول وقد ذهب اليها مرتين نصب فى واحدة معلماً للموسيقى في مدارس استانبول وذهب إلى مصر وتعلم القراءات العشر وطبع ديوان (الفاروقي) وأحبه المصريون وذاع إسمه وطبع عدة قصائد مخمسة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولما عاد إلى بغداد عكف إلى ما كان عليه ، وقد كانت بطانته مؤلفة من أناس اشتهروا باجادة (التنازيل) ويقال لهم (شغالة) وفي طليعتهم المرحوم عبد الرزاق القبانجي والد الأستاذ محمد القبانجي والمرحوم محمد علي خيوكة والد المغني حسن خيوكة والمرحوم رشيد أبو ندر والمرحومين شهاب وأحمد ولدي شعبان والمرحوم محمود الملقب (ابن الطحانة) . وظل ملا عثمان يشنف آذان مستمعيه بتنازيله المبدعة ويثلج صدورهم بسيره وأحاديثه إلى عام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م وأخذ يخطب بالناس في جامع الحيدرخانة ويحثهم على المطالبة بالاستقلال ، وفي عام ١٣٤١ هـ لبي نداء ربه وقضى نحبه وقد أرخ عام وفاته الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيدة عدد فيها مناقبه ومزاياه الحميدة وهي :

رحلت والصدر بالايمان ملآن — في ذمة الله شيخ العلم عثمان
قضيت نحباً ولم تبلغ منى أمل — في النفس إذ شفها وجد وأشجان
وغبت عنا وفي الأحشاء نار أسى — وعن عيون الورى ما غاب إنسان

كنت الوحيد بما اوتيت من سدد ... فقصرت عنك في الآداب أقران

على المنابر تدعو أمة عجزت ... عن شرح قصتها شيب وشبان

كأنما القوم قد ماتت عواطفهم ... حيث المنابر بعد اليوم عيدان

كملت عهد شروط المجد في أدب ... جم ولم يبق في الآداب نقصان

وبعدك المولد اختلت قواعده ... وبات طرف هداه وهو وسنان

يا من على الدين قد جلت مصيبته ... عليك مولد منشي الدين حزنان

بغداد بعدك يا عثمان شاكية ... خسرانها وممات العلم خسران

كنت المبرز في ميدان صنعته ... وللصناعة والآداب ميدان

بك المحافل والتجويد حافلة ... تصغي اليك من الاشهاد آذان

قد عشت تسعين والافكار منك لها ... ادراك كهل له دين وايمان

وهبت لله عمراً منك شيمه ... ذكر وصوم وتسبيح وقرآن

عزم وحلم وآداب ومعرفة ... ونغمة وأهازيج وألحان

أهل العلوم وأرباب الفنون هموا ... صحف وأنت لتلك الصحف عنوان

فقه ونحو وتأليف ولمع حجا ... ونظم شعر به العلياء تزدان

مدحت أحمد طه المصطفى مدحاً ... كأنما أنت يا (عثمان) حسان

ورحت في حلل الرضوان مندرجاً ... نادى لك الفوز في الجنات رضوان

في روضة الخلد قد أمسى نؤرخه ... مع ابن عفان وسط الورد عثمان

١٣٤١ هـ

مجالس الفواتح والتعازي

للبغداديين عادات خاصة في حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم الدينية فقد ظلوا متمسكين بها منذ مئات السنين ولم تزل متغلغلة في أعماق نفوسهم لا يقوى تقادم الزمن على تغيير أهون القواعد منها ومن تلك العادات الطيبة إقامة مجالس (الفاتحة) على أرواح الاموات في البيوت وأحياناً في الجوامع لمدة ثلاثة

أيام بلياليها يتلى فيها القرآن الكريم من قبل حفاظ مجودين وتنحر فيها الذبائح وتطبخ فيها الأطعمة توزع على الفقراء والمساكين .

وعند اخواننا الجعفرية مثل تلك المجالس والتعازي فى البيوت و (الحسينيات) وهي الحسينية مفرد الحسينيات وتشيد تبركاً باسم سيدنا الحسين الشهيد ابن سيدنا علي بن أبي طالب عليهما السلام وتنشد فيها القصائد أثناء إقامة المآتم ولم تفتنى المساهمة فى هذا الحفل المحزن فقد ساعدني الحظ على نظم عدة قصائد منها قصيدة (ذكرى عاشوراء) وهي :

أي رزء بكت عليه السماء ومصاب قد دام فيه الرثاء
ذاك رزء وذاك خطب عظيم فقدت ابنها به الزهراء
فقدته بكربلا وهي اليوم عليه حزينة ثكلاء
جمعوا رأيهم إلى الحرب لما لعبت في عقولهم صهباء
واستعانوا بخائنين لئام رب قوم خانوا وهم نصراء
قابلوه بأوجه وقلوب شأنها الغدر ملؤها البغضاء
والتقتهم من آل هاشم شوس حين غصت بخيلها الهيجاء
فتيـة فى الوغى بهم كل ليث طلق الوجه واضح وضاء
ملئوا واسع الفضا بزئير منه دكت لهولها الأرجاء
بذلوا النفس والنفيس بعزم فلتلك النفوس روحي الفداء
وقضوا واجب الدفاع إلى أن نفذ الحكم فيهم والقضاء
ظهروا أنجماً وغابوا بدوراً بينهم طلعة الحسين ذكاء
ظل ملقى له التراب فراش وصريعاً له القتام غطاء
يرمق الطرف ماله من معين غير أطفاله وهم ضعفاء
وعلي السجاد أضحى عليلاً ومريضاً أعياه ذاك الداء

• • •

إن شر الأفعال فعل طغاة ببني المصطفى البشير أساؤوا

ما رعوا ذمة بكشف نقاب من نساء قد ضمهن الخباء
نسوة للشآم سيقت سبايا ومن العار أن تساق النساء
صرخت زينب بصوت وقالت ويلكم هكذا يكون الجزاء
فلماذا منعتم الماء عنا وأبونا لديه ثمَّ الماء
لهف نفسي على اسود عرين ورجال أعضاءهم أشلاء
لهف نفسي على بنات خدور زانهن العفاف بلْ والحياء
لهف قلبي على خيام تداعت حول أستارها اريقت دماء
لهف قلبي على بدور أضاءت ثم غابت فطاب فيها الرثاء
بعد رزء الحسين بالله قل لي أي رزء بكت عليه السماء؟

وأقدم حسينية في بغداد حسينية آل السيد حيدر في محلة الدهانة شيدت بعد أن كانت (دواخانة) لهم سنة ١٣٤١ هـ وقد أرخ عام بنائها السيد صادق الاعرجي بقوله :

ذي جنة طابت مغارسها فلذا روائح طيبها نفحت
وحديقة للعلم زاهرة للواردين حياضها طفحت
عبد الكريم الطهر أسسها وبما حوته كفه سمحت
رام التجارة عند بارئه فزكت تجارته بما ربحت
مذ يوم مولد جده كملت نادى المؤرخ جنة فتحت

١٣٤١ هـ

وهي إلى الآن تقام فيها التعازي . وأشهر قراء التعازي يومذاك المرحوم السيد عباس الموسوي والمرحوم الشيخ عباس قوزي والمرحوم الشيخ كاظم سبتي وينعت على الواحد من هؤلاء بـ (روضخون) .

وفي محلة الشيخ بشار بالكرخ حسينية أخرى وهي الدار التي استولى عليها (البهائيون) البابيون ولكن بنتيجة إقامة الدعوى والمرافعة في المحاكم رجعت إلى أصحابها حيث تبرعوا بها وجعلوها وقفاً خيرياً وهي إلى الآن تقام

فيها الضلاة والتعازي هذا وان التعازي تقام في العادة المتبعة في شهر رمضان المبارك والأيام العشرة الاولى من المحرم من كل عام! وفي يوم العاشر من المحرم تقام حفلة كبرى في صحن الامام موسى الكاظم عليه السلام تمثل فيها واقعة الطف تسير فيها المواكب وبضمنها تماثيل جثث القتلى و (المحامل) جمع محمل فيها النساء والاطفال تخترق الاسواق والمحاليل وأهل بغداد يعبرون عن ذلك اليوم (الطبك) بالكاف الفارسية وكثيراً ما حاولت الحكومة العثمانية منع إقامة هذه الحفـــلات فلم تفلح وفي أيام الوالي مدحت باشا صدر بيان نشرته جريدة الزوراء بالعدد ٤١ الصادر في ٤ المحرم سنة ١٢٨٦ هـ في منعها واتخذت التجاهر به ازدراء وتشويشاً على الناس وهددت من يقوم بأي عمل مخالف بالعقوبات .

« القراء والقرؤه المجوده »

قبل مائة سنة اتخذ الولاة والأمراء وأهل السعة في بغداد قراءآت القرآن في بيوتهم إلى نزوح العثمانيين عن بغداد وعلى ضوء هذا الاهتمام نبغ في ذلك الوقت قراء كثيرون منهم المقرئ صاحب الصوت الحسن :

الخواجه محمد سعيد

كان هذا المقرئ يقرأ في زاوية (الخضر) المعروفة الآن بمسجد خضر الياس ولحسن صوته وأدائه في القراءة ، كان المسجد يغص بالمصلين وكان يعلم القرآن في جامع (الأزبك) قرب باب المعظم وقد تخرج عليه جمع كبير من الحفاظ وبقي يدرس وعليه إقبال عظيم إلى أن توفي سنة ١٢٧٥ هـ يقابلها سنة ١٨٤١ م أيام الوالي علي رضا باشا ودفن في جامع (الأزبك) وقبره ظاهر فيه .

الحاج محمد كنبار :

كان شجي الصوت حسن الأداء متقناً وقد تخرج عليه كثيرون من أرباب القراءة وقد اختاره علي رضا باشا الوالي لقراءة القرآن في حرمه أيام رمضان المبارك وتوفي غريقاً في نهر ديالى سنة ١٢٧٥ هـ يقابلها سنة ١٨٥٨ م أيام الوالي السردار عمر باشا .

ملا أحمد الافغاني

كان يدرس علم القرآن وقراءاته في الحضرة الكيلانية وتوفي سنة ١٢٦٩ هـ يقابلها سنة ١٨٥٢ م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة الغزالي .

ملا خليل المظفر

تخرج على ملا أحمد الأفغاني وعلى الحاج محمد كنبار وكان شجي الصوت متقن الأداء يدرس علم التجويد فى جامع حسين باشا وله وظيفة إمام فى جامع الشيخ سراج الدين توفي سنة ١٣٠٩ هـ يقابلها سنة ١٨٩١ م أيام الوالي الحاج حسن باشا ودفن فى جامع الشيخ سراج الدين فى محلة الصدرية .

الشيخ عبدالرزاق الحلاوية

كان فقيهاً حسن الصوت متقن الأداء اجتمع فيه العلم والقراءة توفي سنة ١٢٧٢ هـ يقابلها سنة ١٨٥٥ م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة الغزالي

الشيخ اسماعيل امام الباشا

والمراد بالباشا سليمان باشا الكبير والي بغداد وكان حسن الأداء توفي سنة ١٢٤١ هـ أيام الوالي داود باشا ودفن في الأعظمية .

الحاج عيسى رومي

كان مديراً لمعارف بغداد وكان مدرساً فى جامع الحيدرخانة وكان متقناً شجي الصوت توفي سنة ١٣٣٧ هـ يقابلها سنة ١٩١٩م بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية .

السيد جعفر الواعظ :

كان يدرس علوم القرآن والقراءآت السبع في جامع (نازندة خاتون) في محلة الحيدرخانة وهو من العلماء الأعلام وقد تخرج على الملا خليل المظفر توفي سنة ١٣٢٠ هـ يقابلها ١٩٠٢ م أيام الوالي عبدالوهاب باشا .

الشيخ عبدالسلام :

كان إماماً وخطيباً في جامع الشيخ سراج الدين وكان حافظاً للقرآن الكريم

وقد تخرج على الملا خليل المظفر وتوفي سنة ١٣٥٥ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية .

الملا عمر خطاب الخضيري

تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة فى القراءآت السبع وقـد كف بصره أخيراً ، توفي سنة ١٣٣١ هـ يقابلها سنة ١٩١٣ م أيام الوالي حسين جلال بك ودفن قرب مقام الشيخ عبد القادر الـكيلاني باتصال سور بغداد .

الشيخ عثمان الموصلي

كان هذا الشيخ علامة فى علم التجويد وعلم الموسيقى وكان شجي الصوت وقد تولى تدريس علم التجويد والقراءآت السبع فى جامع الخفافين ، توفي سنة ١٣٤١ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية .

الشيخ حسين الافريرونى

كان إماماً وخطيباً فى جامع الحاج فتحي وقد تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة بالقراءآت السبع ، توفي سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا .

السيد محمود حموشي الموصلي

كان إماماً فى جامع مرجان وكان حسن الصوت ومشهوراً فى الأداء وقد اختاره (البرزنلي) لقراءة القرآن المجيد فى داره أيام رمضان فى كل سنة توفي سنة ١٣٣٥ هـ يقابلها سنة ١٩١٦ م أيام الوالي خليل باشا .

الشيخ عبدالله الوسواسى الموصلي :

كان مدرساً فى جامع الخلفاء في بغداد وكان من أرباب القراءآت السبع والصوت الجميل توفي سنة ١٣٣٧ هـ بعد احتلال بغداد بيد الجيش البريطاني .

الشيخ عبد المجيد ملوكي :

كان مدرساً في جامع الحاج أمين في محلة رأس القرية وإماماً وخطيباً في جامع الخاصكي وقد أجيز من قبل الملا خليل المظفر ، توفي سنه ١٣٢٠ هـ يقابلها ١٩٠٢ م أيام الوالي ناهق باشا الصغير .

الشيخ ابراهيم الرومي

كان حسن الصوت وقد تخرج على الملا خليل المظفر ، توفي في بغداد سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٥ م أيام الوالي خليل باشا .

الشيخ محمد أمين الانصاري :

كان مديراً لمكتب الصنائع وكان شجي الصوت يجيد القراءآت السبع وكان يقرأ القرآن في أيام رمضان في ديوان رجب باشا والي بغداد ، توفي سنة ١٣٥٧ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

السيد أحمد المشهور بابن (چمارة) :

كان حافظاً للقرآن الكريم وكان حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليل المظفر ، توفي سنة ١٩٥٤ هـ بعد احتلال بغداد .

ملا محمد الحاج فليح

كان شيخاً لقراء الحضرة الكيلانية وكان حافظاً للقرآن أبح الصوت حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليل المظفر ، توفي سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي حسين جلال بك .

الحافظ الشيخ عبد الوهاب

كان شيخاً لقراء تكية الخالدية وكان حسن الأداء وهو والد الحاج محمود

عبد الوهاب وقد تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه بالقراءآت السبع ، توفي سنة ١٣٣٩ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

ملا عبد الوهاب الحافظ :

كان حافظاً للقرآن حسن الأداء والترتيل وهو والد الزعيم المتقاعد شاكر عبد الوهاب وقد تخرج على المـــلا خليل المظفر ، توفي سنة ١٣٣٧ هـ بعد احتلال بغداد .

ملا علي الدرويش

كان إماماً لجامع آل جميل في محلة قنبر علي ، حسن الصوت والأداء تخرج على الشيخ عبد السلام وتوفي سنة ١٣٦٢ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

السيد محمد صالح

كان خطيباً لجامع قنبر علي وكان حسن الصوت وشجيه متقناً للقراءة والأداء ، توفي سنة ١٣٣٩ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

الحاج محي الدين مكي :

كان إماماً لمسجد الشيخ صدر الدين وقد تخرج على المـــلا عمر الخضيري والشيخ عبدالسلام ، توفي سنة ١٣٦٢ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

السيد اسماعيل السيد ابراهيم الراوي :

كان حسن الصوت يجيد القراءآت السبع وقد تخرج على الشيخ عبدالسلام توفي سنة ١٣٤٠ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

الملا جاسم الضرير :

هو من أهالي الجانب الغربي الكرخ وكان حافظاً للقرآن حسن الصوت والأداء توفي سنة ١٣٦٥ هـ بعد احتلال بغداد ، وقد بقي من هذه الطبقة الاخيرة الأستاذان الحاج محمود عبدالوهاب والحافظ مهدي وهما اللذان حفظا القرآن والقراءة البغدادية بلهجة خاصة مع اتقان الأداء ومعرفة المقامات العراقية وقد امتازا على سائر القراء المحدثين في بغداد .

حفلات الأعراس :

كانت بغداد في العهد الذي نؤرخ فيه تقام فيها فعلاً حفـلات أعراس في كل حي من أحيائها بعظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية لما كان للزواج من أهمية كبرى ومنافع شاملة وقبل الشروع بهذه الاحتفالات تذهب أم العريس للتحري على بنت تكون عروساً لابنها وبعد التحري والسؤال الدقيق عن البنت والتأكد تتم الخطوبة وتحصل على الموافقة من الجانبين وتعطي الهدية المعتادة ويقال لها (نيشان) وهي قطعة من الذهب والأغلب تكون (محبس) أي خاتم تحلى به البنت المخطوبة ويوم اجراء مراسيم العقـد (أي المهر) يدعون الأقرباء والأصدقاء ووجوه المحلة للاشتراك فيه وبعد أن يكمل النصاب يتقدم إمام المحلة باجراء صيغة العقد بالاشتراك مع مختاري المحلة ثم توزع على الحاضرين أقداح (الشربات) ومناديل السكر وينصرف المدعوون بعد تهنئة والد العريس بزواج ولده الذي حتمت عليه التقاليد والعادات بعدم حضوره في حفلة العقد وقبل زفاف العروس إلى بيت العريس تشاهد جماعة من الحمالين يحملون جهاز العرس يتقدمهم وفد العريس ويسمى ذلك (حملة) وبعد أيام تزف العروس بموكب من النساء إلى بيت العريس بالهتاف والزغاريد (هلاهل) تمشياً على العادات المتبعة .

وفي يوم الخميس ليلة الجمعة يأتي موكب العريس تحفه جماعة من أصدقائه

وطارفيه وأبناء محلته تتقدمهم (الهوسة الشعبية) يرددون فيها (شايف خير اومستاهلها) و (زوجناه واخلصنا منه) ويعقب الهوسة جماعـــة يحملون



الهوسة الشعبية

عشرات (الفوانيس) جمع فانوس أي مصباح ثم ضاربوا الدمام والطبله ويبدأ هذا الموكب من المسجد (الجامع) الذي أدى العريس فيه صلاة العشاء ويحف بالعريس (سردوجان) واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقد شحذ فوق رأس كل واحد منهم سيف للمحافظة وهكذا حتى يصل الموكب إلى بيت العريس وهناك يودع العريس الذين شاركوه بهذا الاحتفال فيدخل إلى الحياة الجديدة من باب ما دخله من قبل

حفلات الختانه :

كان الوجهاء والمؤسرون في بغداد يومذاك يقيمون حفلات أفراح بمناسبة ختان أولادهم وتسمى (زفة أم سلاح) يتجولون فيها على ظهور الخيل ويشد على الخيل التي يمتطونها الأولاد الذين يختتنون أزهى الحلى من ذهب وفضة وفي اليوم المعين لاقامة الحفـــلة يجتمع الناس في ساحة باب المعظم أو ساحة (خانلاوند) قبل بنائها ثم يشرعون بالتجوال بالطرق الرئيسية في بغداد

وهم على ظهور الخيل معتقلين الرماح والسيوف يتقدمهم (الدمامات) والموسيقى والطبول والمزامير رافعين الأعلام الملونة . وما كان يطيب لهم إلا أن يملأوا



الخيالة في الزفة

أجواء بغداد بالأهازيج الشعبية بأصواتهم المملوءة فرحاً وسروراً وبعد تجوالهم يرجعون إلى بيت صاحب الحفلة يهنئونه بختان أولاده ويتناولون طعام الغداء عنده .

لعبة الساس :

ومن متممات أعراسهم وأفراحهم كانوا يقيمون حفلات أخرى نهارية تقام عصر كل يوم لمدة سبعة أيام تجري فيها لعبة شعبية يقال لها (ساس) وهذه اللعبة قديمة عرفت في بغداد من زمن قديم وهي رمز الشجاعة والفروسية . أما كيفية اللعب فبعد أن تجتمع الناس في بيت صاحب العرس أو الختان والطبول تضرب والمزامير تعزف ، وأشهر عازف على المزمار يومذاك خضير ابن كعب والد الاستاذ إسماعيل كعب المحرر بجريدة الزمان وعلى صوت

ضرب الطبل يبرز رجلان بيد كل واحد منهما سيف مسلول يلعبان بـه على وقع الطبل مراعيان الوحدة الموسيقية إلى أن يحمي الوطيس وهناك يهجم الواحد على الآخر فيتضاربان بالسيوف ويتقيان الضربات بدرقـة بيد كل واحد منهما والدرقة معلومة هي آلة من آلات الحرب القديمة وتسمى جُنة وبعد الفراغ من اللعب يتصافحان اللاعبان ويتعانقان لئلا تبقى حزازة بينهما ، ومع الأسف المرير أن هذه اللعبة تركت واهملت بل بادت ولم يبقَ لها أثر يذكر في بغداد .



لاعبي السـاس

« مجالس الأنس والطرب »

ما أحلا ليالي الأنس والطرب وإن كانت مقتصرة في بغداد يومذاك على السباحة في نهر دجلة بواسطة القوارب البلام جمع بلم لاسيما إذا كانت الليالي مقمرة والذهاب إلى (الجزرة) الكاورية وعلى الجلوس في مزارع الباقلاء (باجلة) وأحسن مزرع للباقلاء هي أرض (المميز) وتقع في طريق الاعظمية وأصبحت الآن دور ومدارس ، والجلوس في مزارع الباقلاء خاص بأناس تعودوا احتساء الخمر بها إذ تشاهدهم منبثين بها منتشرين في جوانبها وجلوسهم عصر كل يوم إلى وقت العشاء ولا تخلو هذه المجتمعات من غناء المقام العراقي وأغلبه مقام (البهرزاوي) وكثيراً ما كان المغني العراقي أحمد زيدان يجلس مع أصدقائه في هذا المزرع رافعاً عقيرته يغني والناس يستمعون اليه .

المقام العراقي والمغنين

المقامات العراقية تقسم إلى خمسة فصول تغنى تباعاً : الفصل الاول يسمى (فصل البيـــات) والثاني (فصل الحجاز) والثالث (فصل الرست) والرابع (فصل النوى) والخامس (فصل الحسيني) :

أما الفصل الأول وهو (فصل البيات) يتكون من المقامات الآتية : أولاً : (بيات) و (ناري) و (طاهر) و (محمودي) و (سيكاه) و (مخالف) و (حليلاوي) .

الفصل الثاني وهو (فصل الحجاز) يتكون من المقامات الآتية : أولاً (حجاز ديوان) و (قوريات) و (عريبون عجم) و (عريبون عرب) و (ابراهيمي) و (حديدي) .

الفصل الثالث وهو (فصل الرست) يتكون من المقامات الآتية : أولا

(رست) و(منصوري) و(حجازآجغ) و(جبوري) و(خنابات) و(شرقي) .

الفصل الرابع وهو (فصل النوى) يتـكون من المقامات الآتية : أولاً (نوى) و (مسچين) و (عجم) و (صبا) و (راشدي) و (مدمي) .

الفصل الخامس وهو (فصل الحسيني) ويتكون من المقامات الآتية : أولاً (حسيني) و (دشت) و (أرواح) و (أوج) و (حكيمي) و(بنجگاه) .

هذه هي المقامات العراقية نبثتها ما عدا (القصب) و (البردات) التي تدخل ضمن هذه المقامات وغير مستحسن أن تغنى على غير آلتي (الكمان والسنطور) . ولا يغرب عن البال ان كثيراً من المغنين العراقيين اشتهروا بغنـــاء المقامات العراقيـة أولهم (شلتاغ) و (أبو حميد) وقد نبغ بعدهما المغني (أحمد زيدان) فكان نادرة زمانه .



أحمد زيدان

وعاصر المغني أحمد زيدان مغنون كثيرون منهم خليل الملقب (رباز) و (صالح أبو دمـــير) و (روبيل رجوان) و (رحمـــين نفطــار) و (حسن الشـكرچي) و (ساسون زعرور) و (ابن شيخ الليل) (وشماي) و (حسقيل بيبي) و (سيد جميل) .

الجالغي البغدادي :

يتألف (جالغي) بغداد وهو الجوق الموسيقي البغدادي من فرقتين تحتوي على (الكمان) و (السنطور) و (دف) و (دنبك) .



جالغي بغداد وفي مقدمته المغني رشيد القوندرجي

الفرقة الأولى : تشتغل ليلاً في مقهى (المميز) في رأس الجسر القديم وقوامها كل من (القارئ) أي المغني المرحوم (أحمد زيدان) و (نسيم بصون) عازف على (الكمان) و (شاؤل بصون) عازف على (السنطور) و (حسقيل شاؤل) ضارب على (الدف) و (شاؤل زنكي) ضارب على (الدنبك)

والفرقة الثانية تشتغل عصر كل يوم في مقهى سبع بالميدان وقوامها كل من (القارئ) أي المغني (حسن الشكرجي) مرة و (السيد جميل) مرة أخرى.



السيد جميل

و(صالح شميل) عازف على (الكمان) و(حوكي بتو) ضارب على (السنطور) و (يوسف حمـــو) ضارب على (الدف) و (عبودي امعاطو) ضارب على (الدنبك) .

وعندما يغني المغني تشاهد الجالسين وعلى رؤوسهم الطير وكلهم آذان صاغية لاستماع ما يلقيه اولئك المغنون الذين حفظوا ألحان الغناء بالروايات والتدريس الشفوي المستمر .

البستات البغدادية القديمة

ولم تـكن المقامات العراقية تغنى يومذاك وحدها في (چالغي بغداد) بل يتخللها أغاني البستات عند نهاية كل مقام الذي يغنى ، ويأبى القارئ أن يغني البسته مع المغنين ومن أشهر تلك الأغاني أغنية (ما دار حسنه ابشمر)[1] و (لابس ضريبي) و (امسلم ولا امفارج هـــله) و (گمره وربيعه) و (لولا الشعر ينباع) و (يلزارع البزرنـگوش) و (حوّل خيال الشـكره) وغيرها ومن الأغاني التركية أغنية (عربي فلاهي) أي فلاحي وأغنيـــة (نريه گدرسن يا بيك) بمعنى أين ذاهب يا بيك وغيرها وهذه الأغاني بادت وكأنها لم تـكن .

رشيد القوندرجي

وبعد ممات اولئك الذين كانوا يشنفون آذان المستمعين بأغانيهم لم يمت المقام العراقي فقد قيض الله له من يعتزون به ويجيدون غنائه ومنهم (رشيد القوندرچي) فقد كان حسن الأداء ومن فطاحل المغنين المشهورين في بغداد

---

(١) ان هذه الأغاني مجموعة بنصها لدى المؤلف

الذين شهد لهم المقام العراقي
أخذ رشيد القوندرجي غنـــاء
المقام العراقي عن استاذه المرحوم
أحمـــد زيدان وقبض على زمام
اصوله بيد من حديد فيستطيع
أن يسمعك المقام العراقي من الفه
إلى يائه بدون تكلف ويشهد له
غناؤه المسجل بالاسطوانات الذي
نسمعه بين الآونة والأخرى والذي
سيبقى خالداً خلود الدهر توفي
في شهر صفر سنة ١٣٦٤ هـ يقابلها
سنة ١٩٤٥ م .



رشيد القوندرجي

يوسف حوريش :

وعلى ضوء كتابة هـــذه
الأسطر يجب أن لا ننسى المغني
(يوسف حوريش) الذي لم يجعل
الغناء مهنة له إلا في أيامه الأخيرة
وهو مغني اجيد أخذ الغناء عن
أحمد زيدان وعن روبيل رجوان
وأتقن أدائه حتى أصبح من
المغنين المعدودين اشتهر بمقـــام
واحد هو مقام (الخنابات) بعد
أن سجله باسطوانة لاقت إقبالاً



يوسف حوريش

عظيماً عند هواة المقام العراقي . ومن سوء حظه لم يرق له المقام في بغداد بل أسقط جنسيته العراقية وذهب مع من ذهب إلى فلسطين وفيه يصح قول القائل :

ما زاد حوريش في الاسلام خردلة ولا النصارى لهم شغل بحوريش

نجم الشيخلي

كان مغنياً جهوري الصوت و في أول أمره انخرط مع زمرة الشغالة في حفلات المنقبة النبوية الشريفة وقد أخذ يصول ويجول فيها مستعيناً بصوته



نجم الشيخلي

حتى اشتهر وبعد احتلال بغداد اعتلى كرسي الغناء في مقهى عزاوي بالميدان

فكان الاقبال عليه منقطع النظير وحينما وردت ماكنة تسجيل الاسطوانات على الحاكي إلى بغداد كان في طلعة من دعوا اليها وسجلت له اسطوانات عديدة لا زلنا نسمعها بين الآونة والأخرى .

محمد القبانجي

لم تعرف بغداد في تاريخها الحديث والقديم مغنياً ومطرباً كالمطرب الأستاذ محمد القبانجي ، لقد حفلت سيرته بأعاجيب فنية وامتلأت حياته بمواقف موسيقية ملء صداها الأندية فارتفع بها إلى مستوى فن المقام العراقي .



محمد القبانجي

كان الاستاذ القبانجي هبة من مواهب الفن وفرحة من فرحات الموسيقى الشرقية

لم يأخذ الاستاذ القبانجي الغناء العراقي عن أحد (كما قيل) بل استولى

عليه بفطرته الغنائية وذكائه العراقي فكان مطرباً بارعاً ومغنياً فصيحاً .
سمعته لأول مرة فقلت له : أشهد انك خاتم المغنين يا محمد .

نبذة وجيزة عن مقام البهرزاوي :

إن كل عراقي أو بغدادي يشعر بلذة الغناء يستطيع أن يغني شيئاً من المقام البهرزاوي ، وبهذه المناسبة أذكر نبذة وجيزة عن تاريخ هذا المقام الذي تضاربت فيه الآراء وتكاثرت فيه الأقاويل فمن قائل يقول إنه غناء دخيل أي جاء من بلد آخر ، وآخر يقول إنه فارسي الأصل ، وأنا على يقين لو أن الذين تقولوا فيه فكروا جيداً لعلموا انه مقام عراقي عريق بطابعه ونبرته بهرزاوي بوضعه ، وأقرب دليل على ذلك انه لا يغنى فيه شعر فصيح عربياً كان أو فارسياً أو تركياً وإنما يغنى به (الموال) العربي أي (زهيري) بتعبير البغداديين والموال من وضع العراقيين بلا تنازع بشهادة الشيخ شهاب صاحب كتاب (السفينة) حيث قال : أول من نطق بالموال أهل (واسط) وواسط (الحي) مدينة عراقيـــة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي بالبطيحة سنة ٨٣ هـ وفرغ منها سنة ٨٦ هـ

أما كيفية وجود هذا المقام وتسميته (بهرزاوي) هي ان في قرية بهرز جماعة من هواة المقام العراقي كانوا يجتمعون في بيت رجل إسمه (صالح القدري) وهذا البيت من البيوت القديمة في تلك القرية وقد اتخذ ندوة سمر لاولئك الهواة وفي ذات ليلة اجتمعوا فيه كعادتهم وأخذوا يتحدثون عن المقام العراقي كما هو شأنهم حتى انتهى بهم الحديث إلى مقام (الابراهيمي) المشهور هل هو من وضع المغني ابراهيم الموصلي أو وضع ابراهيم بن المهدي الخليفة العباسي فاختلفوا فيه فشرع أحدهم بغنائه والجماعة يصغون اليه بكل جارحة من جوارحهم وطبعاً ان مقام (الابراهيمي) هو من نغم (البيات) كما هو مثبوت في كتابي المسمى (نيل المرام في قاموس الانغام) المعد للطبع وحينما

توغل به المغني إذا بالمستمعين يسمعون غير مقام (الابراهيمي) المألوف عندهم فاعترتهم الدهشة وطربوا له وقالوا هذا مقام جديد ما سمعناه من قبل ولما سألوا المغني عنه قال لا أعلم (هكذا طلع معي) واتفقوا على أن يكون ما غناه المغني مقام جديد وطالما هو من نفس نغم (الابراهيمي) (البيات) يجب أن يطلق عليه إسم (بهرزاوي) نسبة إلى واضعه الذي هو من قرية بهرز .

ولقد كانت حكاية المقام (الحويزاوي) قبله وهي أن أحد المغنين من أهل الحويزة أراد أن يغني مقام (المثنوي) المشهور ولما غناه طلع عنده غيره فسمي ذلك المقام (حويزاوي) نسبة إلى الحويزة ، والمثنوي مقام له شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية والفارسية والتركية .

ومن النادر أن يوجد مغنياً عراقياً في بغداد يغني غناء مقام (المثنوي) تماماً ! وكان المغني أحمد زيدان مع شهرته الفائقة بغناء المقام العراقي يذهب إلى الميدان ويجلس في (چايخانة) صغيرة لرجل إسمه (أمين دابي) يسمع منه غناء مقام (المثنوي) وحينما يسمعه يهز رأسه دلالة على إعجابه به وأحياناً يبكي لحسن الأداء وعذوبة الصوت .

ولنعد إلى مقام (البهرزاوي) وقد كان تسلية لكل بغدادي ولذلك ترى جماعة من البغداديين يجيدون غناءه إجادة تامة ومنهم :

مجيد كركر

مهنته قهواتي ومقهاه يقع في محلة الفضل وهذا المقهى كان ندوة فن يختلف إليه عشاق المقام العراقي يترأسهم المغني أحمد زيدان وكثيراً ما كان يخاطب مجيد كركر انك وإن لم تغن جميع المقامات العراقية فمقام البهرزاوي يغنيك عنها ، وبعد وفاة المرحوم أحمد زيدان سنة ١٣٢٨ هـ يقابلها سنة ١٩٠٢ م آلى مجيد كركر على نفسه أن لا يغني طول حياته ولما اعلنت الحرب العالميـــة

الاولى اخذ جندياً وذهب معا الجيش العثماني إلى جهـــة (أرضروم) ولم يعد إلى بغداد .

حسون مصطاف

هو والد المغني عبد القادر حسون كان مغنياً خلاً حسن الصوت قوي الحنجرة وكان ملازماً لأحمد زيدان لا ينفك عنه ليلاً ونهاراً حتى أتقن الغناء فصار من المغنين الذين يشار اليهم بالبنان ولم يمتهن الغناء طول حياته ، وإذا ما دعي أحمد زيدان إلى حفلة عرس يستصحبه وعندما يطلب من أحمد زيدان غناء مقام (البهرزاوي) جرياً على العادة يفسح المجال إلى حسون لغنائه ويقول إلى من طلبه (حسون يغنيه أحسن مني) وناهيك فى المباريات التي كانت تجري في مقهى مجيد كركر كان حسون أول الفائزين .

الحاج سبع القصاب

هو من محلة المهدية ببغداد ومهنته (جزار) قصاب وكان شجي الصوت أعذبه وكان يجيد غناء المقام (البهرزاوي) وإذا أراد أن يغنيه يجلس في مقهى (حمدي النهر) فى سوق الفضل تجاه النافذة المطلة على ساحة جامع الفضل وبعد أن تتم صلاة العشاء يشرع بالغناء وكان المرحوم العلامة عبد الوهاب النائب يجلس في الجامع بعد الصلاة يسمع غناءه وهو معجب به غاية الاعجاب .

أحمد ملا علي

له ولع بالغناء العراقي ويجيد غناء المقام (البهرزاوي) وهذا الرجل من بيت جاه ونعمة في قرية (الهويدر) التابعة إلى مدينة بعقوبة .

انصل أحمد ملا علي بالمغنين البغداديين وأخذ الغناء عنهم ويدعي انه أخذ المقام (البهرزاوي) عن المغني الشهير (خليل رباز) وإذا غناه لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من (شعبه وميانا ناته) إلا ويأتي بها .

السيد شاكر البناء


السيد شاكر البناء

كان السيد شاكر البناء مغنياً شجي الصوت أخذ الغناء عن المغني الشهير الحاج محمود البصري في مدينة البصرة وأصبح من المغنين المبرزين ولم يحترف مهنة الغناء إلا فى أواخر أيامه بعد أن كف بصره

وكان يجيد غناء المقام البهرزاوي وكثيراً ما كان يغنيه في محطة الاذاعة ببغداد ويبكي .

البستات العراقية الحديثة

لقد ظهرت أغاني عديدة في بغداد وكانت لا تظهر إلا بالمناسبات ومنها في سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها سنة ١٩١٨ م ظهرت فى مدينة الموصل أغنية (علروزنه) ولرقة نغمها وحسن معانيها التي لا تخلو من عواطف الحب انتشرت فى بغداد انتشاراً عظيما ومناسبتها أن فتاة في مدينة الموصل كانت مخطوبة لأحد أقربائها وكانا يتبادلان الحب النزيه ويتحادثان بواسطة كوّة صغيرة في الجدار الذي يفصل بين داريهما ، وأهل الموصل يعبرون عن الكوة باسم (روزنه) وأهل بغداد (رازونه) ، ولما علمت أم الفتاة ان ابنتها تتحادث مع خطيبها بواسطة تلك الكوة أغلقتها منعاً للاتصال بينهما قبل عقد الزواج ولم تكتف الأم بهذا العمل بل قالت : (علروزنه الروزنه كل البلا بيها) وعلى الفور أجابتها ابنتها : (واشمملت الروزنه گمتي سدتيها) وبهذه الكلمات أصبحت أغنية .

ومثال تلك المناسبات أن بعض من تعود على احتساء الخمر الجلوس في الحانات أي (المايخانات) لأن بغداد لم يكن فيها يومذاك فنادق وبارات كما هي اليوم وهذه (المايخانات) عبارة عن مواخير مظلمة لا يدخلها شمس ولا هواء ولهذه الحالة التعيسة قال بعض الجالسين لرفقائه وهو ثمل (سكران) إسمعوا يا جماعة :

فتح ورد البـــاجله عيشة كدر وامذله

ومعنى كلامه ان وقت الربيع قد حل وورد الباقلاء قد تفتح قوموا بنا لنذهب إلى هناك يريد بذلك مزرع الباقلاء فبهذه المناسبة كانت هذه الأغنية .

ومناسبة أخرى : إن شاباً من أهل بغداد كان يذهب مع بعض أقاربه إلى الجزرة (الكاوورية) والجزرة تظهر في نهر دجلة بعد انخفاض الماء في الصيف وكان ذهاب الشاب إلى الجزرة بعلم من صديق له وكثيراً ما كان صديقه يطلب منه أن يرافقه والشاب لا يقبل فقال له صديقه يوماً وهو يلاطفه :

يعجبني نزله اوياك الكاووريه تعطش وشربك ماي بچفوف ايديه

والمعنى ظاهرة فأصبح هذا أغنية والناس يغنون بها .

ومناسبة أخرى : إن فتاة زوجها أهلها بمن لا تهواه وكان صداقها بالعملة التركية (نوط) ورق في وقت كان هذا (النوط) في غاية التدهور وكانت الليرة الورق يومذاك تساوي ربع دينار ، فقالت الفتاة :

أنا المسچينه أنـــا أنـــا المظيليمه أنا !

أنا الباعـــوني هلي بالنوط والوعده سنه

أما الوعدة سنة فقد كتب على النوط التركي بعد مرور سنة من انتهاء الحرب يعطى بدله ليرة ذهب !

ومناسبة أخرى : إن فتاة زوجها أهلها دون رغبتها ولحسن حظها لم يمض على زواجها مدة من الزمن حتى توفي زوجها وبعد وفاته بمدة أعاد أهلها عليها الكرة وأرادوا زواجها مرة أخرى طمعاً في صداقها وكلما حاولوا إقناعها

فلم يفلحوا وأخيراً وسطوا أحد السادة من أقربائهم لاقناعها وقد خابت وساطته رغماً عن نصائحه وإرشاداته وبعد هذا ظهرت أغنية :

صادوني وانحليت ما بعد أوالف   حچي الحچيته اوياي كله سوالف
مظلومه يسيد آني مظلومه يمظلومه

ومناسبة أخرى : إن فتاة كانت مخطوبة لابن عمها وكانا يتبادلان الحب وقد تعود ابن عمها عبور نهر دجلة والذهاب لمقابلتها وصادف أن فاض نهر دجلة كعادته في كل عام وانقطع الجسر وقـــد تعذر عليه عبور نهر دجلة بواسطة (القفف) جمع قفة ودام ذلك الفيضان أيام فخرجت الفتاة تشاهد النهر والفيضان على أشده فقالت :

ميّـك لحدر الساك يا شط عسنك   محرمني شوف اهواي يلكلها منك

والمعنى : ان الفتاة حينما شاهدت النهر وأمواجه تتلاطم أخذت تدعي عليه على أن يكون ماؤه منخفضاً إلى الـكعبين .

ومناسبة أخرى : في أول إعلان الحرب العالمية الأولى ان جندياً جاء ليودع أهله ليلتحق بالجيش المحارب فخاطبته ابنته وقالت :

يمسافر الله اوياك اوكف دحاچيك   خاف الفراك يطول ما بعد ألاچيك
يا بابه خـــذني اوياك   مگـدر على فرگاك
تواعدني چاون الـگاك   روحي العزيزه تفداك

فصار كلامها أغنية وهـكذا كانت تظهر الأغاني ولا تتلاشى الأغنية حتى تظهر غيرها .

أغاني اليهود :

ولليهود في بغداد أغاني خاصة تغنى في حفلات أفراحهم ويغنيها جماعة من النساء على آلة (الدف) و (الدنبك) و (النقارة) وهـــذا الجوق يسمى (الدقاقات) .



جوق الدقاقات

وكثيراً ما كنا نسمعها في بعض الليالي ومنها :

عفاكي عفــاكي على فنــــد المملتينو

أنا اتعبتو أنا اشقيتو على الحاضر أخذتينو

وأشهر مغنية ودقاقــــة امرأة إسمها (مسعودة الجبيلية) نسبة إلى مدينة (بمبي) .

ميزان العبير

الشائع عن ناظم باشا والي بغداد انه كان يتجول في بغداد وأطرافها وفي ذات يوم أثناء تجواله في الجهة الشرقية في محلة الفضل شاهد على البعد علماً قائماً في وسط ساحة كبيرة مسوّرة ببناء من طين (طوف) جمع طوفة وهذا هو البناء الذي كانت تقيمه الطبقة الفقيرة في بغداد يومذاك ، وهذا العلم كان أحمر اللون تتوسطه نجمة وهلال من لون أبيض لايختلف عن علم الدولة العثمانية وتساءل ناظم باشا عن وجود هذا العلم في الساحة النائية عن عمارات بغداد

فأجابه مرافقه هذا (ميدان العبيد) فاغتاظ الوالي وأمر بانزال هذا العلم ومن ذلك الوقت لم تقم له قائمة ولم يستعض غيره . وايضاحاً لما نحن بصدده يجب أن يعرف القارئ من هم (العبيد) وما هو مبدأهم ؟ أما العبيد هم الزنوج ويقال لهم (نوبيون) وان أجدادهم نقلوا إلى الجزيرة العربية وبيعوا بسوق النخاسة وانتشروا في أنحاء بغداد ويسكن بعضهم بغداد في الجهة الشرقية في محلة الفضل ، ومن عقائد هؤلاء الزنوج التي يتمسكون بها أنهم ينقادون إلى رؤسائهم وآخر رئيس لهم عرفته هو الشيخ (مبروك) الذي كان يكنى أبا غريب .

أما (ميدان العبيد) هو الذي يؤدي فيه اولئك الزنوج شعائرهم وطقوسهم الدينية وهذه المراسيم لا تجري في البيوت وإنما تجري في الساحات ومن هذه جاءت تسمية (ميدان العبيد) ، وكيفية تلك المراسيم أنها تقام في ليالي الجمع تمشياً على عاداتهم ، والفرقة الموسيقية التي تشترك في المراسيم مؤلفة من عازف على (الطنبور) وتسمى باصطلاحهم (طنبورة) وضاربين على الطبول وهي الطبول غير المعروفة عندنا وقبل البدء بالعزف والرقص يقرأون سورة (الفاتحة) تبركاً بها ثم يتقدم الزنوج والزنجيات ويدخلون الحلقة المعدة للرقص وينشدون أولاً انشودة (التوبة) على نغم الطنبور وهي : (يالله يالله يا ربي توبة) ويستمرون بترداد هذه الانشودة حتى يبلغ الحماس أشده ثم يبرز زنجي يرتدي ملابس خاصة وقد ربط بوسطه قطعة جلد معلق بها (أظلاف) مواشي كالغنم والماعز يسمى (حبوب) ويقف بوسط الحلقة متكئاً على عصا ويبدأ بالرقص فيهتز ويرتجف فتحدث تلك (الأظلاف) خشخشة ، ويشترك معه في الرقص جماعة من الزنوج والزنجيات ويتحركون كما يتحرك وتشتد أقدامهم في الضرب على الأرض مع اهتزاز أجسامهم ويميلون إلى الخلف والأمام ويسمى هذا الرقص (هنكيمة) ويشتد الرقص حتى يبلغ ذروته فينهار رجل أو رجلان ويسحبان من داخل الحلقة إلى خارجها

يرتعشان ولم تهدأ حالتهم ما لم يكف العازفون عن العزف وبعد أن تهدأ حالة هؤلاء يرددون جميعهم بينهم وبين أنفسهم : الحمد لله ثلاث مرات .

الملاهي وأثرها

ومن حسنات ذلك العهد الغابر أن لا يوجد فيه للسفور أثر فالبنت التي عمرها عشر سنين لا تخرج من بيتها بدون عباءتين و (پوشي) برقع حرير أسود يغطى به الوجه ، ومن النادر أن تشاهد امرأة تخرج إلى السوق لشراء الحاجيات الغذائية حتى أن الماهي لا يوجد فيه نساء يغنين ويرقصن بل كنا نشاهد غلماناً يرتدون أردية نسائية ويتشبهون بهن على المسرح والمسرح يسمونه أهل بغداد (شانو) والملهى الوحيد هو ملهى سبع في الميدان

مقتل نعيم

وأذكر ان حادثة مؤلمة وقعت في ملهى سبع سنة ١٣٢٥ هـ يقابلها سنة ١٩٠٧ م ونحواها ان رجلاً يهودياً إسمه (سليم) قد خدع غلاماً مسيحياً إسمه (نعيم) وكان الغلام في غاية الحسن والجمال أتى به إلى بغداد ليشتغل في الملهى وفي كل ليلة يتهافت الناس على الملهى للتمتع بذلك الجمال الباهر فأحبه بعض أهل بغداد وأراد به المنكر فأبت نفس الغلام الزكية وكثيراً ما كان يغريه بالمال ويسترضيه بالوعود الخلابة فلم يفلح فجاءه ليلاً وهو (سكران) والملهى يضم المئات من الناس وأطلق عليه الرصاص فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض مخضباً بدمائه فحمل إلى مستشفى الغرباء وهناك ظل ملقى على فراش الألم الممض يعاني البوس الذي أحاط به حتى قضى نحبه ، وقد أرخ المرحوم معروف الرصافي عام وفاة ذلك القتيل بقصيدة عنوانها : (اليتيم المخدوع) وهي : -

قضى والليل معتكر بهيم ... ولا أهل لديـه ولا حميم
قضى في غـير موطنه قتيلاً ... تمج دم الحياة به الكلوم
قضى من غير باكية وباكٍ ... ومن يبكي إذا قتل اليتيم
قضى غض الشبيبة وهو عف ... مطهرة مـآزره كريم
سقاه من الردى كأساً دهاقاً ... عفاف النفس والعرض السليم
تجرعها على طرب ولكن ... بكف اليتم ليس له نديم
على حين الربابة في نواح ... يساجلها بهـا العود الرخيم
بحيث رقائق الألحان كانت ... بها الأجفان طافيـة تعوم
كأن ترنم الأوتار نعي ... وصمت السامعين بها وجوم
فجـاء الموت ملتفعاً بخزي ... وملء إهـابه سفه ولوم
وأطلق من مسدسه رصاصاً ... به في الرمي تخترق الجسوم
فخرّ إلى الجبين به (نعيم) ... كما انقضت من الشهب الرجوم
فبات مودعاً بعد ارتشاب ... حيـاة لا تناط بها الرسوم
لئن لم تبك من أسفٍ عليه ... سفاهتنا فقد بكت الحلوم
ولو درت النجوم له مصاباً ... بكته على ترفعها النجوم
عسى الشهباء تثأره فتبدي ... إلى الزوراء ما يبدي الخصيم
فـلم يقتـله ابراهيم فيما ... أرى بل ان قاتله سليم
أليس سليم الملعون أغوى ... نعيما فهو شيطان رجيم
وأخرجه من الشهباء غراً ... يتيما ما له أبـداً زعيم
وجاء بـه إلى بغداد حتى ... تخرمـه بـه قتل أليم
سأبكيه ولم أعبأ بلاح ... وأندبه وإن سخط العموم
ولما أن ثوى ناديت أرخ ... ثوى قتلاً بلا مهـل نعيم

١٣٢٥ هـ

الراقصات في بغداد

وعندما بزغت شمس الحرية سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها سنة ١٩٠٨ م صارت بغداد تمرح في عهد جديد من الأنس والطرب وفسح المجال للراقصات أن يدخلن إلى بغداد وأول راقصة حلت ببغداد (رحلو) الملقبة (جرادة) جاءت من مدينة حلب وعند وصولها إلى بغداد وقع الناس في سورة من العجب لهذا الشيء الذي ما كانت تألفه بغداد من قبـــل وتهافت الناس على المرقص (الملهى) تهافت يخشى منه على فساد الأخلاق فضلاً على ابتزاز ثروة الأهلين وأخذت الجرائد تنقد هذه الحالة فلم يكن هناك من سامع أو ملتفت وللشاعر معروف الرصافي مقطوعة نظمها بعد أن شاهد هذه الحالة وكانت بعنوان (بغداد بعد الدستور) وهي :

أرى بغداد تسبح في الملاهي	وتعبث في الأوامر والنواهي
رست حـــلانها الأرياف حتى	تناطحت الكباش مع الشياه
فيا بغداد ان الأمر جد	فخلي بعض هزلك في المـــلاهي
جميع الناس قد نفضت كراها	وأبدت للعلى نظر انتبـــاهي
وفيك معاهد الدستور تشقى	بغفلة غافـــل أو سهو ساهي

وظلت بغداد تسبح في هذه الموبقات وأعقبت الراقصة رحلو (جرادة) جماعة من الراقصات أذكر منهن (طيرة المصرية) و (فريدة استيتيه) و (حسنى دنكور) و (فريدة العراطة) و (بهية الانطاكية) و (شفيقة الشاميـــة) و (طيرة بنت الخانم) و (ملكة المصرية) و (فيروز أرمني) و (زكية السدية) وبنات حارة (ثريا وماري ورحلو) و (بهية سميكة) و (سمحة العوادة) و (ثريا الجمل) و (جميلة خاتونة) و (حسنى الشامية) و (نحلية هحادة) و (نحلية فوزي) وبنات لاطي (خانم وبديعة وشفيقة) و (زكية زلط) و (سرينة) و (ملكة) و(عيشة ابراهيم) و (التركية ألن)

و (ماري الرومية) و (ماريكة دميتري) و (حسيبة مكنو) و (منيرة المصرية) وغيرها . وظلت هذه الراقصات ضاربة كابوس اغوائها على السذج من أبناء بغداد إلى أن فرغت الجيوب وتفسخت الأخلاق من جراء إغوائهن والرقص الخليع الذي يستهوي القـلوب ويستفز الأفئدة ، والبغدادي الذي ماتعود على مشاهدة هذا الاغراء والنساء العاريات واقفـات على خشبة المسرح منهمكات في الاهتزاز والرجرجات لابد أن يقع في سورة من العجب ويحسب هذا فناً جديداً أبدعته حرية العثمانيين وناهيك الأغاني التي جئن بهـا والتي هي بعيدة كل البعد عن الذوق البغدادي ومن تلـك الأغاني : أغنية (حنا يا حنا يا عطر الندا) و (يا طيرة طيري يا حمامة انزلي) و (طلعت يا محـلا نورها شمس الشموشة) و (وعلى الهيبة والهيبة خدهرز الجليبة) و (يا نخـلة بالعلالي كل اثنين شبكو سوا) و (ويلي واويلي سمسمه أكلي وشربي سمسمه) و (يا منتسه يا منتسه بم اعيون الناعسه) و (يلطير الأخضر تسبح بالميّـة) و (بنت الجلبيه اعيونك لوزيه) و (يا ميمتي آه يا يمة) و (قـدك المياس يا عمري) و (زوروني بالسنة مره حرام) و (يلنايمه على غصون يا عيني)



الراقصة شفيقة الشامية

و (يا غزالي كيف عـــني ابعدوك) و (علزينو زينو أسمر وامكحله عينو) و (آه يا أسمر اللون حياتي الأسمراني) و (مرمر زماني يا زماني مرمر) و (على دلعونه على دلعونه) و (علي يا علي بياع الزيت) و (زوالف يابوزلوف عيني زلوفية) و (يا محلا الفسحة) .

وكل هذه الأغاني لم تلق رواجاً لدى البغدادي مثل أغانيه التي تعود على سماعها بشوق وتلهف وهو لا يزال يذكرها بشوق شديد ، وبعد أن شعر أصحاب الملاهي ان أهل بغداد سئموا ذلك الرقص الخليع وتلك الأغاني الرخيصة وان سير الملاهي أخذ بالتقهقر الشنيع مما يؤدي إلى الخسارة المادية فضموا إلى جوق الرقص جوق تمثيلي هزلي مؤلف من عدة أشخاص يقيمون بدوره آخر الليل ويسمى هذا الجوق (إخباري) .



الجوق الاخباري

وان مثل هذا الجوق التمثيلي وسيلة من وسائل تهديم الأخلاق إذ لا ينفك ممثلوه من إرسال الالفاظ البذيئة والحركات القبيحة دون أن يشعروا ما قاموا به

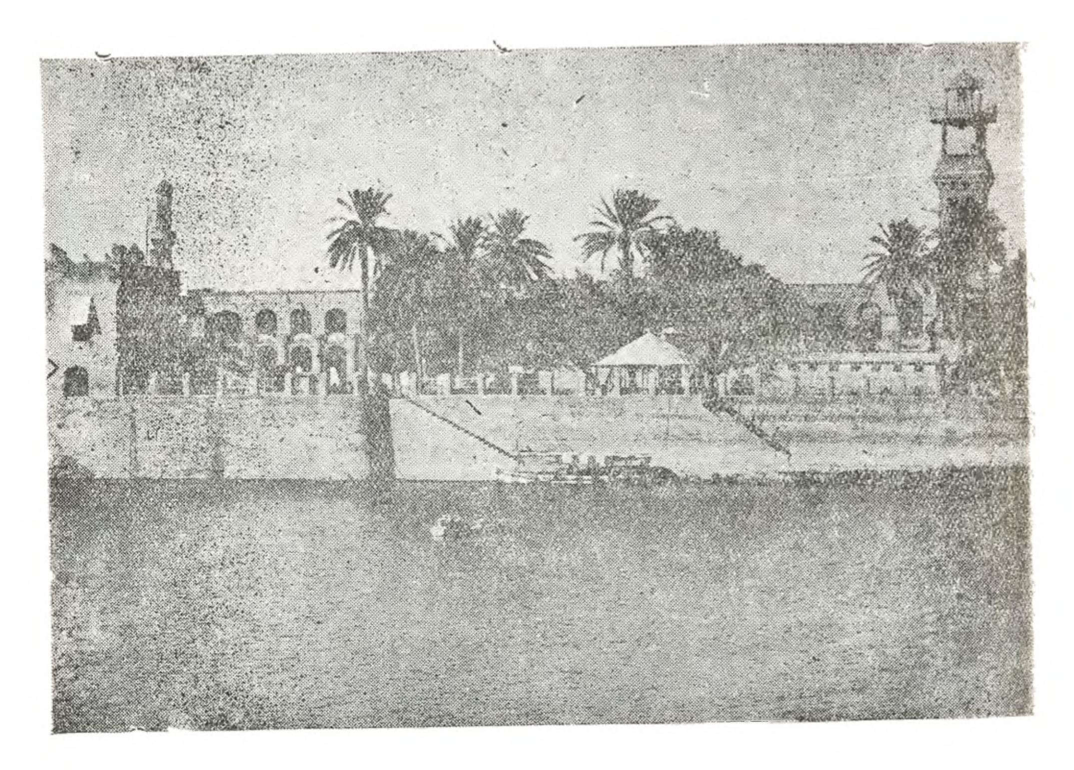
على مشهد من الجمهور المتفرج ، ولم يكن هذا الاخباري حديث العهد آنذاك فهو على غرار الفصول الهزليـــة التي كان يقوم بها الهزلي البغدادي المشهور (ابن الحجامة) وزميله الفكه (منصور) غير أنه منظم بملابس مزركشة فضلاً على إظهار الخناجر والسيوف ومشاركة النساء فى هذا العرض والبغدادي المرح بطبيعته يطرب لكل شيء ينعش خاطره ولذلك تشاهد الناس يلتفون حول رقص القرد فى الطرق وهم فرحين مسرورين لما يأتي به القرد من الحركات المضحكة ، والقرد يسمى باصطلاح أهل بغداد (شادي) وهذا الاسم ليس إسم القرد وإنما هو صفة لصاحب القرد لأنه يشدو والقرد يرقص على شدوه .

« السجون في بغداد »

للحكومة العثمانية ثلاثة سجون ببغداد ، الأول يسمى :

حبس الأوردي :

ومقره في (قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة وبمحله اليوم مديرية طابو بغداد الرصافة .



قشلة البيادة

وكان الشروع في بناية هذه القشلة سنة ١٢٧٨ هـ يقابلها ١٨٦١ م في أيام الوالي نامق باشا الكبير وفي عهده لم يكمل بناؤها وقد أكمله الوالي مدحت باشا وأقام في ساحتها ساعة كبيرة وهي إلى الآن موجودة غير أن قمتها قد

تبدلت والغرض من وجود هذه الساعة في القشلة هو ايقاظ الجنود إلى أوقات التدريب العسكري ، وهذا السجن يضم الجنود الذين يفرون من الجندية وبضمنهم الذين يرتكبون الجرائم وهم تحت السلاح .

أما سبب تسميته (بحبس الأوردي) نسبة آلتچن اوردي أي الفيلق السادس للحكومة العثمانية وللحكومة العثمانيـــة إذ ذاك سبع اورديات الأول (استانبول) والثاني (ادرنة) والثالث (سلانيك) وهي المدينة التي اتخذت مقراً للسلطان عبد الحميد بعد خلعه من عرش السلطنة العثمانية والرابع (الشام) والخامس (ارضروم) والسادس (بغداد) والسابع (اليمن) والذي يشرف على هذا الحبس (مركز قومنداني) أي آمر انضباط وقد تولى هذا المنصب أتراك وعرب وأعرف منهم (زكي بك) العزاوي و (محمود ســامي بك) و (عبدالجبار بك) وآخرهم (محمود بك) الذي أمر أن يكتب على باب (الاكمكخانه) أي مخبز الجيش الحالي الآية الشريفة قوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً) وقد غضب قائد الجيش بعد الاطلاع عليها وأمر بسوقه إلى جبهة الحرب ورفـــع هذه الآية الكريمة عن الباب .

و (لمركز قومنداني) معاونون عرب وأتراك منهم (محرم) أفندي و (يونس) أفندي و (چچان) و (نوزاد) وهو تركي شرس الأخلاق سيء الطباع وأعرف المرحوم الحاج (رشيد) الشبلاوي والد الاستاذ حقي الشبلي كان برتبة (قانون ضابطي) أي ضابط الانضباط والحاج (جاسم) البياتي برتبة (قانون چاوشي) أي عريف انضباط وهؤلاء مقرهم في (قشلة الپيادة) أي ثكنة المشاة .

حبس القلعة

وبعد سجن الأوردي يأتي سجن القلعة ويضم هذا السجن المجرمين الاهليين .

الذين يحكم عليهم بمدد مختلفة من الثمان سنين إلى العشرين سنة ، وسجناء القلعة أكثرهم يزاولون مهنة خياطة (العبي) جمع عباية وهي من متممات الأزياء العراقية كما نوهنا عنها وكان مديراً لهذا السجن رجل تركي .

حبس السراي

ويأتي بعد سجن القلعة سجن السراي مديره (محمد أفندي) المشهور (ابن كردة) وهو والد السيد مصطفى الموظف بدائرة الري ببغداد ، ومحل السجن اليوم وزارة الداخلية ويضم هذا السجن من يحكم عليهم من الشهر إلى ما فوق ، وهذه السجون الثلاث ليست كالسجون التي عندنا اليوم فالحكومة العثمانية لا تعطي للسجين أكثر من ثلاث صمونات يومياً وقد أثارت هذه الحالة في السجون نفسية الشاعر معروف الرصافي وما كان يعانيه السجناء فنظم قصيدة بعنوان (السجن في بغداد) وهي :

سكنا ولم نسكن حراك التبدد	مواطن فيها اليوم أيمن من غد
عفى رسم معنى العز فيها كما عفت	(لخولة أطلال ببرقة ثهمد)
بلاد أناخ الذل فيها بكلكل	على كل مفتول السبالين أصيد
معاهد فيها ضل سابق عزها	فهل هو من بعد الضلالة مهتد
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب	إلى أن محتها معهداً بعد معهد
وحلق في آفاقها الجور بازياً	مطلاً عليها صامتاً بالتهدد
وينقض أحياناً عليها فتارة	يروح وفي بعض الأحايين يغتدي
فيخطف أشلاءاً من القوم حية	ولم يقد المقتول فيها ولم يد
ويرمى بها في قعر أظلم موحش	بها أين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما أدراك ما السجن انه	جلاد المنايا في مضيق التجلد
بناءاً محيط بالتعاسة والشقا	لظلم بريء أو عقوبة معتد
زر السجن في بغداد زورة راحم	لتشهد للا نكاد أفجع مشهد

محل به تهفو القلوب من الأسى فان زرته فاربط على القلب باليد
مربع سور قد أحاط بمثله محيط بأعلى منه شيد بقرمد
وقد وصلوا ما بين ثان وثالث بعقود سقف بالصخور مشيد
وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحة تمور بتيار من الخسف مزبد
وفي وسط السور الشمالي تنتهي اليها بمسدود الرتاجين موصد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت مخاريق ضيم تخلط الجد بالدد
ثلاثون متراً في جدار يحيطها بسمك زها بالعشر في الجو مصعد
تواصلت الأحزان في جنباتها بحيث متى يبلى الأسى يتجدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها بخار إذا تمرر به الريح تفسد
هناك يود المرء لو فاه نفسه وأطلقها من أسر عيش منكد
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً إلى حجر قامت على كل مقعد
مقابر بالأحياء غصت لحودها بخمس مئين أنفس أو بأزيد
وقد عميت منها النوافذ والكوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن إذا صدر النهار دخلتها كأنك في قطع من الليل أسود
فلو كان للعباد فيها إقامة لصلوا بها ظهراً صلاة التهجد
يزور هبوب الريح إلا فناءها ولم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما على كل حيزوم صفائح جلمد
وحتى كأن القوم شدت رقابهم بحبل اختناق محكم الفتل محصد
بها كل مخطوم الخشام مذلل متى قيد مجروراً إلى الضيم ينقد
يبيت بها والهم ملء إهابه بليلة متبول الحشا غير مقصد
يميت بمكذوب العزاء نهاره ويحيي الليالي غير نوم مشرد
ينوء بأعباء الهوان مقيداً ويكفيه أن لو كان غير مقيد
وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم لحر الساحة المتوقد
فيرجع في بعض حصير ظلاله ويجلس فيها جلسة المتعبد

وليست تقيـه الحر إلا تعلة لنفس خلت من صبرها المتبدد
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظللاً يعدونه رب الطراز الممـدد
تراهم نهار الصيف سفعاً كأنهم أثاثي أصلاها الطهـاة بموقـد
وجوه عليها للشحوب مـلامح (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقـد عمهم قيد التعاسة موثقاً فـلم يتميز مطلق من مقيد
فسيدهم في عيشة مثـل خادم وخادمهم في ذلة مثـل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح خبـائث مهما يزدد الحر تزدد
تدور رؤوس القوم من شم نتنها فمن يك منهم عادم الشم يحسد
تراهم سكارى من عذاب وما هم سكارى ولـكن من عذاب مشدد
وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة وما هو من دود بها متولد
ألا رب حر شاهد الحكم جائراً يقود بنـا قود الذلول المعبد
فقال ولم يجهر ونحن بمنتـدى به غير مأمون الوشاية تبتدي
على أي حكم أم لأيـة حكمة ببغداد ضاع الحق من غير منشد
فأدنيت للنجوى في نحو سمعه وقلت لأن العدل لم يتبغدد
رعى الله حياً مستباحاً كأنه من الذعر أسراب النعام المطرد
وما صاحب البيت الحقـير بناؤه بأفزع من رب البلاط الممرد
وما ذاك إلا أنهم قـد تخاذلوا فلم ينهضوا للخصم نهضة ملبد
فناموا على الجلى وتمت كنومهم سوى نومـة مني بشعر مغرد
وهل أنا إلا من اولئك إن مشوا مشيت وإن تقعد اولئك أقعد
وكم رمت ايقاظاً فأعيا هبوبهم فـكيف وعزم القوم شارب مرقد
نهوضاً نهوضاً أيهـا القوم للعلى لتبنوا لـكم بنيان مجد موطد
وسد علينا الاعتساف طريقنـا فأجحف بالغوري والمتنجد
فيا رب نفس من كروب عظيمة ويا رب ضعف من عذاب مشدد

المخافر ورجال الأمن

كانت ببغداد (قولغات) جمع قولغ أي مخفر منبثة في محلات بغداد يشغلها رجال البوليس والدرك (الجندرمة) وأذكر منها مخفر محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية ومخفر محلة السور وقد صار داراً وهو قرب دار المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومخفر محلة حمام المالح وقد تهدم ومخفر محلة قنبر علي وقد صار ضمن الشارع ومخفر محلة أبي سيفين وقد صار داراً ومخفر محلة الشورجة ولا زال إلى الآن ومخفر محلة رأس القرية وقد صار حوانيت ومخفر محلة الحيدرخانة وقد صار حوانيت ومخفر محلة السنك وقد انمحى ومخفر محلة باب الشيخ ولا زال إلى الآن ومخفر باب الشرقي وقد انمحى ومخفر الشيخ عمر مقابل جامع الشيخ عمر وقد تهدم في غرق بغداد سنة ١٣٣٣ هـ وصرف النظر عن تعميره وفي الكرخ مخفر محلة الشيخ بشار ومخفر محلة الجعيفر ومخفر محلة علاوي الحلة ومخفر (المنطكة) وسط الطريق بين بغداد والكاظمية ، وهذه المخافر لم يبق لها أثر وكان يشغلها رجال البوليس والجندرمة ، فمن مشاهير رجال الجندرمة أعرف منهم عبد الرحمن آغا والد السيد عبدالمجيد الموظف في دائرة الكمرك ومكوس ببغداد ، وسلمان أفندي المشهور بابن (ابليد) ، وعلي سور ، ورجال الجندرمة أمراؤهم (آلاي بيكي) و (آلاي أميني) ومقرهم في جناح السراي محل مديرية شرطة لواء بغداد اليوم ، ورجال البوليس أعرف منهم صالح أفندي والد السيد محمد الموظف في أمانة العاصمة واشتغل صالح أفندي مفتشاً في دائرة بلدية بغداد ولما شوهد فيه الجدارة التي تؤهله أن يكون بوليسياً نقل من دائرة البلدية إلى دائرة البوليس برتبة (قومسير) ثم رفع إلى رتبة (سر قومسير) أي قومسير أول وقد اشتهر صالح أفندي بقوة بأسه وكان الرجل الوحيد لتعقيب الجناة

ومطاردة الأشقياء توفي سنة ١٣٣٦ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية .

ويأتي بعد صالح أفندي رفعت أفندي المشهور (برفعت البوليس) وهو برتبة (سر قومسير) ومن عجائب هذا الرجل انه كان ضخم الجثة بطيناً والذي يشاهده لأول مرة يعتقد انه لا يتمكن من السعي على قدميه إلا بتكلف وإنما هو خلاف ذلك فاذا ما عقب الجناة والأشقياء وركض خلفهم تراه يركض بخفة الغزال وقد لعب دوراً كبيراً ما لعبه أحد من قبله ، توفي سنة ١٩١٩ م .

((مشاهير الأشقياء))

الأشقياء الذين قاموا بوجه الحكومة العثمانية كثيرون منهم من قضى نحبه قتلاً ومنهم من لاقى حتفه طريداً

وكيف لا يكونون أشقياء وعصاة بوجه الحكومة والسياسة الخرقاء والاضطهاد المستمر هما السبب الفعال لتذمرهم الأمر الذي دفعهم إلى شق عصا الطاعة والنظر إلى الحكومة بعين الازدراء والاحتقار فاطلقت عليهم إسم أشقياء مجرمين ، كيف لا يكونون مجرمين ويرون أمام أعينهم سابقيهم من اخوانهم وأبناء جلدتهم يرسفون فى قيد الحرمان المادي ولم يجدوا إلى نيل مآربهم غير السطو على الناس وأخذ ما فى البيوت والمنازل عنوة وسلباً ولو أنها فكرت قليلاً لعلمت أنها شريكة اولئك المجرمين لأنها غرست بذور الشر فى نفوسهم منذ نشأتهم ولو أنها تعهدت بتربيتهم وفتحت بوجوههم أبواب المعاهد العلمية والمعامل الصناعية ما آل أمرهم إلى هذا الحد ووصل اليه ما وصل ، أما كان باستطاعتها أن تنظر اليهم نظر الأب الشفوق لأبنائه ، وتغدق أصناف النعم عليهم ولكنها نامت عنهم نوماً طويلا حتى إذا استيقظت على أزيز الرصاص شمرت عن ساعدها لتمثل منظراً من مناظر الشجاعة الجوفاء فأوعزت إلى جندها بالضرب على أيدي اولئك الذين أسمتهم أشقياء مجرمين . ما ضرها لو صفحت الصفح الجميل عنهم بدلاً من الفتك بهم وقد قال (لامرتين) إن كان من العدل عقاب المجرم فمن الرحمة الاشفاق عليه ولكنها ويا للأسف أخذت تعاملهم بالعكس وتزجهم فى السجون فقضت على بعض والبعض الآخر ظل يهددها بوثائمه فلم تتمكن من ردعه ، ومن مشاهيرهم :

عباس السبع

كان بطلاً لا يهاب سطوة الحكام ولا يخشى قوة الجنود وكثيراً ما كان

يدحرهم عند اصطدامه معهم ، وفي آخر سنة ١٣٢٧ هـ من ليلة ساد فيها السكون ونامت العيون وقد هب نسيم الصيف العليل وأرسل القمر أشعته الفضية في سماء الجانب الغربي (الكرخ) سمعت طلقات رصاص متوالية وصراخاً حاداً نحواه (ثبت ثبت) بالتشديد مصدرها من بستان (المتولية) قرب (المنطكة) أي المنطقة وعند الصباح شاهد فلاحوا البستان الذين قبعوا في أكواخهم عند وقوع الحادثة ثلاث جثث من رجال الجندرمة ملقاة بين أحراش البستان وقد أصيبوا برصاص (عباس السبع) الرجل الذي كان يأخذ (الخاوة) من التجار بمجرد ارسال خبر اليهم ولذلك خاصمه جماعة من جانب الكرخ فلم يتمكنوا عليه ، والمشهور عن عباس السبع هو الذي قتل (كدرون جاوش) وهذا الرجل من سلك الجندرمة ومن الرجال الأشداء وكان جميع أشقياء بغداد يأخذون الحذر منه لئلا يبطش بهم .

أما كيفية وقوع عباس السبع في فخ الحكومة هو ان زميله ومعتمده الشقي خماس المشهور (ابن شاله) اقترح عليه أن يسطو على دار أحد الاغنياء المسيحيين في (عقد النصارى) بمحلة رأس القرية وبعد أن اتفقا شربا الخمرة وسارا وقد مد الليل رواقه وفي الطريق التقيا بجماعة (الدورية) من رجال البوليس والجندرمة فتصادما معهم وقد تألبت قوة الدورية عليهما ولما نفذ عتادهما وضاقت بهما الحيلة دخلا مسجداً يقال له (مسجد فرج الله) في محلة بني سعيد وقد لاذا به وهناك قبض عليهما وبعد الفراغ من قتلهما مثلوا بهما تمثيلاً شنيعاً وقد شد كل واحد منهما بحبل وحصان يسحبه والناس ينظرون اليهما وقد شاهدت وراء جثة عباس السبع جماعة من الناس يهوسون قائلين : (عباس السبع يعطيع التجار) ومن خلفها جثة خماس ابن شاله تحيطها جمهرة من النساء يلطمن ويندبن قائلات : (يهل الزود اطلعوا ثارت الجيلات) والناس يبكون لهذا الحادث الذي تقشعر له الأبدان حتى وصلتا إلى ساحة السراي وبقيتا مطروحتان في الشمس إلى وقت الظهر ثم سلمتا إلى أهلها لدفنها .

صالح ابن الدهان :

من لم يعرف صالح ابن الدهان فليعرف انه كان من الأشقياء المعدودين فلقد أقلق رجال الحكومة وأوقعهم في مأزق حرج وأشغل بالهم طول حياته وله معهم مواقف عديدة وأعنفها موقفه الذي تصادم به مع (السر قومسير) صالح أفندي وجماعته في (القراغول) محلة الفضل وقد دام أكثر من ساعة واحدة سمع خلاله أكثر من مئة طلقة والناس فزعون في بيوتهم وقد استحوذ عليهم الخوف والفزع وبعد أن نفذ عتاد الشقي صالح ابن الدهان وظل أعزلاً فر من تلك الملحمه يريد العبور الي جانب الكرخ وعند وصوله إلى الجسر لم يكن ليعلم انه يقطع ليلاً برفع بابين عنه من الجانب الشرقي والغربي فسقط في النهر وذلك سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها سنة ١٩٠٨ م وفي اليوم الثاني اخرجت جثته من النهر وبعد التفتيش عليها وجد في جيبه عشرين ايرة عثمانية ذهب وشمعة ومسدسان و (قامة) صغيرة .

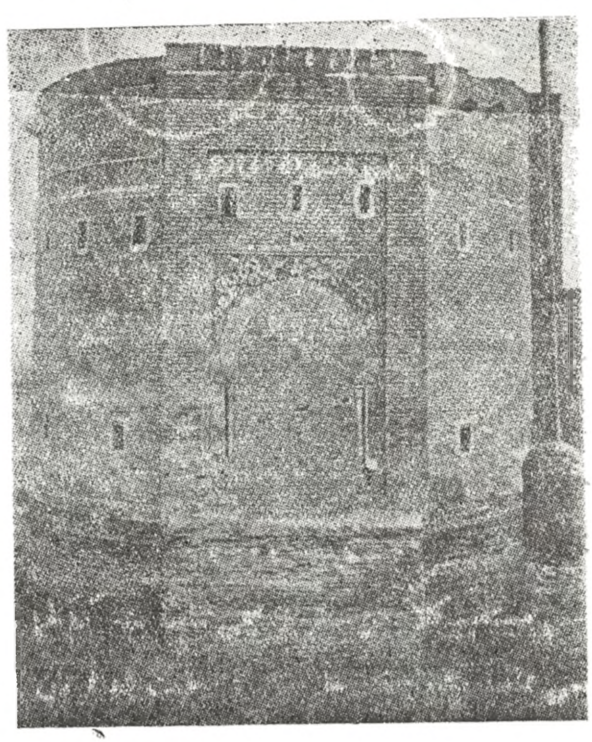
طه ابن الخبازة :

إذا نظرت الى طه ابن الخبازة تجده رجل أسمر اللون وسيم الطلعة تبدى بها عينان سوداوان تتألق بها الجرأة والاقدام متوسط القامة إذا مشى يمشي بهدوء ورزانة وإذا غضب يتطاير الشرر من عينه ، شقي شريف يغض النظر عن أموال الناس وأول عمل من أعماله الذي عرف بها اصراره على عدم اطاعة الحكومة وفراره من (العسكرية) الجندية ومن ذلك الوقت أخذ رجال الجندرمة يطاردونه من مكان الى مكان وهو لا يكترث بهم .

أخذ ابن الخبازة الشقاوة عن صهره محمود الملقب (ممودي) الذي سيأتي ذكره .

لقد كان ابن الخبازة كله أعين ساهرة لحماية أبناء محلته (الفضل) وحراسة دورهم من الذين تعودوا السلب والنهب ، ومن أعماله ما رواه لي الحاج جار الله الكرادي قال لي : إن ابن الخبازة لم يكن شقياً جسوراً فقط بل كان حارساً

أميناً للبساتين التي كانت تحت تصرفنا وكان يقضي أكثر أيامه في البستان المسمى (الربع) الصرافية بعيداً عن أنظار الحكومة وفي ذات يوم دعوته لتناول طعام الغداء معي قال لي بلهجته البغدادية : (خليها غير وكت) لأن الشط في حالة ازدياد ولا بد من العسكر يأتي لمحافظة السداد وذهب ماشياً على السدة وهناك شاهد امرأة مائعة في الشط وقابضة على صبي صغير وهي تصارع الأمواج الصاخبة فلم يكن منه إلا وألقى نفسه في الشط وأنقذ المرأة والصبي ونجاهما من الغرق وفي تلك الساعة داهمه رجال الانضباط وتصادم معهم وتوغل في البساتين ونجا منهم ، أما كيفية الفتك به ان جماعة من رجال البوليس والجندرمة تقابلوا معه ليلاً قرب (الطلسم) والطلسم على مقربة من الباب



الطلسم

الوسطاني وهو حصن من حصون بغداد التي جددها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٨هـ يقابلها سنة ١٢٢١ م وهذا الحصن على طراز الباب الوسطاني أحد

أبواب بغداد واستمر قائماً حتى الحرب العالمية الاولى وقد اتخذته الحكومة العثمانية مدخراً للأسلحة والعتاد فاضطرت إلى نسفه أثناء تخلية بغداد ، وكان وكراً للأشقياء وعلى مقربة منه تقابل رجال البوليس والجندرمة مع ابن الخبازة ودامت المقابلة زهاء نصف ساعة وقع بها ابن الخبازة قتيلاً بعد أن قتل جندياً واحداً وذلك في سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها ١٩١٢ م .

عمران الشبلاوي

الشقي الذي عاش في عهد الظلم والطغيان ، الشقي الذي عاش في وقت كانت القوة الغاشمة تسجن الأحرار وتبعدهم عن الأنظار ، الشقي الذي أقام من نفسه على نفسه حارساً يقظاً طول حياته ، الشقي الذي بات معانقاً بندقيته متوسداً مسدسه ، الشقي الذي مزق بصوته ظلام الليل الحالك وأرهب مناوئيه من رجال البوليس والجندرمة ، الشقي الذي نجا من صولة الأسد الكاسر وأفلت من بين أنياب الذئب الغادر ، هذا هو عمران وهذا هو فتى البرشبل ، لقد كان عمراناً شقياً مقداماً ارتكب عدة جرائم وأخيراً قبض عليـــه وزج في سجن القلعة ببغداد وبقي سجيناً حتى احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية ولما خرج من السجن أخذ يقاوم حكومة الاحتلال بكل قواه فقبض عليه وسجن فى (خان دله) نسبة إلى مالكه عبد القادر دله ثم فر وبقيت السلطة المحتلة تطارده وتقتفي أثره حتى القت القبض عليه في مدينة النجف فنقلته منها وسجنته فى مدينة الحلة ولم يبق في مدينة الحلة إلا بضعة أيام وفر منها وتصادم مع رجال الشرطة فقتل منهم شرطيان وظلت الحكومة تطارده وهو يتغلب عليها الأمر الذي دفعها أن تدفع جائزة مكافات عشرة آلاف ربية لمن يقبض عليه ولما علم بذلك توجه إلى مدينة الموصل والتحق بالحكومة العثمانية وبعد أن أعلن اطاعته عفيت عنه وعينته موظفاً في دائرة الاستخبارات وبقي فيها حتى نزوح العثمانيين عن الموصل فلم يلتحق بهم بل ذهب الى عشيرته (الكروية)

القاطنة في سفح (جبل حمرين) ولما علم به الشيخ خلف الجاسم شيخ مشائخ عشيرة الكروية استقبله استقبالاً باهراً ورحب به وأحسن وفادته وبعد مدة من اقامته بين أقربائه وأفراد عشيرته اعتراه مرض وقد اشتد عليه وظل يعاني الآلام من ذلك المرض وأنشد بيت (زهيري) موال وهو

لمين جفن سواعيد المجـد مني   يقنت بمر الجرا وا گريت يالمني
ناديت يا منزل السلوى مع المني   والدهر ياما جيوشه بالمراتب عجب
حتى عجبهم عن طريج الوده عجب   يارفـگتي لو طحت ماهو علي عجب
خلي التقادير تاخـذ حگها مني

وبعد أيام قليلة توفي وذلك سنة ١٩١٩ م

محمود الملقب (ممودى) :

هوأول الاشقياء المبرزين وزعيمهم الذائع الصيت وقد عاصر الشقي (سمرمد) وقتله لخلاص الناس من شره ولا عجب إذا ما قلت ان (ممودي) شقياً أبياً وبطلاً جسوراً وقد سمعت ممن أثق به حكاية طريفة عنه وفحواها أن أحد رفقائه جاءه يوماً وأمره ان تاجراً يهودياً قد تزوج حديثاً وان بداره الواقعة في محلة (قاضي الحاجات) الشورجة اليوم حلي كثيرة فهل توافق على أخذها وظل رفيقه يغريه بمثل هذه الأساليب الخلابة إلى أن قال له (عليها) وهذه الكلمة باصطلاح الأشقياء موافق ولكن على شرط أن أرى التاجر وتدلني على داره وفي هذه الليلة تكون هناك وبعد أن شاهد التاجر اليهودي وعرف موقع داره وجاء الليل سطوا عليها وأول من قدم على باب غرفة الدار (ممودي) ولما فتحها شاهد التاجر اليهودي وزوجته نائمين متعانقين وهناك وقف وخاطب نفسه : (خس عليك أبو شكر لا تسويها) وقال والله لا انغص عيشهما والتفت يميناً وشمالاً فرأى منضدة (ميز) وعليها التحافيات من ذهب وفضة ورأى فوقها كتاباً مغلفاً بقطعة من حرير علم منه انه كتاب مقدس فأخذه ولسان

حاله يقول : في أي كتاب من كتب الله المنزلة وفي أي سنة من سنن أنبيائه أن يعمد الرجل إلى رجل قابع في بيته فينتزع روحه من بين جنبيه ويفجع فيه أهله وقومه لأنه لا يدين بدينه وفي سطح الدار قال لرفيقه اسرع وانزل قبل أن يداهمنا (القول) والقول جماعة من رجال الأمن كما نوهنا وبعد أن نزلا سارا بأمان وفي الصباح الباكر ذهب (ممودي) إلى التاجر اليهودي بمحله وبعد أن ألقى التحية جلس والتفت التاجر اليهودي اليه وقال له (آمر) وهذه الكلمة مستعملة في بغداد إلى الآن فأخرج (ممودي) الكتاب الذي أخذه من بيت التاجر ووضعه أمامه فلما أن وقعت عين التاجر عليه حتى أخذه الوجوم وقال بلهجة الخائف الوجل : (ابدالك هـذا اتفليم مالنا مني جابو عندك) فتقدم (ممودي) اليه وحكى له كيف انه سطا على داره ليلاً وكيف وجده نائماً مع زوجته وقال له لقد اكتفيت بأخذ هذا الكتاب وقد جئت اليك لتشتريه بعشرين ليرة ذهب وإلا ارجعه إلى مكانه وانك إذا اشتريته بهـذا المبلغ نبقى أصدقاء مدى الحياة فسكت التاجر قليلاً ولم يكن منه إلا أن أنقده المبلغ فانصرف إلى رفيقه وأخبره بما حدث ودفع له عشر ليرات .

الشقي ممودي يتسلب

ومن غريب ما يحكى عن هذا الشقي أنه بعد أن أعلن توبته وسكنت دورته وهدأت حالته وفي بعض الليالي ذهب لزيارة صديق له في محـلة باب الشيخ وعند عودته رجع متأخراً من الطريق المحاذي (للچول) والذي يمر بمقبرة اليهود داهمه رجلان بيد كل واحد منهما مسدس يروماني سلب ما لديه من دراهم وملابس ولما أدرك ما يقصدان أخذ عباءته من كتفه وفرشها على الأرض وأخذ ينزع ملابسه ويطرحها فيها وقال وهو يضحك : (هذا هو شأن الدنيا يوم لك ويوم عليك) وبعد أن عرفاه من صوته أخذا يعتذران له ويقبلان يديه .

وظـــل (ممودي) على ما هو عليه من حسن السيرة مع الناس مشفوعة بالتقدير والاحترام وفي أواخر أيامه كف بصره وبقي ملازماً داره في محلة الفضل لا يخرج منها حتى وافاه الأجل المحتوم وذلك في سنة ١٣٣٦ هـ يقابلها سنة ١٩١٨ م بعد احتلال بغداد من قبل البريطانيين .

ابراهيم ابن عبدكه :

لم يكن ابن عبدكه يعرف الشقاوة والجرائم قبل الفتك بأخيه المدعو (عبد حسن) ولا كان يدور بخلده أن يأتي يوم يكون فيه مضرباً للأمثال وأول جريمة اقترفها انه ثأر لأخيه الذي قتل في قرية (المواشق) إحدى قرى شهربان



ابن عبدكه

ومن ذلك الوقت بدأ يتحين الفرص على قاتل أخيه وأخيراً تم له ما أراد وفي

ظهيرة كان الحر فيها شديداً وابن عبدكه جالس في مقهى بمحلة باب الشيخ يراقب الطريق بكل دقة وامعان وما إن علم أن الوقت قد حان وأن الفرصة قد سنحت نهض كالأسد الكاسر وهو قابض على مسدسه وقد وقف شعر شاربه وصرخ بالرجل القادم خذ هذا ثار (أبو نجم) يقصد أخوه وانطلقت من مسدسه عدة طلقات استقرت في صدره أردته قتيلا ثم خف إلى جواد اعد له وامتطاه وانطلق الجواد ينهب الارض نهباً متوجهاً إلى مدينة بعقوبة ، وهذا القتيل هو (جواد) الذي قتل شقيق ابن عبدكه ومن هذه الحادثة شاع صيت ابن عبدكه ودوى صوته في فضاء لواء ديالى وبساتين (خرنابات) وأحراش (العبارة) قرية قرب خرنابات

وبعد مرور أيام قلائل وردت الأنباء من بعقوبة أن ستة من رجال الجندرمة قتلوا لنتيجة اصطدام وقع بينهم وبين ابن عبدكه وبهذه الجريمة النكراء أصبح ابن عبدكه غريم الحكومة وطريد الجندرمة والبوليس وكل اصطدام يقع ترجع منه رجال الحكومة خاسرة وفي يوم قائظ داهم ابن عبدكه بقرية (العبارة) أشخاص متنكرين ولم يكن من ابن عبدكه إلا أن صوب نحوهم بندقيته وانهال عليهم باطلاق الرصاص فدحرهم بعد أن قتل منهم اثنين وهما (نجم الزهو العزاوي) ورفيقه (علوان) ولما علم ابن عبدكه بقتل نجم الزهو العزاوي عض على اصبعه (وقال قتلت رجلاً يسوه عشيرة) لأن نجم الزهو كان صديقاً حميماً لابن عبدكه وكان يضاهيه بشجاعته وجرأته ، وعلى أثر هذه الحادثة اهتمت الحكومة العثمانية لها لأنها فقدت رجلاً من خيرة رجالها الأقوياء واتخذت الاجراءات الصارمة وأرصدت مكافآت مالية كبرى لمن يلقي القبض على ابن عبدكه حياً أو ميتاً وقد أخذ الرجال يسعون للفتك به طمعاً في الجائزة فلم يظفروا به وقد نسى ابن عبدكه أن القضاء والقدر لامفر منهما وبين عشية وضحاها اعترى ابن عبدكه مرض أقعده عن كل حركة وأخبر أحد سكان قرية (خرنابات) الحكومة بما طرأ على ابن عبدكه فألقى القبض عليه

وزج في سجن بعقوبة انتظاراً لمحاكمته لينال جزائه وقضى في سجنه عشرة أشهر استطاع بعدها أن يفلت منه وظل ملتبساً بجرائمه يسطو على هذا ويفتك في ذاك غير هياب ولا وجل إلى أن احتلت بغداد من قبل الجيوش البريطانية وفي الاحتلال كانت قوة انكليزية يقلها قطار كركوك قاصدة بغداد وعند وصول القطار إلى مدينة شهربان هاجمها رجال من العرب وكان في القطار السياسية الانكليزية (مس بل) وفي ذلك الوقت يستطيع المهاجمون العرب أن يتغلبوا على القوة الانكليزية ويأسرو (مس بل) وعلى حين غرة جاء ابن عبدكه ورأت (مس بل) مبلغ الاحترام له من الذين هاجموا القطار وظنته رئيسهم فاحتمت به وحماها وأوصلها إلى بغداد بدون أن يمسها بأذى ولهذا العمل الانساني طلبت منه اسمه وعنوانه لتجازيه على عمله هذا معها ومرت الأيام والأشهر وابن عبدكه يتجول في بساتين (العيارة) وقد أخذ الحذر التام من أقرباء (نجم الزهو العزاوي) لأنه على علم منهم لابد أن يثأروا لقتيلهم ولو بعد حين وفجاءة جاءته الأخبار أن ابن عمه المدعو (محمد دارا) قد قتل لثأر قديم فتألم لهذا الخبر وعلى أثر سماعه له اعترته حمى شديدة سقط من جرائها طريح الفراش وبقيت الحمى ملازمة له ورجال الحكومة تضيق عليه الخناق فاضطر إلى مغادرة لواء ديالى إلى لواء الحلة وسكن ناحية (المحاويل) وكان الحكم العربي قد استقر في العراق وفي ١٤ حزيران سنة ١٩٢٤ م كان بن عبدكه طريحاً في فراشه من الحمى التي اعترته وفي صباح الباكر شاهد ثمانية من رجال الشرطة قد أحاطوا به من كل جانب شاهرين أسلحتهم بوجهه فلم يستطع مقاومتهم فقبضوا عليه وأرسل مخفوراً إلى بغداد وبعد المرافعة صدر عليه الحكم بالاعدام شنقاً حتى الموت وما أن سمعت (مس بل) محاكمة الرجل الذي حماها وأنقذها خفت إلى بغداد وتوسطت له لدى الجهات المسؤولة لتخفيف حكمه وبالنتيجة نقض قرار الحكم تمييزاً وبدل حكم الشنق بالحبس لمدة عشرين عاماً بالاشغال الشاقة فقضى منها اثنى عشر عاماً وخرج من السجن سنة ١٩٣٦م

وعند خروجه عطفت عليه الحكومة وعينته مراقباً للآثار في بابل ونسي (ابن عبدكه) أيام جبروته وشقاوته وظل قابعاً في داره يتقاعس من عظم الأمراض التي ألمت به والشلل الذي أصاب النصف الأيسر من جسمه بعد الثمانين من عمره وإذا كان ابن عبدكه غفل أو تغافل فان الله ليس بغافل

مقتل ابن عبدكه

إن الفتى الصغير الذي وقف عند رأس أبيه المحتضر نجم الزهو العزاوي يسمع لحشرجته الاخيرة وهو يقول له قتلني ابراهيم واغرورقت عين الفتى من رهبة الموت وألم اليتم ها هو اليوم يأتي وذكرى تلك الوقعة الرهيبة ماثلة أمام عينيه ويحل مدينة الحلة يكيل لابن عبدكه الصاع بالصاع ويأخذ بثأر أبيه نجم الزهو العزاوي، وفي مساء يوم الاحد (٥) ايلول سنة ١٩٥٤ تنطلق رصاصتان بزقاق ضيق ويستقران في جوف ابن عبدكه فيسقط مضرجاً بدمائه فينقل إلى المستشفى وأول شيء يسأل عنه ابن عبدكه من الذي أطلق عليه الرصاص فيقولون له سهيل بن نجم الزهو العزاوي فيصرخ قائلاً (ليش احنه ما توافينا اني قتلت أبوه وعمامه قتلوا ابن عمي) وهكذا انطوت



سهيل بن نجم بملابس السجن

صحيفة رجل كان يضرب المثل بشقاوته (قابل أنت ابن عبدكه) فسبحان القهار وبعد محاكمة سهيل بن نجم الزهو العزاوي حكم عليه بالسجن لمدة عشرين سنة وهو الآن يقضيها بين جدران السجن المركزي ببغداد وهو فخور بهذا الحكم .

سلاح الأشقياء :

كانت الحكومة العثمانية لا تملك من الأسلحة في عهد الوالي مدحت باشا غير (الطواب) جمع طوب أي مدفع و (شيشخانلي تفنك) أي بنادق شيشخان وهي سلاح الجندرمة والجنود ، أما سلاح الأهالي كان من الأسلحة النارية (پشتاوه) و (قره بينه) وفرد وهذه الأسلحة تحشى بالبارود والصچم وهو نوع من الحديد معمول قطع صغار للدخول في فوهة هذه الأسلحة وبتوالي الأيام زودت الحكومة جيشها ببنادق (القباغلي) وبالأخير أضافت إلى هذه البنادق بنادق (مارتينلي) وأهل بغداد يسمونها (ماطلي) وحينما أعلن الدستور العثماني (الحرية) انهالت أنواع الأسلحة النارية وأغلبها مسدسات جمع مسدس وأينما تسير في اسواق بغداد ومحلاتها تجدها ظاهرة للعيان حتى اصبحت الأسواق شبه معرض لأنواع الأسلحة وتباع على ملأ من الحكومة وأنواع تلك الأسلحة منها (مسدس كسر) و (قره داغ) نسبة إلى حكومة (الجبل الأسود) أي يوغسلافيا اليوم و (بلدك) وهو مسدس صغير يوضع في الجيب والمسدس يسمى في بغداد (ورور) و (تك) ، ومن الآلات الجارحة (خنجر دبان) وهو أحسن أنواع الخناجر و (قزبين) أو قزوين نسبة إلى بلدة في ايران و (اورويلي) نسبة إلى بلدة (اربيل) وهذا الخنجر طويل الحجم وفيه قليل من الانحناء و (اگديمي) بالكاف الفارسية وهو صغير كثير الانحناء و (قامة) و (سيف) و (چلتيانة) و (قليبج) وهو سيف خاص بضباط الجيش ، وإذا كانت هذه الأسلحة متوفرة في بغداد كيف لا يقتنيها الشقي ويقوم بها في وجه الحكومة ناهيك عن البنادق التي تباع للعشائر بأبخس ثمن لغرض سياسي كان لا يخفى على الحكومة العثمانية يومئذ .

« الجسور في بغداد »

لم يكن في بغداد في العهد العثماني جسور عامرة لها مكانتها بين الجسور ولقد كان أهل بغداد يقاسون أشد المتاعب في عبور شط دجلة من جانب إلى الجانب الآخر في مواسم الفيضان ولم يكن واسطة غير القفف جمع قفة والقوارب جمع قارب أي (بلم) .

جسر قراره (گراره)

وفي أيام الوالي مصطفى عاصم باشا سنة ١٣٠٧ هـ يقابلها سنة ١٨٨٩ م انشأ جسر ونصب في معبر (قراره) وهو مكون من عوامات خشبية ، وقد أرخ عام نصبه الشاعر جميل الزهاوي بقوله :

هو ذاك جسر قـد تمدد	فوق دجلة بالمهـاره
في قرب بغـداد بعبرة	يقـال لها (قراره)
جمـع المتـانة والصيانة	والرزانـة والنضاره
أنشـاه عاصم الذي	تزهـو بطلعته الوزاره
إذ تم قلت مـؤرخاً	جسر تمـدد في قراره

١٣٠٧ هـ

جسر الخر أو المسعودي

في يوم الخميس ٢٨ شعبان سنة ١٣١٥ هـ يقابلها سنة ١٨٩٧م أجري افتتاح جسر الخر بحضور الوالي عطا باشا والمشير رجب باشا وأكابر رجال الدولة من عسكريين وملكيين وقد سمي الجسر (الحميدي) ولكن الناس لا زالوا يسمونه جسر (الخر) وهو إلى الآن قائم وصالح المرور .

جسري بغداد والاعظمية

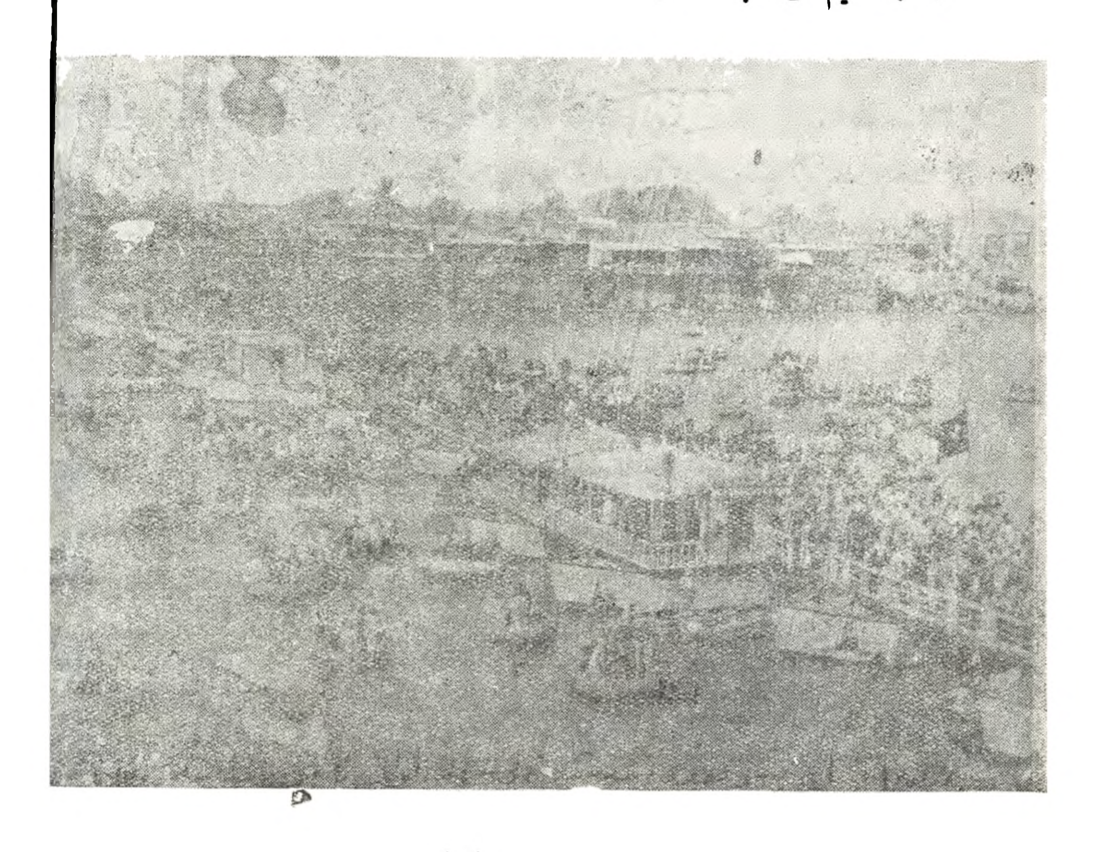
كان في بغداد جسرين : جسر في الأعظمية وجسر في بغداد ، الأول يسمى جسر الأعظمية والثاني جسر بغداد وكلاهما مصنوعان من الألواح الخشبية بشكل عوامات ويقال لها (جساريات) جمع جسارية مربوطة بسلاسل غلاظ وقد مدد الجسر على ضفتي الشرقية والغربية وتحت جسر بغداد مجـال واسع للمقاهي وبائعي المأكولات والسكاير وكلما انقطع الجسر عن العبور بمناسبة الفيضان راعيد اتصاله احتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً (شبه زفه) فيخرج الاهالي بالمزامير والطبول فرحون باتصال الجسر والعبور عليه وقد دام جسر بغداد على هذه الحالة حتى أيام الوالي نامق باشا الصغير ، ثم تخرب واصبح



الوالي نامق باشا

لا يصلح المرور عليه ولما وقعت عين نامق باشا عليه وجده غير لائق ببغداد

فأمر بإنشاء جسر من الطراز الحديث وقامت بعمله مدرسة الصنائع فكان على جانب عظيم من الأبهة والزينة



جسر بغداد يوم افتتاحه

يحتوي على مقاهي عصرية فكانت أبهى منظر على نهر دجـلة ، وفي ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ هـ يقابلها سنة ١٩٠٢ م نصب الجسر وقد أرخ عام نصبه الشاعر عبد القادر شنون بقصيدة :

هي الحضارة ما تعلو به الرتب — وما سوى العدل في الدنيا هي السبب

واليوم أضحت بملك ساسه ملك — من آل عثمان مضروباً له الطنب

عبد الحميد الذي دامت فما اقتدرت — تحصي مناقبه الكتاب والكتب

هو المليك فلا تعدل به ملكاً — سواه إذ ما تساوى النبع والغرب

أيام دولتـه الغراء تحسبها عقـداً تحلى به أجيادها الحقب

ملك تود نزولاً عنـد مربعه لتلثم الكف منه سبعة الشهب

مؤيد بجنود من مهابته أسيافه الرأي لا الهندية القضب

تقلد العدل سيفاً في الأنام وكم له من الحزم فيهم عسكر لجب

أحسن به سيف عدل في تقلده دانت له الروم والأعجام والعرب

أدام سيب الندى حتى لقد حسدت ندى يديه بحار الأرض والسحب

وكيف تنهل سحبٌ قطرها مطرٌ وليس يحسدن سحباً قطرها ذهب

فأصبح الملك مطلول الرياض به تود من أرضه الخضراء تقترب

هـذا العراق أجل طرفاً بخطته يبدو لعينيك فيه ما هو العجب

وانظر إلى ساحة الزوراء تلق بها لنامق همماً زالت بها الكرب

ذاك الوزير الذي دار السلام به ماست من الفخر عطفاً هزه الطرب

كانت مريضة جسم قبله فأتى وهو الطبيب وفيها الداء منتشب

حتى تتبع أقصى دائها فبـدا فيها الشفاء وزال السقم والوصب

فـكم له من أيادٍ في مرابعها وكم له من مساع شكرها يجب

سعى بتجديد جسر من تكرره كانت سفائنه كالمـاء تضطرب

فعاد جسراً على الشعرى العبور لمن رام العبور عليـه التيـه والعجب

كل البـدائع جاءت في صنائعه مستبدع الصنع مأمونا به العطب

كأنه ووضوح من طرائقـه مهنـد منتضى في متنه شطب

كأنما كل فلك من محاسنه فريدة وشيت أثوابهـا القشب

تستوقف العابر العجلان صنعته فيقصر الخطو فيه وهو مرتقب

إذ قال واصفه فاق الحديد فـلا تعجب فرب حديد فاقه الخشب

فقلت مذ مد منصوباً أؤرخـه جسراً لدجلة في الزوراء قد نصبوا

١٣٢٠ هـ

وقد أرخه الأستاذ فهمي المدرس وهو من أعجب التواريخ حيث قال

وبمعجم الألفاظ أرخ قائلاً مروا عليه ذا صراط مستقيم

١٣٢٠ هـ

عزل نامق باشا :

ومما يروى والعهدة على الراوي ان والي بغداد نامق باشا بلغ بعزله عن ولاية بغداد يوم افتتاح الجسر والمرور عليه حسب القواعد المتبعة وقد افتتحه قاضي بغداد بصفته وكيلاً للوالي وهو الذي أجرى مراسيم افتتاحه وقد أرخ عام عزل الوالي نامق باشا شاعر مجهول بقوله

قوموا بنا يا بني الزوراء نبتهل فمن قريب جميع الخزي يرتحل
الله أكبر زال الشك وارتحلت عنا الهموم وزال الخوف والوجل
قد جاءكم خير فال من مؤرخه بشرى فنامق بعد الجسر ينعزل

١٣٢٠ هـ

وفي يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٦ م ابان الحرب العالمية الأولى نقل هذا الجسر إلى جهة سلمان باك وعند نزوح العثمانيين من بغداد احرق وظل يشتعل طول النهار والليل

« الحرب بين ابن الرشيد وابن سعود »

ومن المصائب التي حلت ببغداد والتي لم يزل يذكرها أهلها بكل حزن وأسى مصيبة الحرب التي وقعت بين ابن الرشيد وابن سعود وأهل بغـــداد يسمونها (وقعة ابن رشيد) وأنهم فقدوا فيها خيرة أبنائهم الذين ذهبوا ضحية العطش والجوع فقد كانت الحكومة العثمانية مؤيدة لابن الرشيد رأت وجوب معاضدته فأمرت بتجهيز الجيش يوم كان أحمد فيضي باشا وكيلاً لولاية بغداد ويعرف هذا ببغداد بـ (الكوسه) وهو وإن كان ذا شوكة وعقل راجح فانه كان غير عفيف ولقد انتهز فرصة تجهيز هذه الحملة المشئومة فجمع بواسطتها أموال كثيرة . ا

وفي سنة ١٣٢٢ هـ يقابلها سنة ١٩٠٤ م تحرك الجيش من بغـــداد قاصداً (الرياض) عاصمة المملكة السعودية اليوم وبعد الخوض في غمار الحرب أياماً وشهوراً انفل جمع الجند وتشتت شمله لعدم وصول المؤنة والاعاشة اليه ومات أكثره جوعاً وعطشاً وفي ذلك نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (ايقاظ الرقود) يصف بها حالة الجند وما حل به في هذه الوقعة المشئومة وهي:

إلى كم أنت تهتف بالنشيد   وقد أعياك ايقاظ الرقود
فلست وان شددت عرى القصيد   بمجد في نشيدك أو مفيد
لأن القوم في غي بعيد

إذا أيقظتهم زادوا رقاداً   وإن أنهضتهم قعدوا وآدا
فسبحان الذي خلق العبادا   كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجماد من الجمود

أطلت وكاد يعييني الكلام   ملاماً دون وقعته الحسام
فما انتبهوا ولا نفع الملام   كأن القوم أطفال نيام
تهز من الجهالة في مهود

إليك إليك يا بغـــداد عـني فأني لست منـك ولست مـني
ولكني وإن كبر التجـني يعزّ عـليّ يا بغـداد أني
أراك على شفا هول شـديد

تتـابعت الخطوب عليك تترى وبدل منك حـلو العيش مرا
فهــلا تنجبين فتىً أغرا أراك عقمت لا تلدين حرا
وكنت لمثــله أزكى ولود

أقام الجهــل منك له شهودا وسامك بالهوان له السجودا
متى تبـدين منسك له جحودا فهـلا عـدت ذاكرة عهودا
بهن رهـــدت أيام الرشيد

زمان نفوذ حكمك مستمر زمان سحاب فضلك مستـدر
زمان العــلم أنت له مقـــر زمان بنـاء عزك مشمخر
وبدر علاك في سعد السعود

برحت الأوج ميلاً للحضيض وضقت وكنت ذات علا عريض
وقد أصبحت في جسم مريض وكنت بأوجـه للعـز بيض
فصرت بأوجـــه للذل سود

ترقى العالمون وقـد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنـاً يا بـنى بغـــداد قطنا
إلى كم نحن في عيش القرود

ألم تك قبلنا الأجـداد تبني بناء للعـلوم بكل فـــنى
لمـاذا نحن يا أسر التمـنى أخـذنا بالتقهقر والتـــدنى
وصرنا عاجزين عن الصعود

كأن زحل يشاهد ما لدينا لذاك أحمـــر من حنق علينا
فقـــال موجهـاً لوماً إلينـا لو أني مثلكم أمسيت هينا
إذن لنضوت جلباب الوعود

ركدتم في الجهالة وهي تمشي وعشتم كالوحوش أخس عيش
أما فيكم فتى للعز يمشي تبارك من أدار بنات نعش
وصفدكم بأصفاد الركود

حكيتم في توقفكم جديا فصرتم كالسها شبحاً خفيا
ألا تجرون في مجرى الثريا تؤم بدورها فلكاً قصيا
فتبرز منه في وضع جديد

حكومتنا تميل لباخسيها مجانبة طريق مؤسسيها
فلا يغررك لين ملامسيها فهم كالنار تحرق لامسيها
وتحسن للنواظر من بعيد

لقد غص القصيم بكل نذل وأمسى من تخاصمهم بشغل
فريقاً خطتي غي وجهل فلا الخصمين ليس له بأهل
ولكن من لتنكيل المريد

اليهم أرسلت بغداد جندا ليهلك فيه من عبث ويفدى
لقصد ابن الرشيد اضاع قصدا فلا يابن الرشيد بلغت رشدا
ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثة حالهم تبكي الأماكن
وقد تركوا الحلائل والمساكن جنود أرسلت للموت لكن
بفتك الجوع لا فتك الحديد

قد التفعوا بأسمال بوال مشاة في السهول وفي الجبال
يجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال
وزي غير ما زي الجنود

مشوا في منهج جهلوه نهجا يجوبون الفلا فجاً ففجا
إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لهفي على الشبان تزجى
على عبث إلى الموت المبيد

وكل مذ غـدا للبيت أمّـا فودع أهـله زوجـاً وأمـا
وضم وليـده بيـد وشمـا بكى الولد الوحيـد عليه لـمّا
غدا يبكي على الولد الوحيد

تقول له الحليـلة وهو ماش رويدك لأبرحت أخا انتعاش
فبعدك من يحصل لي معاش فقـال ودمعـه بادي الرشاش
وكلتـكم إلى رب ودود

عساكر قد قضوا عرياً وجوعا بحيث الأرض تبتلـع الجمـوعا
إلى أن صار أغنامهم ربوعا لفرط الجوع مرتضياً قنـوعا
لقدّ لو أصاب من الجلود

هناك قضوا وما فتحوا البلادا هنـاك بأسرهم نفـدوا نفادا
هنـاك بحيرة عـدموا الرشاد هنـاك لردعهم فقـدوا الرقادا
هناك عروا هناك من البرود

أناديهم ولي شجن مهيج وأذكرهم فيلبعث النشيج
ودمع محـاجري دمـع مزيج ألا يا هالكين لـكم أجيج
ذكا بحشاي محتدم الوقود

سكـنّا من جهـالتنا بقاعا يجور بها المؤمر ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعاً وهبنا أمـة هلـكت ضياعـاً
تولى أمرها عبدالحميـد

أيا حريـة الصحـف ارحمينـا فانـا لم نـزل لك عاشقينـا
متى تصلين كيما تطلقينـا عـدينا فى وصالك وامطلينـا
فانا منـك نقنع بالوعود

فأنت الروح تشفين الجـروحا بمـرّج فقـدك البلد الفسيحا
وليس لبـلدة لم تحو روحا وإن حوت القصور أو الصروحا
حيـاة تستفيد لمستفيـد

أقول وليس بعض القول جدا لسلطان تجبر واستبدا
تعدا في الأمور وما استعدا ألا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك بالوجود

انم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهي زمراً وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا سم البلدان مهما شئت خسفا
وأرسل من تشاء إلى اللحود

فدتك النفس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الآله ولا تراعي فهل هذي البلاد سوى ضياع
ملكت أو العباد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار أعاش الناس أم هم في بوار
فأنك لم تطالب باعتذار وهب أن الممالك في دمار
أليس بناء يلدز بالمشيد

جميع ملوك هذي الأرض فلك وأنت البحر فيك ندى وهلك
فأنى يبلغون وذاك إفك لئن وهبوا النقود فأنت ملك
وهوب للبلاد وللنقود

تأسيس دائرة الطابو

بعد أن جرى تسجيل الأراضي الأميرية أيام الوالي مدحت باشا في بعض انحاء العراق شرع في تسجيل الأملاك وكانت تسجيلات البيوع تجري آنذاك في المحكمة الشرعية للمسلمين وفي الكنائس لغير المسلمين وتصدر الوثيقة (سند التملك) من تلك المحاكم .

وفي أيام الوالي محمد رؤوف باشا سنة ١٢٨٩ هـ يقابلها ١٨٧٢ م تشكلت دائرة الطابو في بغداد واستمرت في تسجيل الأملاك غير أنه لم يجر بوجه

صحيح كما هو اليوم إلا في أيام الوالي عبد الرحمن باشا بنفس السنة فتهافت الناس عليها وأخذوا يسجلون أملاكهم بعد أن كانوا يجهلون فوائد الطابو ومزاياه والمحاذير الناتجة عن عدم التسجيل .

البريد والبرق :

كان البريد في بغداد يسمى (پوسته) ومحله يسمى (پوسته خانه) ولم يكن منظماً وكثيراً ما كنت اشاهد صاحب البريد يأتي من باب المعظم ممتطياً جواده وبيده (قمچي) سوط يلوح به في الهواء وأمامه عدد من الخيل تحمل البريد وتركض وهو ينادي بصوته الجهوري (پوسته كلدي) أي جاء البريد تنبيهاً للناس ، والناس حينما يسمعون يذهبون إلى دائرة البريد يجتمعون في ساحتها ودائرة البريد تقع في محلة الميدان وقد ذهبت ضمن شارع حسان بن ثابت الآن وبعد اجتماع الناس بضمنهم التجار وأصحاب المراسلات يأتي الموظف المختص بتوزيع الرسائل ويقف يتلو عناوين الرسائل الواردة من الخارج ويعطيها إلى أصحابها الحاضرين والرسائل التي لم يحضر أصحابها توزع عليهم بمحلاتهم بواسطة (پوسته چيه) أي موزعين والموزع الذي يوزع الرسائل إلى أصحابها في محلاتهم يتناول عن كل رسالة عشرة بارات (بخشيش) أي هدية .

أما البرق فكان يسمى (تلغراف) ومحله يسمى (تلغرافخانه) وفي سنة ١٣٢٠ هـ يقابلها سنة ١٩١١ م وضع حجر أساسي لبناية دائرة للبريد والبرق جديدة في محلة الميدان مقابل مدرسة الأعدادية المركزية للبنين الآن وتم بناؤها سنة ١٣٣١ هـ يقابلها سنة ١٩١٣ م وقد اجريت مراسيم افتتاحها بحضور الوالي حسين جلال بك وأكابر الموظفين وهي باقية إلى الآن وتسمى دائرة البريد المركزي .

مطبعة دار السلام

وأول مطبعة اسست في بغداد بعد مطبعة الحكومة هي مطبعة (دار السلام) ومحلها في سوق السراي وقد بدأت أعمالها في ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٩ هـ يقابلها سنة ١٨٩١ م أيام الوالي الحاج حسن باشا وقد طبع بها الخط السلطاني ودستور قانون الأساسي باللغة العربية سنة ١٣٢٦ هـ .

((اعلان الدستور العثماني))

(الحرية)

في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ رومية يقابلها ٢٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٢٦ ﻫ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ م أعلن الدستور العثماني أي الحرية وخرج الناس من دورهم زرافات ووحداناً قاصدين سراي الحكومة رافعين أعلام الفرح والسرور ووجوههم ضاحكة مستبشرة وقد كتب على الأعلام بالقلم العريض هذه العبارة (حريت عدالت مساوات اخوت) وعقدت الاجتماعات وتليت الخطب والقصائد وأحس الناس أن قيود الذل والعبودية التي كبلو بها منذ ٣٣ سنة قد تحطمت وأنهم أصبحوا أحراراً في تصرفاتهم ومقدراتهم وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (تموز الحرية) يشيد بهذا الشهر الأغر وذلك الحدث التاريخي وهي :

إذا انقضى مارت فاكسر بعده الكوزا ... وأحفل بتموز إن أدركت تموزا

أكرم بتموز شهراً إن عاشره ... قد كان للشرق تكريماً وتعزيزا

شهر به الناس قد أضحت محررة ... من رق من كان يقفوا أثر جنكيزا

سل أهل باريز عن تموز تلق لهم ... يوماً به كان مشهوداً لباريزا

كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم ... بسالة هدت البستيل مبزوزا

وأن تموز شهر قام فيه لنا ... على البقاع لواء العز مركوزا

في شهر تموز صادفنا لما وعدت ... بيض الصوارم بالدستور تنجيزا

هي المساوات عمتنا فما تركت ... فضلاً لبعض على بعض وتمييزا

أمست لنا قسمة في الملك عادلة ... حكماً وكانت على علاتها ظيزى

كنا من الجور عمياناً وليس لنا ... من قائدين ولم نملك عكاكيزا

حتى نهضنا إلى العليا تقدمنا ... عصابة برزت في المجد تبريزا

إن تلقهم تلق منهم في الوغى جيلاً ... أوجهتهم للمنايا جهت راموزا

قوم إذا طمعوا في حومة تخذوا ... قصاصهم من قحوف القوم لا الشيزا

قنا على الملك الجبار نقرعه ... بالسيف منصلت والرمح مهزوزا

حتى تركنا وفي الهيجاء معضلة ... ألقت ضراماً على الطاغين مأزوزا

إنا لنأبى على الطاغي تهضمنا ... حتى نهوز في الهيجاء تهويزا

ونأكل الموت دون القرعضفه ... كمضغنا التمر برنينا وسهريزا

وعاش من لا يخوض الموت مرتضياً ... بقاءه بعصى الذل موكوزا

راعت سلانيك دار الملك فانتبهت ... من ذاك طهران تخشي أمر تبريزا

حتى غدت وهي في تموز ناكسة ... وبات شاه رماه الخلع مجنوزا

فالشاه في شهر تموز هوى وكذا ... عبدالحميد هوى في شهر تموزا

يا شهر تموز لا راعتك راعية ... ولا لقيت من الأحداث ارزيزا

يا شهر تموز قد زينت رايلنا ... بالعدل توشية فيها وتطريزا

من لي بأنجم هذا الأفق أنظمها ... قصائداً فيك مدحاً أو أراجيزا

أو نحت الماس أقلاماً مقرضة ... أمدها ذهباً في الطرس ابريزا

وأجمل الجو في تموز أمدحة ... طرساً أجادته كف النور ترزيزا

الصحافة في بغداد

الصحافة صدى الحقائق للأمة تنطق بأسم الجمهور وهي المرآت الصافية لآراء أفراد الشعب تعكس صورهم وتمثل رغباتهم فتنشر ما يهمهم وتكتب ما يروقهم وتدافع عن مصالحهم وتجعلها فوق كل شيء .

الصحافة تتطلب إلى حرية ولولا الحرية لم تكن صحافة وعلى أثر إعلان الدستور العثماني وهبوب نسيم الحرية أخذ الناس يتنفسون الصعداء فقام المفكرون في بغداد وأخذوا يسعون السعي الحثيث لاستنشاق هذه النسمات

فأقدموا على إصدار الجرائد والمجلات فصدرت صحف كثيرة سياسية وأدبية وهزلية

الجرائد

إن أول جريدة صدرت في بغداد بعد جريدة الزوراء هي جريدة :

بغداد

كانت جريدة سياسية أصدرها باللغة العربية في بغداد مراد بك فبرز عددها الأول في أول يوم من كانون الثاني سنة ١٩٠٩ م

العراق :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عبدالجبار باشا الخياط فبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩ م

الرقيب

جريدة عربية سياسية أصدرها في بغداد عبد اللطيف چلبي ثنيان فبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩ م

الارشاد

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد فريد أفندي فبرز عددها الأول في ١٢ شباط سنة ١٩٠٩ م .

الانقلاب :

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد ثريا و . م رؤوف فبرز عددها الاول في ٢١ مارت سنة ١٩٠٩ م

التعاون

أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية رشيد أفندي فبرز عـددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩٠٩ م

الروضة :

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد عبدالحسين الأزري فبرز عددها الأول فى ٢٢ حزيران سنة ١٩٠٩ م

الحقيقة

جريدة سياسية أصدرها فى بغداد باللغة العربية طلعت أفندي فبرز عددها الأول فى ٩ تموز سنة ١٩٠٩ م

صائب :

جريدة عربية تركية أصدرها فى بغداد م . عارف أفندي فبرز عددها الأول فى ٣ آب سنة ١٩٠٩ م

صدى بابل

جريدة سياسية عربية أصدراها فى بغداد داود صليوا ويوسف غنيمة فبرز عددها الأول فى ١٣ آب سنة ١٩٠٩ م .

الزهور

جريدة سياسية عربية تركية أصدراها في بغداد نسيم يوسف سوميخ ورشيد أفندي الصفار فبرز عددها الأول في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ م

بين النهرين

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد كامل أفندي الطبقچلي

(قلبنچ) أى السيف

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية حسين فوزي أفندي فبرز عددها الأول في ٣١ كانون الأول سنة ١٩٠٩ م .

الرياض

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد سليمان أفندي الدخيل فبرز عددها الأول في ٧ كانون الثاني سنة ١٩١٠ م

(يلدرم) أي الصاعقة

جريدة سياسية أصدرها باللغتين التركية والعربية محمد نجيب ثنيان فبرز عددها الأول في ٩ كانون الثاني سنة ١٩١٠ م .

الظرائف :

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد أبو الصفا طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩١٠ م

الصوت :

جريدة عربية فارسية أصدرها في بغداد الحاج محمد تقي اليزدي فبرز عددها الأول في ٣ نيسان سنة ١٩١٠ م .

الرصافة :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد السيد محمد صادق الأعرجي فبرز عددها الأول في ١٧ حزيران سنه ١٩١٠ م

مصباح الشرق

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٠ م .

صائب :

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفندي فبرز عددها الأول في ١١ آب سنة ١٩١٠ م .

سبيل الرشاد

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفندي فبرز عددها الأول في ٢٨ ايلول سنة ١٩١٠ م

الوجدان :

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد أبو الصفا طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ١٢ كانون الأول سنة ١٩١٠ م .

خان جغان

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ٥ مارت سنة ١٩١١ م .

بالك

جريدة هزلية عربية أصدرها أبو العيناء شكري أفندي فبرز عددها الأول في ١٣ مارت سنة ١٩١١ م

خان الزهب :

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي فبرز عددها الأول في ٢٢ مارت سنة ١٩١١ م .

سيف الحق :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عثمان أفندي نوري فبرز عددها الأول في ٣٠ مارت سنة ١٩١١ م .

البلبل :

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي فبرز عددها الأول في ١٦ نيسان سنة ١٩١١ م .

أنظار عمومية :

جريدة سياسية تركية عربية أصدراها في بغداد حسين عوني أفندي ونزهت كامل فبرز عددها الأول في ٨ نيسان سنة ١٩١١ م .

(يكي موده) المودة الجديدة

جريدة هزليـــة عربية أصدرها في بغداد عبدالرحيم أفندي صائب فبرز عددها الأول في ٤ مايس سنة ١٩١١ م .

(كرم ونرم) حار وبارد :

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فبرز عددها الأول في ١٦ مايس سنة ١٩١١ م

الأسرار :

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبدالرحيم أفندي صائب فبرز عددها الأول في ٢٣ مايس سنة ١٩١١ م .

الصاعقة :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عبدالكريم الشيخلي فبرز عددها الأول في ٨ حزيران سنة ١٩١١ م .

المصباح

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الازري فبرز عددها الأول في أول آذار سنة ١٩١١ م

دونبر :

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فبرز عددها الأول في ٦ ايلول سنة ١٩١١ م .

النوادر

جريده سياسية عربيـــة أصدرها في بغداد محمود أفندي الوهيب فبرز عددها الأول في ٦ ايلول سنة ١٩١١ م .

المصباح الأغر

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١١ م

الحقوق

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد معروف أفندي فبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١ م

المضحكات

جريدة هزليـــة عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي فبرز عددها الأول في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٢ م .

القسطاس

جريدة سياسية عربية هزلية أصدراها في بغداد عبدالجبار أفندي الأعظمي ومحمد هادي أفندي فبرز عددها الأول في ٥ شباط سنة ١٩١٢ م

تفكر

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد سلمان عنبر فبرز عددها الأول في ٢١ شباط سنة ١٩١٢ م .

المعارف :

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد نادر أفندي فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٢ م .

الرياحين

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد ابراهيم أفندي صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٨ مارت سنة ١٩١٣ م

شمس المعارف

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد ابراهيم أفندي صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣ م .

النهضة :

جريدة اجتماعية سياسية عربية أصدراها في بغداد ابراهيم أفندي حلمي العمر ومزاحم الباچهچي فبرز عددها الأول في ٣ تشرين الاول سنة ١٩١٣م .

غنچه اتحاد

جريدة أدبية تركية عربية أصدرها في بغداد صلاح الدين الكركوكلي فبرز عددها الأول في ٣ كانون الأول سنة ١٩١٣ م .

مكتب

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد المحامي يونس وهبي أفندي فبرز عددها الأول في أواخر كانون الأول سنة ١٩١٣ م .

صدى الاسلام

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عطاء الله أفندي الخطيب فبرز عددها الأول في ٢٣ تموز ١٩١٥ م .

* * *

((المجلات))

زهيرة بغداد

مجلة أدبية شهرية أصدرها في بغداد الآباء الكرمليون فبرز عددها الأول في صفر سنة ١٣٢٣ هـ يقابلها ٢٥ مارت سنة ١٩٠٥ م وكانت تطبع في (الجلاتين) .

الايمان والعمل

مجلة دينية على غرار مجلة (زهيرة بغداد) أصدرها الآباء الكرمليون المذكورين فبرز عددها في أواخر صفر سنة ١٣٢٣ هـ يقابلها سنة ١٩٠٥ م .

تنوير أفكار :

مجلة دينية سياسية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر صاحبها عبدالهادي الأعظمي ومديرها المسؤول نعمان الأعظمي فبرز عددها الأول في ٢٠ شعبان سنة ١٣٢٨ هـ يقابلها سنة ١٣٢٦ رومية

العلوم

مجلة علمية أدبية صحية تاريخية أصدرها في بغداد رزوق عيسى فبرز عددها الأول في ٢٧ شوال سنة ١٣٢٨ هـ يقابلها أول تشرين الثاني سنة ١٩١٠ م .

لغة العرب

مجلة شهرية أدبية أصدرها في بغداد الآباء الكرمليون فكان الأب أنستاس ماري الكرملي صاحبها والشيخ كاظم الدجيلي مديرها المسؤول فبرز عددها الاول في غرة رجب سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها تموز سنة ١٩١١ م

الرياحين

مجلة أدبية تهذيبية أخلاقية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر موقتاً صاحبها ابراهيم منيب الباجهچي ومديرها ومحررها ابراهيم صالح شكر فبرز عددها الأول في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٢ هـ يقابلها ١٥ مارت سنة ١٣٢٩ رومية .

الحياة

مجلة شهرية سياسية اقتصادية تاريخية اجتماعية أصدراها في بغداد ابراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل فبرز عددها الأول في غرة صفر سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها كانون الثاني سنة ١٣٢٧ رومية .

الرصافة

مجلة دينية تاريخية علمية أصدرها في بغداد السيد محمد صادق الأعرجي فبرز عددها الأول في جمادى الاولى سنة ١٣٣١ هـ يقابلها سنة ١٩١٣ م .

جهاد :

مجلة علمية أدبية أصدرها في بغداد باللغة التركية عثمان عزت آل كاتب الفارسية فبرز عددها الأول في أول نيسان سنة ١٩١٣ م .

شمس المعارف

مجلة عربية علمية أدبية تاريخية اسبوعية أصدرها في بغداد ابراهيم صالح شكر فبرز عددها الاول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣ م .

سبيل الرشاد :

مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية أصدرها في بغداد محمد رشيد الصفار فبرز عددها الأول في ١٨ آذار سنة ١٩١٢ م .

الغرائب

مجلة فكاهية ذات روايات غرامية ووقائع تاريخية أصدرها في بغداد المعلم داود صليوا فبرز عددها الأول في شباط سنة ١٩١٣ م .

مقتبسات

مجلة علمية اجتماعية أصدرها في بغداد عيسى أفندي ريزه لي باللغتين التركية والعربية فبرز عددها الأول في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها أول مايس سنة ١٩١٤ م

النور

مجـلة علمية أدبية تاريخية أصدرها في بغداد السيد محي الدين فيض الله الكيلاني ومديرها المسؤول عبد الجبار أفندي سعد الله السكوتي فبرز عددها الأول في غرة شعبان سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها سنة ١٩١٤ م

(بانك كرد) صدى الكرد :

مجلة أدبية أصدرها باللغتين التركية والعربية في بغداد جمال الدين بابان فبرز عددها الأول في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها سنة ١٩١٤ م .

(الألقاب العثمانية)

في الدولة العثمانية ألقاب متعددة أولها (خان) بمعنى الحاكم وقد الحقت هذه الكلمة بأسماء سلاطين آل عثمان للاحترام مثل السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان ، ومنها (باشا) مكونة من باش آغا والآغا الرئيس وقد استعملت عنواناً في الدولة العثمانية لأصحاب المناصب من عسكريين وملكيين والوزراء ، ومنها (بك) بمعنى الكبير والحاكم والرئيس وهي عنوان لأبناء الذوات ولأصحاب المناصب والرتب الملكية والعسكرية المتوسطة ،

ومنها (أفندي) وهي عنوان بأسماء صغار الموظفين في الدولة وتلحق بأسماء أولاد السلاطين للاحترام ، وفي سنة ١٣٢٧ هـ يقابلها ١٩٠٩ م قرر مجلس التركي الغاء الفاظ التعظيم وبهذا زالت عثرة كبيرة في اسلوب التحرير والكتابة في الدوائر التركية .

العرائض في اللغة العربية

كانت الحكومة العثمانية لا تسمح باللغة العربية في مخابراتها الرسمية ما عدا الجرائد والمجلات وبين الناس وبعد اعلان المشروطية (الحرية) وردت الأوامر بأن العرائض التي تقدم إلى دائرة العدلية يصح أن تقدم باللغة العربية ولما انتشر الخبر في بغداد فرح الناس فرحاً لا مزيد عليه لاسيما كتاب العرائض لأن أكثرهم لا يحسنون الكتابة باللغة التركية ولو أنهم يتكلمون بها .

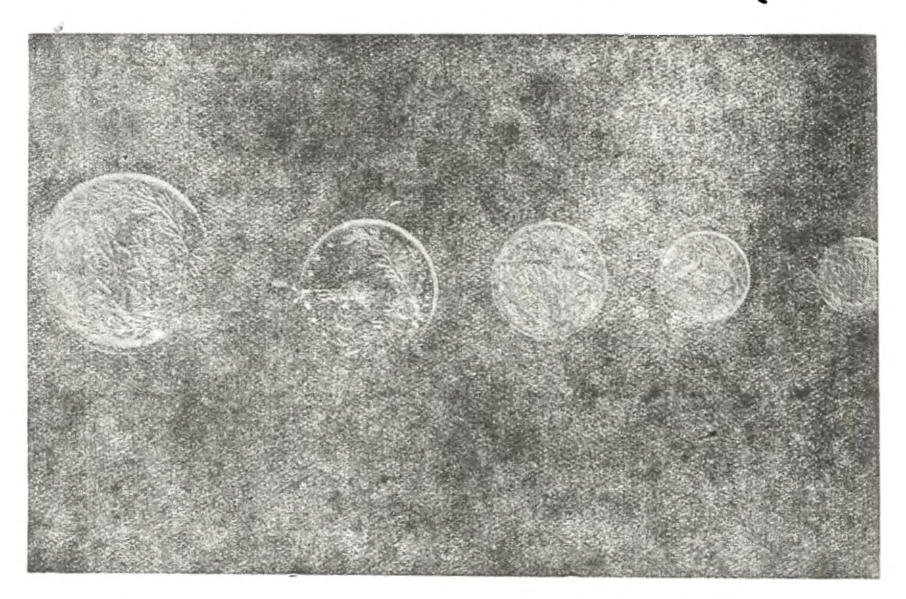


كاتب العرائض

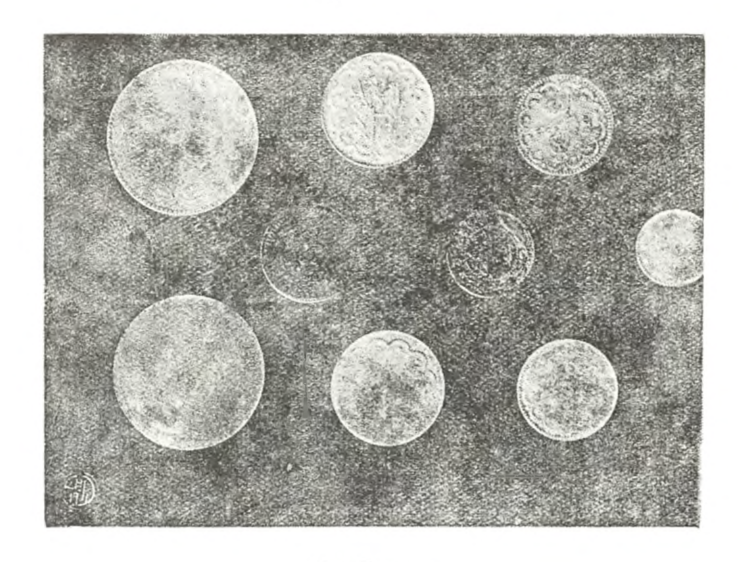
النقود العثمانية الذهبية :

كانت النقود المتداولة في العهد العثماني في بغداد متوفرة وحسنة التداول في طليعتها النقود الذهبية وذو الخمس ليرات يساوي الآن عشرين دينار وذو الليرتين والنصف يساوي الآن عشرة دنانير وذو الليرة الواحدة يساوي

الآن ثلاثة دنانير ونصف والنصف ليرة يساوي الآن ديناراً وسبعمائة وخمسين فلساً والربع الليرة يساوي الآن ٨٧٥ فلس .



النقود الذهبية



النقود الفضية

النقود العثمانية الفضية

أما النقود الفضية مجيدي الواحد يساوي الآن ريال ٢٠٠ فلس ونصف

مجيدي يساوي الآن درهمان ١٠٠ فلس وربع مجيدي يساوي الآن درهم ٥٠ فلساً وذو القرشين يساوي الآن عشرين فلساً وذو القرش الواحد يساوي الآن عشرة فلوس ، وهنا أود أن انبه القارئ ان كل قرش صحيح يساوي أربعة قروش رايج وهذا يساوي عشرة بارات بمعنى ان القرش الصحيح يساوي ٤٠ بارة وهو متداول عند الحكومة وأهل بغداد يتداولون القرش الرايج وهو من النيكل . والشيء الغريب فى بابه هو أن الحكومة العثمانية كانت موافقة على تداول العملة الأجنبية وخاصة العملة الايرانية وهي (قران) ويسمونه أهل بغداد (منگنه) بالكاف الفارسية ونصف (قران) وربع (قران) ويسمى (أم قري) وأم ست فلوس وتسمى (بيچوة) و (شاهية) وهي من النحاس ، والعملة الانكليزية (روپية) الهندية فقط وأن الحكومة العثمانية إذا أرادت أن تبيع الملح - والملح يومذاك لا يباع بالأسواق كما هو اليوم - والذي يشتري الملح يجب عليه أن يشتري بالعملة العثمانيـــة ولا يباع بالعملة الاجنبية وبقي هذا الأمر إلى أن نزحت الحكومة العثمانية عن بغداد ، وبعد أن اعلن الحكم الوطني فى بغداد أخذ بعض الأعراب البدو يجلبون الملح على ظهور الجمال ويبيعون بالطرق بدون معارض يعارضهم .



بائع الملح

وفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك وردت أوراق نقدية عثمانية للتداول بها وأقسامها الليرة مائة قرش صحيح والنصف الليرة خمسين قرشاً والربع ليرة خمسة وعشرين قرشاً وذي العشرين قرشاً وذي الخمسة قروش وذي القرشين وذي القرش الواحد .



الأوراق النقدية

وكان مصير هذه النقود التدهور الفظيع ولذلك ساءت الحالة في بغداد وبلغ بأهلها الضيق والجهد وكانوا يعانون الأمرين من جراء النقود والتعامل بالأوراق النقدية وانها لا فرق بينها وبين الذهب وهددوا بلزوم تقديم الذهب إلى (رئيس لوازم الفيلق) ومن وجد عنده هدمت داره ومنع التعامل بالنقود المعدنية (النيكل) وأمروا بتداول الاوراق النقدية الصغيرة وانها لا فرق بينها وبين الذهب واشتدت الأزمة على اليهود في أخريات الحرب العظمى وكان يضيق معاون الوالي فائق بك ومدير الشرطة سعد الدين بك الخناق عليهم كلما

هبط سعر الأوراق المالية التركية وينسبان هذا الهبوط اليهم وإلى تلاعبهم بسعرها وأجبرت الحكومة التجار أن يبدلوا الليرة الورق بالذهب وعينت مقداراً على كل تاجر في كل شهر



جماعة من تجار اليهود

وقبضت الحكومة قبل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سراً تنكيلاً شنيعاً وجدعت انوفهم وقطعت أذانهم وسملت عيونهم ثم وضعتهم في أكياس والقتهم في نهر دجلة ، ومهما كان من ظلم العثمانيين لليهود في ابان الحرب فانهم قد استفادوا في تجارتهم فائدة عظيمة وأثرى كثيرون منهم لأن مقاليد التجارة بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع وارتفعت الأسعار ارتفاعاً هائلا

مجلس المبعوثين (النواب)

وعلى أثر اعلان الحكومة العثمانية (الحرية) وتنفيذ أحكام الدستور فقد أعلنت اجراء الانتخابات النيابية وقد جرى بكل هدوء وسكينة فحاز أكثرية

الأصوات الذوات الآتية أسماؤهم فأصبحوا (نواباً) وكانوا يسمون النواب (مبعوثان) فمن ولاية (بغداد) اسماعيل حقي بابان والحاج علي الألوسي وساسون حسقيل ، وعن ولاية (الديوانية) السيد مصطفى نور الدين الواعظ وشوكت باشا بن رفعت بك ، وعن ولاية (كربلاء) الحاج عبدالمهدي الحافظ ، وعن ولاية (البصرة) السيد طالب النقيب وأحمد باشا الزهير ، وعن (المنتفك) (الناصرية) رأفت السنوي وخضر لطفي ، وعن ولاية (الموصل) محمد علي حافظ وداود اليوسفاني ، وعن مدينة (السليمانية) الحاج ملا سعيد كركوكلي زاده ، وعن مدينة (العمارة) عبدالمحسن بك السعدون وعبدالمجيد الشاوي . وبعد أن أخذ المبعوثان أي النواب أهبتهم للسفر إلى استانبول ليمثلوا أمة العراق في المجلس النيابي العثماني غادروا بغداد يوم الجمعة ١١ ذي الحجة (عيد الأضحى) سنة ١٣٢٦ هـ ووصلوا استانبول في ٩ المحرم سنة ١٣٢٧ هـ وقد نظم الشاعر معروف الرصافي في هؤلاء المبعوثان النواب أبياتاً وهي :

يا أهـــل بغداد متى ينجلي   هذا العمى عنكم وهذا الفتور

قد اعلن الدستور لكنكم   لم تظفروا منه ولا بالقشور

يقول من شاهد مبعوثكم   سبحان من يبعث من في القبور

خلع السلطان عبدالحميد ونصب محمد رشاد :

في يوم الثلاثاء ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ يقابلها سنة ١٩٠٩ م انعقد المجلس العمومي من الاعيان والمبعوثين وبعد المذاكرة رأوا من المصلحة خلع السلطان عبدالحميد وإنزاله عن عرش السلطنة وإجلاس ولي العهد السلطان محمد رشاد الخامس نجل السلطان عبدالمجيد وبعد تلاوة الفتوى واعطاء القرار بالخلع انتخب المجلس هيئتين هيئة تبلغ السلطان عبد الحميد بالخلع وهيئة تبلغ السلطان محمد رشاد بالبيعة .

ثم توجه أعضاء المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين إلى محل المبايعة وهو دائرة (السر عسكر) وحضر محمد رشاد وأول من بايعه شيخ الاسلام والصدر الأعظم وتلاهما أعضاء المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين ثم وكلاء الدولة والوزراء والعلماء والمشائخ واجريت المراسيم المعتادة والاحتفال العظيم وأطلقت المدافع ١٢١ طلقة وعندما وصل الخبر إلى بغداد أطلقت المدافع أيضاً وزينت المدن ورفعت الرايات وعم الفرح والسرور في جميع انحاء البلاد وقد تشاءم الناس من سلطنة محمد رشاد ، أصبحوا يقولون (إذا حكم رشاد سبي العباد) ودامت سلطنته أيام الحرب العظمى إلى ما بعد سقوط بغداد واحتلال البريطانيين لها وكان والياً في بغداد حين ارتقاء السلطان محمد رشاد



السلطان عبد الحميد



السلطان محمد رشاد

عرش السلطنة الوالي نجم الدين ملا وهو من الولاة المخضرمين أدرك العهدين، عهد الاستبداد وعهد الحرية .

الوالي ناظم باشا

المشهور أن الوالي ناظم باشا من الولاة الذين خلدت مآثرهم وأعمالهم في تاريخ الولاة الذين قدموا إلى بغداد ، وجدير بنا البحث في أيام حكمه وما نجم عنها من إصلاحات شاملة ورقي زاهر دخل ناظم باشا بغداد بعد أن تطلعت اليه الأنظار واشرأبت اليه الأعناق وذلك يوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنـــة ١٩١٠م وهو مزود بصلاحيات واسعة فيما يختص بالولايات الثلاث بغداد والموصل والبصرة ولم يحل ببغداد بعد الوالي مدحت باشا والياً نال شهرة واكتسب ذكراً كناظم باشا ولما تربع على دست الولاية اتصل برؤساء بغداد وسبر غورهم وجس نبضهم وشمر عن ساعد الجد والعمل وأول عمل عمله



ناظم باشا

جدد الحياة العسكرية في الدولة لأنه كما نعته الوالي سليمان نظيف بك بأنه أكبر جندي في الجيش العثماني ، وأخذ ينظم الجيش وزوده بأسلحة حديثة الطراز وجدد ألبسته وجعل له معسكراً خارج بغداد وجمعه فيه ومنح الجنود رواتبهم المتأخرة ، وكان قبل إعلان الدستور في حلول مواسم الأعياد يهجم الجنود على أسواق بغداد لنهب ما في الحوانيت لعدم دفع الرواتب لهم ويسمى هذا النهب (فرهود) ثم أمر الوالي ناظم باشا بجمع العساكر أي الجنود وأخـــذ يعمل لهم بين الآونة والأخرى (مناورة) أي تدريباً عسكرياً وذلك في شمال

باب المعظم في محل محطة قطار شمالي بغداد الحالية ولم أنس ليلة من ليالي المناورات وقد تعالى بها هدير أصوات المدافع والرشاش وأزيز الرصاص وصراخ الجنود المتوالي وبذلك أرهب الناس والعشائر وأمنت السبل وساوى بين القوي والضعيف والغني والفقير .

فتاوى العلماء

وأحسن عمل عمله ناظم باشا وهو من باكورة أعماله مهمة العشائر ورفع غوائلها فلقد استطاع أن يحصل على فتاوى من علماء الحنفية والجعفرية بقتل الذي يتجاهر بالظلم والذي يستولي على أموال الناس بطريق النهب والسلب بحجة الغزو وإصدار هذه الفتوى عن أبناء الحنفية مفتي ولاية بغداد العلامة محمد سعيد الزهاوي والعلامة الشيخ غلام رسول من علماء الهند المقيم في بغداد ونقيب أشراف بغداد السيد عبد الرحمن النقيب والعلامة السيد محمد نافع الطبقچه‌لي والعلامة الشيخ عبد الوهاب النائب مدرس جامع منورة خاتون والعلامة السيد محمود شكري الآلوسي مدرس جامع الحيدرخانة والعلامة الشيخ محمد سعيد مدرس جامع الامام الأعظم وعن علماء الجعفرية العلامة الشيخ كاظم الخراساني من النجف والعلامة الشيخ عبد الله المازندراني من النجف أيضاً والعلامة السيد محمد القزويني من الحلة والعلامة الشيخ محمد حسين من كربلاء والعلامة الشيخ محمد باقر من كربلاء أيضاً والعلامة السيد اسماعيل الصدر من الكاظمية .

وكانت لهذه الفتاوى الأثر العميق في نفوس أبناء العشائر فسكنوا مدة بقاء الوالي ناظم باشا في بغداد وعادوا إلى ما كانوا عليه من الغزو والتمادي في السلب والنهب .

وعلى أثر إصدار هذه الفتوى أمر في جمع العشائر كلها في بغداد وكان يوم إجتماعهم يوماً مشهوداً اغدق فيه على رؤسائهم النعم وخلع عليهم الخلع فأحبه الجميع وأطاعوه وناهيك محبة أهل بغداد له وانه إذا مر في سوق بغداد وأزقتها تقف له الجماهير حباً به وخشية منه !.

تنظيف الطرق

ومن أعماله التي سجلت بعداد الفخر والاعجاب تنظيم أزقته الضيقة وعدم طرح أوساخ (زبالة) البيوت فيها وعمل عربات خشبية أعدت لحـــل تلك الأوساخ ونقلها خارج المدينة بعد أن كانت تحمل بواسطة الحمير والذي مكلف بحمل الأوساخ يقف صباحاً في المحلة وبيده (جرس) كبير يدق به دقات متوالية تنبيهاً لذوي البيوت ليخرجوا ما لديهم من الأوساخ فيتناولها ويلقيها في العربة المعدة لحمل الأوساخ وهكذا تعود أهل بغداد على تلك الحالة المفيدة لما أمر بوضع ما يستخرج من المراحيض في علب (تانـكيات) من الصفيح وطرحه في المحل المعد له بدلاً من وضعه في (الظروف) المعمولة من جلود الغنم التي تحمل بواسطة الحمير بوضع يستلفت النظر

الـكلاب السائبة

ولا ننسى كلمة (الحبل) والتي مضى عليها عدة سنوات والحبل هو الذي تربط به الـكلاب السائبة التي يقبض عليها وايداعها بمحل اعد لها قرب مقبرة اليهود ببغداد والشيء المضحك أن كل كلب في ذلك العهد يسمع كلمة (حبل) يهرب فترى الأولاد الصغار حينما يشاهدون كلباً ينادون (حبل حبل) فيهرب الـكلب لمجرد سماعه هذه الـكلمة

فتح شارع النهر :

ولم تـكن أعمال الوالي ناظم باشا مقتصرة على هذا فقط بل تعـــدت إلى مشاريع عمرانيـــة أخرى منها فتح شارع النهر ومر بفتحه على القنصلية الانـكليزية وشطرها شطرين وهذه القنصلية يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٧ م وتتمتع بامتيازات لم يبلغها غيرها من القنصليات فلها ١٢ قواساً وعدد من الجنود المسلمين الهنود يبلغون ٦٠ جندياً وكان تحت تصرف هذه القنصلية

باخرة صغيرة يقال لها (كوميت) وأهل بغداد يسمونها (مركب كد) وكانت ملازمة لهذه القنصلية ليلاً ونهاراً .

جمع العشائر لعمل السد :

وأمر الوالي ناظم باشا بجمع العشائر لعمل سد ضخم وبضمنهم عمال بغداد وهذا السد يحيط بمدينة بغداد من شرقيها ليقيها من الغرق وقد سمى هذا السد باسمه وإلى الآن يسميه أهل بغداد (سدة ناظم باشا) وبهذا العمل ساعد أبناء العشائر وأهل بغداد مساعدة كانوا أحوج الناس اليها

الافطار في رمضان

وأحسن عمل له يشكر عليه فقد مر في عهده رمضانان ولم نر من يتجاهر بالافطار في رمضان فكل من تراه الشرطة (البوليس) مفطر تجلبه إلى مركزها وبعد أن تجلده عشر جلدات تحكم عليه المحكمة بالحبس لمدة شهر فكان لرمضان في زمنه حرمة عظيمة ومكانة مرموقة .

عزل ناظم باشا

روعت بغداد بعزل والي بغداد ناظم باشا وقد وقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على أهل بغداد فقامت التظاهرات وكثرت الاحتجاجات من قبل أهل بغداد وفي مقدمتهم الوجيه عبدالقادر باشا الخضيري وقد ضحى بمال كثير وهو في دائرة البرق والبريد يخابر استانبول ويندد بعزل هذا الوالي المصلح وكان الواسطة بينه وبين الحكومة في استانبول مبعوث الحلة العلامة المرحوم السيد مصطفى نور الدين الواعظ الذي بذل كل ما في وسعه في ابقاء ناظم باشا والياً على بغداد ولكن إرادة (الباب العالي) في استانبول أصرت على عزله وفي يوم الجمعة ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١ م أودعت وكالة ولاية بغداد إلى الفريق يوسف باشا بناءاً على عزل الوالي ناظم باشا ويا ليت كنا نعلم ما هو السبب عزل هذا المصلح الكبير

لقد تكاثرت الأقوال وتباينت الحجج فمن قائل يقول أن عزله كان إرضاءاً للحكومة الانكليزية لهدم قنصليتها وآخر يقول من ازدياد الشغب الذي حصل عليه من جراء قضية (سارة خاتون) بنت أوانيس اسكندر الأرمنية ونحواها أن أحد الضباط من أعوان ناظم باشا أحب (سارة خاتون) وأراد أن يتزوجها فامتنعت من ذلك فتداخل بالأمر ناظم باشا فحدثت شكاوى عليه وكثرت الأحاديث ولما لم يجد أعداء ناظم باشا غير هذه القضية ذريعة يشوهون بها سمعته جعلوها وسيلة للتنديد بأعماله ولقد انتهز الشاعر جميل الزهاوي هذه الفرصة فنظم قصيدة بعنوان (طاغية بغداد) هاجمه فيها ويصف بها قضية (سارة خاتون) الأرمنية ولا عجب من الزهاوي إذا ما هاجم هذا المصلح فان نزعته الاتحادية هي التي دفعته إلى هذه الثورة النكراء تجاه ناظم باشا وفي يوم الثلاثاء صباح ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩ ﻫ يقابلها سنة ١٩١١ م غادر ناظم باشا بغداد قاصداً استانبول ولسان حاله يقول :

لا تسلم كفي إذا السيف نبا صح مني العزم والدهر أبى

قتل ناظم باشا :

وبعد وصول ناظم باشا إلى استانبول ولأمر يريده الله عين وزيراً للحربية خلفاً للمرحوم محمود شوكت باشا شقيق الأستاذ حكمت سليمان ولم يكد ناظم يتمتع بالحكم حتى غاله القدر المحتوم وفي ١٥ صفر سنة ١٣٣١ﻫ يقابلها كانون الأول سنة ١٩١٣ م اغتيل فشق نعيه في جميع الممالك التركية عامة وبغداد خاصة وبكاه الكبير والصغير لما له من المحبة في قلوب أهل بغداد ورثاه الشاعر عبدالرحمن البناء بقصيدة بعنوان (شهيد الحق) وقد أرخ بها عام وفاته وهي:

بكينا دماً لا بالدموع السواجم عليك شهيد الحق يا خير ناظم
بكينا فأبكينا العداة كرامة عليك ذكاء المجد بدر الأكارم
بكينا فأبكينا الأماجد رحمة عليك أبا الاصلاح رب المراحم

أناظم عقد المجد والفخر والنهى ... عليك اضطربنا كاضطراب الأراقم
أناظم سالمت الزمان بعفة ... ولم تدر أن الدهر غير مسالم
أناظم لو تدري بفقدك ما جرى ... فقد بدّلت أفراحنا بالمآتم
أناظم ما فزنا برؤياك مرة ... وما قد كسبنا غير عض الأباهم
أني فوق جنح البرق نميك طائراً ... فلله صيت طائر في العوالم
ولا جئتنا يا ذا (التلغراف) مخبر ... قضى ناظم نحباً بضربة ظالم
فما جئتنا إلا وطارت نفوسنا ... شعاعاً تلبيه بغير قوادم
كفاه افتخار قائد الجيش قد قضى ... شهيداً ولم يقتل بحرب المخاصم
وراح لدار الحق بالحق فائزاً ... ولم يلتفت نحو الخطوب الهواجم
وخاطر في نفس علينا عزيزة ... وبالعز قد وافى الردى غير سادم
له الهمة الكبرى بكل ملمة ... وكان سديد الرأي ماضي العزائم
وقد رامت البلقان تغصب ملكنا ... فقام له مثل الشجا بالغلاصم
عليه سلام الله ما ذكر امرء ... وما قد بكت مثواه عين الغمائم
عليه سلام الله ما قد تمايلت ... غصون وما هبت هبوب النسائم
عليه سلام الله من خير أمة ... تنوح أسى لا مثل نوح الحمائم
عليه سلام من قلوب حزينة ... جروح بها لم تلتئم بالمراهم
عليه تحيات العراق وأهله ... مضمخة من ماء ورد الكمائم
عليه من الزوراء الف تحية ... عليه شذاها ترتدي باللطائم
سأنظم في علياه در مدامعي ... بعقد ولاء زين في سلك ناظم
أناشدكم يا أمة الفخر والعلى ... بحرية شيدت بخير دعائم
فذ أعلن الدستور وانشق نوره ... فهل قد قضى أرخ شهيداً كناظم

١٣٣١ هـ

* * *

الوالي جمال باشا :

كان الوالي جمال باشا كسائر الولاة الذين أشغلوا منصب الولاية في بغداد. وكانت الأخبار ترد من حين لآخر عن حركاته في طريقه إلى بغداد حتى وصل يوم السبت أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١ م وأول عمـــل قام به تأييد ما قام به الوالي ناظم باشا ونشر بياناً أعلنه للعشائر وجمعهم في بغداد كما فعل ناظم باشا مهدداً لهم بأن الغزو أمر مرذول لا يجوز الاقدام عليه ووعد في بعض المشاريع التي سيقوم بها ومنها انشاء جسر حديدي ببغداد وجسور أخرى وكان قصده بهذه المواعيد تطمين الأهلين وهي (كمواعيد عرقوب) وسرعان ما جهز قوة عسكرية بقيادة (اليوزباشي) سليمان عسكري الذي صار مؤخراً قائد الجيش في الحرب



جمال باشا

العالمية فقام بارهاب العشائر وتنكيل رؤسائها وصارت تحصل الضرائب بالقوة وفي عهد جمال باشا أعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية في ١٨ شوال سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م وحصلت في بغداد مظاهرات وتجمع الناس في دار الحكومة (السراي) وأبدوا السخط والاستنكار من أعمال ايطاليا فتكلم الوالي جمال باشا بخطاب وخطب الشاعر جميل الزهاوي وحث الناس على الجهاد .

لقد كان جمال باشا ـ كما وصفه الأمير شكيب أرسلان ـ ذكي الفؤاد متوقد الذهن سريع الفهم ماضي العزم مهاب الطلعة ولكنه كان سريع

الانفعال متكهرب الأعصاب مغرماً بالمجد مولعاً باكتساب الذكر البعيد متغطرساً جباراً مفتوناً بأن يوصف بالجبروت محباً للانتقام والبطش ، ولقد جنت الدولة العثمانية جناية كبرى على نفسها وعلى العرب والترك معاً بأن سلمته زمام سوريا مدة الحرب تسليما مطلقاً فمضى في شهواته وأهوائه غير حاسب ولا مراقب ولا ناظر شيئاً من العواقب وقد قضى على أحرار العرب في الشام وبهذا عرف بالسفاح وان الذين قتلهم أبرياء من جناية الدولة ولم يكن لهم ذنب سوى وجودهم في الحزب المعارض لحزب الاتحاد والترقي والقانون العثماني لا يعرف حزب الاتحاد وإنما يعرف السلطنة العثمانيـــة مع العلم ان أحرار العرب الذين فتك بهم لا يوجد لفريق منهم وثائق خطية ولا قرائن قطعية توجب الفتك بهم وقد برر جمال باشا هذا العمل من باب القتل السياسي وهذا الاغراق في التشفي والتعذيب لا مبرر له ولا يؤيده قانون ولا يقره عدل ولا انصاف !

وفي مدة ولايته في بغداد اشتهر بالمخازي والموبقات وعكف على رقص (الدانص) مع (مدامة) مدير البانق العثماني وكان يقيم في قصر عبدالقادر باشا الخضيري على نهر دجلة قرب (الدباغخانة) وبيته مجاوراً لبيت جمال باشا .

استقالة جمال باشا :

وبعد قبول استقالة الوالي جمال باشا من منصب ولاية بغداد سافر إلى استانبول من طريق حلب في عصر يوم السبت ٤ رمضان سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها ١٧ آب سنة ١٩١٢م وهناك نال وظائف عديدة منها متصرفيات وولايات حتى ارتقى إلى وزارة البحرية فذهب إلى سورية قائد جبهة فهاجم (قناة السويس) وكان نتيجة هجومه الخيبة والفشل فعاد إلى وزارة البحرية وبعد متاركة (موندروس) تغيب عن استانبول وقضى مدة في أوربا ثم سافر إلى الافغان لتنظيم الجيش وبعد ذلك عاد إلى (برلين) عاصمة المانية ليرى اسرته وفي أثناء عودته إلى الافغان ظفر به الأرمن في (تفليس) واغتالوه مع ولديه ، وهكذا انطوت صحيفة هذا السفاح .

((أهم الحوادث في بغداد))

شاه ايران :

في يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧ هـ يقابلها سنة ١٨٧٠ م حل ببغداد ناصر الدين شاه لزيارة العتبات المقدسة وقد حل ضيفاً على الحكومة العثمانية أيام الوالي مدحت باشا وكان الاحتفال بقدومه باهراً فاستقبله الجند من خانقين وقد بنى له قصراً في حديقة المجيدية ليكون له مسكناً طيلة إقامته في بغداد .

سقوط مطر في الصيف :

في يوم السبت ١٢ شعبان سنة ١٢٩٥ هـ يقابلها سنة ١٨٧٨ م أيام الوالي عبدالرحمن باشا سقط مطر في بغداد بالصيف ومثل هذا المطر لم يقع إلا نادراً وقد أرخ عام سقوطه والدي مصطفى العلاف بقوله :

في الصيف غيث قد هما   أرخ (بغير محله)

١٢٩٥

قحط وغلاء

وفي أيام الوالي عبدالرحمن باشا سنة ١٢٩٧ هـ يقابلها سنة ١٨٨٠ م حصل قحط وغلاء في بغداد وشمل ولايات كركوك والسليمانية والموصل وكان غلاءاً خطراً حتى أصبحت جثث الموتى مكدسة بالطرقات والأسواق كما أن البنات والأولاد بيعت بثمن بخس لعدم قيام أهلها بمعيشتها وسمي هذا الغلاء بمجاعة (البرسيمة) أي جوعان باللغة الكردية ، لأن الكرد حينما نزحوا من كركوك والسليمانية فراراً من الجوع الذي أصابهم ودخلوا ببغداد صاروا ينطقون بكلمة (برسيمة) أي جوعان .

الهيضة (أبو زوعة) :

لقد ابتلى الله هذا البلد الأمين (بغداد) بكوارث عديدة منها القحط والغلاء والغرق والوباء وآخر ما حل به هو مرض الهيضة (أبو زوعة) كما يعبر عنه ، وفي سنة ١٣٠٧ هـ يقابلها سنة ١٨٨٩ م ظهرت الهيضة فى بغداد أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وبظهور هذا المرض الفتاك غلقت الأسواق وتعطلت الأعمال وفر الكثير من الأهلين وبضمنهم اليهود وأكابر البلد إلى القرى المجاورة لبغداد واستمر هذا المرض ٣٠ يوماً وبلغ مقدار الوفيات كل يوم ما ينوف على المائة وثلاثين الأمر الذي أحدث قلقاً عظيما واضطراباً بين سكان بغداد

المشير رجب باشا

في يوم ٩ شوال سنة ١٣٠٨ هـ يقابلها سنة ١٨٩٠ م وصل إلى بغداد المشير رجب باشا قائد (آلتنجى اوردوى) أي الفيلق السادس فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل أهل بغداد .

كان المشير رجب باشا ضابطاً في بغداد قبل تعيينه قائداً وعرفوا أهل بغداد مزاياه وأعماله الطيبة

وكان فى أيامه الفريق شعبان باشا آمر لواء كركوك وقد نقله المشير رجب باشا إلى كركوك ،



المشير رجب باشا

ومن النكات الظريفة التي جرت بين المشير رجب باشا وبين الفريق شعبان باشا وهي بعد مدة من نقل شعبان باشا إلى كركوك طلب من المشير رجب باشا نقله إلى بغداد لأنه سئم المقام في كركوك فأجابه رجب باشا بجملة لطيفة بالعبارة التركية وهي : (رجب چقماز ايسه شعبان كره مز) بمعنى لا يدخل شعبان ما لم يخرج رجب !

كنز نقود عباسية :

في أيام الوالي نامق باشا الصغير عشر يوم السبت سنة ١٣١٧ هـ يقابلها سنة ١٨٩٩ م على شاطيء دجلة من خضر الياس بجانب الكرخ على دفينة (كنز) وكيفية العثور عليها ان قفافاً إسمه صالح بن خلف المشهداني من من هناك حينما أراد العبور بقفته إلى جانب الرصافة فصادف (بستوقة) وعند لمسها بغرافته انكسرت فانصبت النقود الذهبية منها واندفقت في النهر وقد اخبرت الحكومة بالأمر وأمرت الغواصين باخراج النقود الذهبية من الماء وبنتيجة احصائها بلغت نحو ثلاثة آلاف قطعة من المسكوكات العباسية ، وقد أرخ والدي مصطفى العلاف عام العثور على هذا الكنز الثمين بقوله :

ورب كنز دام في مخبأ ... به صروف الدهر تهتز
واليوم لما ان بدا ظاهراً ... أرختة قد ظهر الكنز

١٣١٧ هـ

الهتزاز في بغداد

في ليلة ٧ جمادى الأخرى سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا حدث اهتزاز في بغداد مرتين متواليتين وقد استولى الخوف والرعب في قلوب الناس وصاروا لا يأمنون على حياتهم بسبب هذا الحادث المفزع .

سقوط وفر (ثلج) :

في ٢٠ المحرم سنة ١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١ م أيام الوالي جمال باشا اجتاحت بغداد موجـة وفر (ثلج) مصحوبة ببرد شديد وتعطلت حركات

السير والمرور وقد بدأ الوفر يتساقط كالقطن المندوف طول الليل فغشى جميع الطرق وكافة سطوح الأبنية والنخيل والأشجار وكسا قبب الجوامع والمآذن حلة بيضاء وأصبحت تزهو بمنظرها الجذاب ووضعها الغير منتظر وتكرر سقوط الوفر يوم الاثنين صباحاً من ذلك الشهر ومثل هذا الحادث الغريب لم تألفه بغداد من زمن بعيد !

سكة حديد بغداد

في صباح يوم السبت سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا احتفل بوضع الحجر الأساسي لسكة حديد بغداد في جانب الكرخ وهذه هي سبب النزاع الحاصل بين الدولة الألمانية والدولة البريطانية وقد حضر الاحتفال كافة رجال الحكومة العثمانية من عسكريين وملكيين وقناصل الدول وكان الاحتفال عظيما ما شاهدت بغداد مثله .

حريق في خان النفط :

وفي مساء يوم السبت ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق هائل في بغداد بخان النفط الواقع في محلة العوينة العائد إلى السيد محمد السيد محسن آل العطار وهم السادة الحسنيون المعروفون في بغداد ودام إلى يوم ٣٠ من الشهر أي إلى يوم السبت وكان ما التهمته النار يربو على ثلاثة عشر الف صندوقاً من النفط و ٢٥٠ صندوقاً (اسبرتو) و ٢٠٠ صندوقاً من (البانزين) وقد كنا نشاهد صفائح النفط تتطاير بعد الانفجار في الجو وهذا أعظم حريق في بغداد عرفته الحكومة العثمانية .

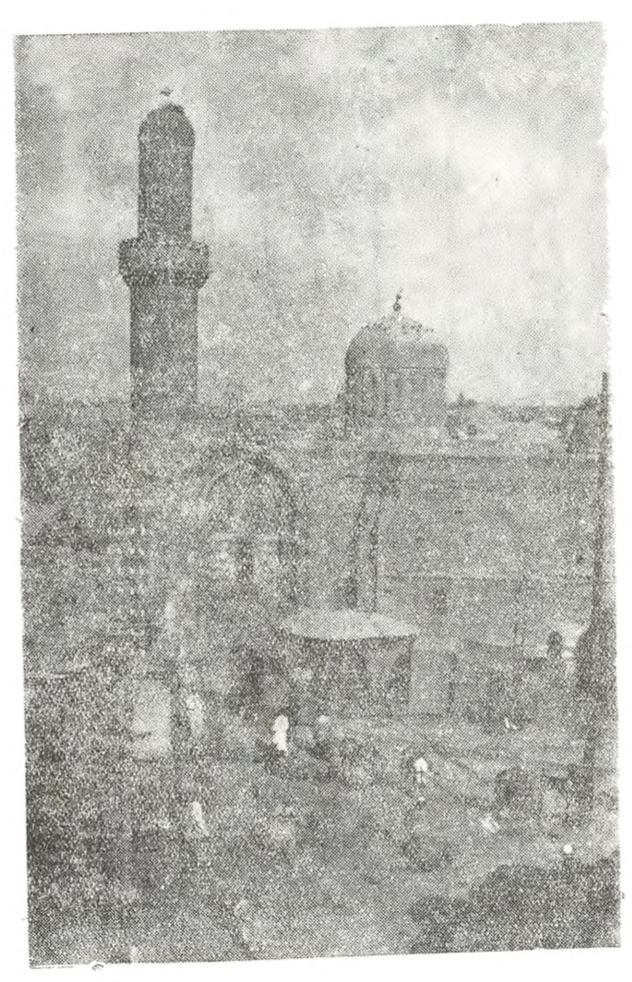
حريق ثاني في معمل العباخانة

في يوم الجمعة ١٤ جمادى الأخرى سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا شبت نار في معمل العباخانة العسكري الذي أسسه الوالي مدحت باشا ودام أربع ساعات وقد احترقت جميع الأقمشة المخزونة فيه وبعد

الجهد المتواصل اخمدت النيران وتقدر الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحريق بخمسة آلاف ليرة ذهب عثمانية .

حريق ثالث في سوق الشورجة

في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ١٣٣٠ هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق ثالث في خان الحاج عبدالعزيز في سوق الشورجة التهمت النار جانب سوق العطارين مقابل (خان الدجاج) وامتدت النار إلى جامع مرجان



جامع مرجان

وقد بذل أهل بغداد همة تشكر لانقاذ هذا التراث الخالد ولولاهم لذهب اكلة سائغة لهذا الحريق وقد دام هذا الحريق نحو اسبوع وتقدر الخسائر التي تكبدها الحاج عبد العزيز نحو اثنى عشر الف ليرة عثمانية ، ومن سوء حظ الوالي جمال السفاح ان هذه الحرائق حدثت ابان حكمه في بغداد .

استشهاد محمود شوكت باشا :

في يوم ٦ رجب سنة ١٣٣١ هـ يقابلها ١٥ حزيران سنة ١٩١٢ م روعت بغداد بنبأ خطير ومصاب عظيم وهو اغتيال بطل الحرية محمود شوكت باشا وكيفية اغتياله بينما كان راجعاً من وزارة الحربية ذاهباً إلى الباب العالي وصلت سيارته إلى منعطف شارع (ديوان يولى) فرأى السائق نعشاً محمولاً على الاكتاف يحف في تشييعه خلق كثير فاضطر على توقيف السيارة احتراماً إلى الميت وعندما وصل حاملو النعش إلى محل وقوف السيارة وإذا بالرصاص يدوي في الفضاء ومن جرائه أصيب محمود شوكت باشا فخر صريعاً ؟ ! وقد قتل معه مرافقه كما أصبح ذلك الشارع خالياً من الناس رغماً على أنه من أمهات الشوارع فى الاستانة ولا يخلو من الازدحام المستمر ولم يبق فيه سوى النعش مطروحاً على الأرض وقد كان خالياً . هذه حادثة استشهاد بطل الحرية محمود شوكت باشا الذي لهج الناس به وكثر اطراؤهم فيه .

نال محمود شوكت باشا شهرة لم ينلها أحد من قبله فلقد اعتلى هذا البطل كرسي الصدارة العظمى وتقلد وزارة الحربية في وقت كانت شقة الخلاف مقسمة بين حزبين متطاحنين هما حزب الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف وبنتيجة ذلك التطاحن اغتيل ونال رتبة الشهادة في ٦ رجب سنة ١٣٣١ هـ يقابلها ١١ حزيران سنة ١٩١٣ م وقد نعته الحكومة العثمانية فوقع نبأ نعيه في بغداد وقوع الصاعقة واعترى أهلها الدهشة لهذا الحادث المؤلم والمصاب الجلل وقد رثاه الشاعر معروف الرصافي بقصيدة وهو إذ ذاك في استانبول وهي



محمود شوكت باشا

لقد بت مطروف النواظر بالسهد ... تقلبني فوق الفراش يد الوجد
تساورني رقشاء من لاعج الجوى ... ويقدح في قلبي الأسى واري الزند
فأرقب تغوير النجوم بمقلة ... ترقرق فيها الدموع منفرط العقد
أقول وفرع الليل اسحم والأسى ... يدب دبيب السم في العظم والجلد

متى يسفر الصبح الذي أنا راقب — أليس قميص الليــل عنه بمنقد
إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه — كما أصلت السيف الجراز من الغمد
فمــا أنا إلا غفوة نخيـــالة — لدى العالم العلوي في ربوة الخلد
رأيت كأني قمت حول سرادق — من النور مرفوع الدعائم ممتد
أقاموا لواء الحمـد فوق عمـاده — وخطو على حافاته سورة الرعد
وقد أشرقت ملء السموات حوله — قناديل خضر تستنير بلا وقـد
وقد لاح لي محمود شوكت جالساً — به فوق كرسي الجـلالة والمجد
وفي يده سيف أجيـــد صقاله — على أنه من صنعة الله لا الهند
وفي الرأس تاج بالثناء مرصع — فويق جبين مشرق بسنا الحمـد
وقـد جللته بـردة سندسيـة — ومن تحتها درع إلَـهية السرد
وبين يديه زمرة من ملائك — مجنحة الأيدي غرانقـة مرد
تهنئـــه بالفوز طـوراً وتارة — تحييه بالغض الطري من الورد
وقد قام من حول السرادق موكب — عظيم به اصطفت ألوف من الجند
فلما رآني واقفـــاً بحياله — وقد كنت بين الجند معتزلاً وحدي
أشار أن اقرب يا رصافي ما لنا — نراك وحيداً قد وقفت على بعد
فجئت وجسمي قد تمشته رجفة — كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقمت لديـه وانحنيت أمامـــه — فقبلت بالتعظيم حاشية الـــبرد
فقال لقد آنست إذ جئت إننا — عهدناك من زوارنا مخلص الود
ولا ترتجف هوّن عليك فأنما — نزلت قرين الأمن في منزل السعد
فأبلغ تحياتي إلى الوطن الذي — سعيت إلى اعلائه باذلاً جهدي
وقـل لبنيه إنني لست حاقـداً — عليهم فمثلي لا يميل إلى الحقـد
وإني لما أن تمثلت قائماً — بديوان ذي العرش الذي جل عن ند
طلبت لهم عفواً من الله سابقاً — وقلت له يا رب لا تخزهم بعدي
أيا رب اني قد قصدت نجاحهم — فحقق لهم يا رب ما كان من قصدي

واني لأرجو منك مرحمة لهم وإن قتلوني ظالمين على عمد
فاني أرى موتي بخدمة أمتي حياة به طعم الشهادة كالشهد
ألا فاهدهم يا رب للمجد والعلى فما من مضل في الأنام لمن تهدي
وقال أتدري من هم الجند انهم من استشهدوا في حرب أعدائنا اللد
ألم ترهم دامين حتى كأنما تسربل كل لبدة الأسد الورد
فسوف يجول الله ادأب صدعهم واغزو العدى فيهم على الضمر الجرد
وأذن في الحي المؤذن غدرة وأحسست في رؤياي برداً على كبد
وأصبحت لم أملك برادر عبرة تخط سطور الدمع في صفحة الخد
سأبكي واستبكي الجيوش على فتى فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلد
فتى كان في أفق الوزارة كوكباً به في دجى الخطب الخلافة تستهدي
وقد كان في وجه الخطوب تبسماً إذا عبست يوماً بأوجهها الربد
وما مات محمود الخصال وإنما تنقل من هذا الفناء إلى الخلد
لئن غيبت عنا مراثيه في الثرى فما غيبت عنا معاليه في اللحد
وما هو إلا السيف قد كان مصلتاً على الدهر وهو اليوم قد قر في الغمد
سيبقى له الذكر الجميل مؤبداً تمر به الأيام حالية الأيدي

* * *

وقد أرخ عام استشهاده والدي مصطفى العلاف بقوله

نعى في ليلة ظلماه ناع وشر النعي في سود الليالي
وروع قلبنا بعظيم خطب به بغداد باتت في وبال
فأنكرت الحوادث وهي شؤم ومثلي بالحوادث لا يبالي
أمحمود الخصال يموت غدراً وهمته رقت أوج المعالي
فلا عجباً إذا ما أرخوه أكيد موت محمود الخصال

١٣٣١ هـ

* * *

((العلماء المبرزين قبل الدستور العثماني))

العلامة الشيخ داود النقشبندي

هو ابن السيد سلمان بن السيد جرجيس النقشبندي ولد سنة ١٢٢٦ هـ .

كان رحمه الله كعبة الآمال وحجة دامغة لفحول الرجال وكان من المحدثين بالرواية والسند وقد توجه لبيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومنه عرج إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ولما رآه بعض أحبته من أهل المدينة قالوا له مولانا قد اشتعل المبيض بالمسود وبدا أثر الذبول على الخد عدة فراق سبعة عشر سنة فقال

لقد ظهر المشيب بدا صغاراً ... وغصن شبابنا أضحى قشيبا
فلا عيب إذا شبنا فهذا ... زمان يجعل الولدان شيبا

وقال أيضاً

أقول لأحباب ولعت بحبهم ... بطيبة حيا الله ذيالك المغنى
ظننتم نشوب الود من بعد بعدكم ... ليوم السوى هيهات شبنا وما شبنا

وفي طيلة حياته ظل مواضباً على وعظه وارشاداته وطريقته النقشبندية

وفي سلخ رمضان سنة ١٢٩٩ هـ يقابلها ١٨٨١ م أيام الوالي تقي الدين باشا لبى نداء ربه فعظم مصابه وشيع جثمانه بموكب فخم من رجال الحكومة والأهلين ودفن في جامع الست نفيسة بجانب الكرخ ، وقد أرخ عام وفاته الشيخ محمد أمين الجبوري بقوله :

قد فل غارب سيف الدين وانثلما ... وانهد ركن بني الاسلام وانهدما
وطود علم جليل دك جانبه ... وشاخ من عماد الفضل قد قصما
وشارق من سماء المكرمات هوى ... يا طالما كان نوراً يكشف الظلما
واغرورقت أعين الاسلام باكية ... والدين حزناً على خديه قد لطما

وأدمن العلم قرع السن من ندم   وعض اصبعه حتى قد انصرما
بآخر الصوم قد نادى مؤرخه   داود بالخلد وافى أرحم الرحما
١٢٩٩ هـ

اغتيال النائب نجم الدين :

هو الشيخ نجم الدين نائب الباب أي نائب قاضي الشرع الشريف ، كان رحمه عالماً نحريراً وشهماً غيوراً لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وكان حادث اغتياله حادث مؤلم أبكى العيون وأدمى القلوب وكيفية اغتياله في نهار الثلاثاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ يقابلها سنة ١٨٨٦ م أيام الوالي تقي الدين باشا تصدى المجرم الكاتب بمحكمة الشرعية مصطفى أفندي وضربه بخنجر فأرداه قتيلا ، وبعد محاكمة القاتل مصطفى أفندي قد ثبت جرم القتل لنائب الباب نجم الدين وعرض على الذات الشاهانية وبعد صدور الفرمان مؤرخاً ١٢ رمضان سنة ١٣٠٥ هـ المتضمن قتل القاتل وكان قتله على مشهد من الناس في أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وفي يوم السبت ١٩ جمادي الأخرى سنة ١٣٠٥ هـ يقابلها سنة ١٨٨٧ م نفذ الحكم في القاتل وقطع رأسه الرجل المسمى طه بن ناعور من محلة العوينة في بغداد ومن شدة ازدحام الناس الذين حضروا لمشاهدة قطع رأس المجرم سقطت السوق الصغيرة المتصلة بجامع الأحمدية المشهور بجامع الميدان وهلك من جراء ذلك رجل يهودي وامرأة مسلمة .

وقد كان العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي يعترف بقدرة المرحوم النائب نجم الدين الفقهية ولما جاء إلى المحل الذي أعد فيه (الفاتحة) وعند دخوله ارتجل بيتاً وهو :

يا له من نجم سعدٍ أفلا   أفلا نبكي عليه أفلا

العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي :

هو ابن أحمد أفندي بن حسن بك بن رستم بك بن كيخسرو بن مير سليمان

باشا ، ولد سنة ١٢١٢ هـ في زهاو وكان رحمه الله عالماً شهيراً ومفسراً نحريراً وله بذلك قوة فائقة ، ومما يدل على ذلك ما قاله الشاعر عبد الغفار الأخرس

أرى في لفظ هذا الشهم معنى   ينبيء عن مدى علم عظيم
ومهما زدته نظراً بفكري   رأيت نهاه قسطاس العلوم

ولطول باعه وعلو منزلته العلمية عين أولاً مدرساً في المدرسة العلمية التي أنشأها سليمان باشا سنة ١٢١٦ هـ

وبعد استعفاء أمين أفندي الكهية من منصب الافتاء في بغداد عين للافتاء وبذلك قال الشاعر عبد الباقي العمري :

قد قيل لي إذ رحت أنشد عندما   شاهدت دين محمد يتجدد
في مذهب النعمان في الزوراء قد   أفتى الامام الشافعي محمد

وقال أيضاً :

تالله ما غلط الأمين محمد   من منصب الأفتاء باستعفائه
لكن رآك به حرياً فالتجى   لنزوله بالطوع من افتائه

وظل يدافع عن الدين الحنيف ويقطع دابر الملحدين إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٣١١ هـ يقابلها سنة ١٨٩٧ م وقد شيع جثمانه تشييعاً عظيماً يحف به رجال الحكومة والأهليين ودفن في مدرسة السليمانية وقد رثاه تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقصيدة وهي :

سأبكي على فيضي وتبكي الأفاضل   وينعيه نادٍ للعلى والمحافل
وتذرف عين المجد بعد وفاته   دموعاً مدى الأيام طل ووابل
وكيف وربع العلم أمحل روضه   وعود الأماني حسرة البين ذابل
يعز على أهل العراق بأمرهم   إمام إلى تلك المقابر راحل
فمن يكشف الكشاف بعد ذهابه   ويهدى لتهذيب الملا وهو كافل
غدت بعده أهل المقاصد لم تنل   من الهدي ما كانت اليه تحاول
يحق لهم أن يسكبوا فيض مدمع   لرحلة من تطوى عليه المراحل

فلو كان داعي الموت يرضى به الفدى ... فــدته صناديد سراة أفاضل

ومذ قد توارى عيلم العلم في الثرى ... عجبنا لـكون الطود في اللحد نازل

لجيد العلى بالأمس كان مزيناً ... فأصبح عارٍ حليه وهو عاطــل

فقدنا هماماً كان كالبحر صدره ... يفيض لدينا من علاه جداول

فـكم أحجمت أسداً لديه قساور ... بيوم نزال لم يرعها منــازل

يريك علوماً لم يجد من يصونها ... سواه لهــذا ساجلته الأفاضل

له الحكم طبع والفضيلة شأنه ... حليم عن الجاني إلى السلم مائل

فليت لنــا الأيام تنجب مثله ... إمام له تعنو السراة الأوائل

على هذه الدنيا العفا بعد موتــه ... فليس بها إلا غرور وباطــل

تمادي أولي المجد الأثيل إصالة ... ويرضى بهــا غر لئيم وجاهل

وكل جديد للبــلاء معرض ... (وكل نعيم لا محــالة زائل)

فيا قبر قد واريت بحراً من العلى ... يضيق به رحب الفضا وهو سائل

ومن طبق الدنيا الوسيعة فضله ... وتزهو إذا ما حل فيها المحــافل

قضى نحبه والخلد كانت مقيله ... يساوره عفواً من الله كامل

سقى جدثاً قد ضم قــبر إمامنا ... سحاباً من المولى المعظم شامل

العلامة الشيخ عبد الوهاب الحجازي

هو ابن الشيخ عبد الفتاح الحجازي مفتي البصرة ولد سنة ١٢٤٨ هـ يقابلها سنة ١٨٣٢ م كان رحمه الله أقوى العلماء بياناً وأجودهم حكمة وبرهاناً ولذلك اختير من بين أقرانه وعين مدرساً يدرس العلوم على اختلافها بمدرسة جامع الخاتون التي أنشأتها مع الجامع سنة ١٢٦٧ هـ يقابلها سنة ١٨٥٠ م منوّرة خاتون زوج سليمان باشا ثم تقلب في وظائف عديدة منها القضاء الشرعي في كثير من مدن العراق كالحلة والناصرية والسليمانية ثم عين أميناً للفتوى في بغداد ثم نائب قضائها الشرعي ثم منصب الافتاء في مدينــة البصرة كما أناطت به

وظيفة مدير المعارف ونظارة الأوقاف وعلى ذلك منحته الحكومة العثمانية مقابل خدماته الجليلة التي خدم بها الدين الحنيف والأمة من ناحية العلم والقضاء وسام (السلطنة العثمانية) ورتبة (پاي تخت) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥ م أيام الوالي الحاج حسن باشا أنشبت المنية فيه أظفارها بمدينة البصرة وكبر موته لدى البصريين حتى تجمهروا فى باب داره الأشراف ووجوه القوم ورجال الحكومة مشيعين جثمانه ودفن فى تربة حسن البصري وقد أرخ عام وفاته تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله :

قبر ثوى علم الهدى بصفيحه ... فغدا سحيق المسك فيه رجامه
علامـة العلماء والفضل الذي ... نشرت على كل الورى أعلامه
من كان للشرع الشريف مشيداً ... علماً محكمة بـه أحكامه
عجباً لقـبر ضم طود مكارم ... وسحاب فضل لا يجف رهامه
مفتي الأنام وقـدوة الاسلام ... للدين الحنيف قوامه ودعامه
فعلى أبو الندب الأمين بحق لـلـمجد المؤثل أن تجر لمامه
وله لسان الفضل نادى معلناً ... أرخ بجنـات الخلود مقامه

١٣١٣ هـ

السيد سلمان النقيب

هو ابن السيد علي النقيب ولد سنة ١٢٥٠ هـ يقابلها سنة ١٨٣٤ م تولى منصب النقابة بعد وفاة والده وهو الذي بنى المجد لآل الكيلاني في بغداد كان رحمه الله شهماً هماماً وبطلاً مقداماً يستلين القلوب بلين الجانب وحسن المجالسة رحب الساحة أنيس المجلس مكرماً لأهل العلم محباً للشعراء والأدباء عطوفاً على الأرامل والفقراء لا ترى العين منه إلا ما يسر القلب ويشرح الصدر ، حج بيت الله الحرام في سنة ١٢٩٦ هـ يقابلها سنة ١٨٧٨ م الذي خرج فيه بموكب هيبة وعظمة حتى أن جميع البغال التي حملت أثقاله هي ملكه مع خدمها وتقدر

بمائة بغل وقد رفقت الحكومة بخدمته (بلوكاً) أي سرية من الجندرمة بقيادة مخلص بك (آلاي بكي) أي رئيس الفرقة وبعد أن أدى فريضة الحج تشرف بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى استانبول وقابل السلطان عبدالحميد وأنعم عليه برتبة استانبول والوسام المجيدي من الدرجة الأولى وبعد عودته إلى بغداد عين رئيساً للجنة إدارة الأملاك السلطانية (السنية) وفي سنة ١٣٠٠ ﻫ يقابلها سنة ١٨٨٢ م توجه مرة ثانية إلى استانبول بناءاً على طلب السلطان عبدالحميد وبصحبته ولده السيد داود ضياء الدين فأنعم عليه السلطان رتبة (القاضي عسكر في الانضول) ثم رفع إلى رتبة (القاضي عسكر في روم ايلي) وهي منتهى المراتب العلمية كما أحسن عليه بالنيشان (العثماني المرصع) وبعدالية من الذهب والفضة وقد أنعم على أولاده وإخوته بالرتب العلمية وكانوا يتجاوزون اثنين والثلاثين رجلاً وفي سنة ١٣٠٤ ﻫ يقابلها سنة ١٨٨٦ م عاد إلى بغداد

ومن أعماله الخيرية إنشاؤه في محلة (السنك) ببغداد مسجداً ولما كملت عمارته سنة ١٣١١ ﻫ يقابلها ١٨٩٥ م وأرخه بعض الأدباء بقوله :

يا نقيباً لم تزل خير فتى	خصك الله برشد وهدى
أودع الله بك الخير الذي	بلغ الوفاد منه المقصدا
فزت مذ شيدت يوماً مسجداً	بنعيم دائماً طول المدى
وترى الاسلام لله به	ركعاً طوراً وطوراً سجدا
فعلى نهج الهدى قد أرخوا	وعلى تقوى أقمت المسجدا

١٣١١ ﻫ

وفي سنة ١٣١٢ انشاء سقاية (سبيل‌خانة) يردها العطاشا ولما تم تشييدها أجرى اليها الماء من نهر دجلة وقد أرخ عام بناءها بعض الأدباء بقوله :

سيد القوم وفخر النقبا	من له فوق الثريا نسبُ
رضى الله على أفعاله	وبه يعلو العلى والرتب

بالندى يمناه أجرت مورداً ... جملة الوراد منـــه تشرب
فاذا قيـل لعمري دجـــلة ... ماؤهـا عـذب فرات طيب
قلت بالواحـد لطفـاً ارخوا ... سلسبيل القادري أعـــذب

١٣١٢ هـ

ودام كهفاً للأرامل والايتام حتى وافاه الأجل المحتوم في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣١٥ هـ يقابلها سنة ١٨٩٦ م وقد شيع جثمانه بموكب اشترك فيه جميع سكان بغداد ورجال الحـكومة ودفن في الحضرة الـكيلانية في حجرة خاصة وقد أرخ عام وفاته الشاعر شهاب الدين الموصلي بقوله :

هنا قادري المجـــد جاور جده ... بتربته للحشر يغشاه رضوان
على فقده عبـدالحميد بملكه ... له أسف قد بثه وهو سلطان
مضى في سبيل الحق والمجد مجده ... إلى سائر الدنيا له سار إعـلان
مناقبه الحسنى وآثاره الـــتي ... له الدهر حتى ينتهي الدور احسان
قد اختار عن دار الفنا دائم البقا ... بدار نعيم ليس تفنيه أزمان
مع الله منه الصدق قد صح ارخوا ... ثوى بالتهاني مقعد الصدق سلمان

١٣١٥ هـ

العلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي

هو ابن الامام العلامه أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الآلوسي صاحب (تفسير روح المعاني)

ولد ١٢ المحرم سنة ١٢٥٠ هـ كان رحمه الله جوزي زمانه في الوعظ وقـــد بلغ في حسن التذكير والارشاد النهايـة ، وقد تولى في شبابه بعلمه وفضله ونبله القضاء في بلاد متعددة حمد عليها وحبب إلى القلوب وفيه يقول بعض أدباء الحلة :

تصفا الشريعة للواردين ... فقـــد جاءها اليوم نعمانها

وقـد كان مطروفة عينهـا فنال الشفا فيـه انسانهـا

وفي سنة ١٢٩٥ هـ يقابلها سنة ١٨٧٨ م قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومر بطريقه على مصر القاهرة ، لطبع (تفسير روح المعاني) وفي سنة ١٣٠٠ هـ يقابلها سنة ١٨٨٢ م ذهب الى استانبول لاعادة ما اغتصبته يد الجور من حقوقه إلى نصابه ولما وصلها كان موضع تقدير السلطان عبدالحميد وأنعم عليه بمراتب عالية وأصدر أمره باعادة مدرسة مرجان اليه وبعد أن قضى فيها سنتين رجع إلى بغداد وتصدر التدريس بعنوان رئيس المدرسين وقد هنأته الشعراء وأرخت توجيه المدرسة اليه بقصائد عديدة منها قول شهاب الدين الموصلي

وافى وعرفانه والعـلم عرفه على رجال ذوي عـلم وعرفان

موظفاً قد أتى لـكن بمـدرسة قديمـة العهـد من إنشاء مرجان

وظيفـة قبـله كانت لوالده بموجب الشرط شرط الواقف الباني

واليوم قد عاد مقبول الجناب إلى بغداد باليمن مشمولاً بأحسان

وفي صكوك العلى والعلم أرخه سجـل تدريس مرجان لنعمان

١٣٠٢ هـ

وظل يقرط الآذان بوعظه ويحبر الأشعار بتآليفه حتى أتاه اليقين صبيحة يوم الأربعاء ٧ محرم ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م أيام الوالي نامق باشا الصغير وشيع جثمانه تشييعاً مهيباً إلى مقره الأخير في جامع مرجان .

العلامة محمد آل جميل

هو ابن العلامة عبدالغني آل جميل كان رحمه الله شهماً هماماً وبطلا مقداماً وعالماً فاضلا وأديباً كاملا ورث الشرف العظيم من أسلافه الأمجاد عطوفا على الفقراء أليفاً للشعراء لا ينفك عنهم ليلا ونهار ؟ تقلد وظائف مهمة في الدولة أظهر في جميعها مآثر حميدة وأفعال مجيدة وقد تزين صدره بوسامين (وسام العثماني) و (المجيدي) لقاء خدماته الجليلة .

توفي فجاءة ليلة الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣١٨ هـ يقابلها سنة ١٩٠٠ م أيام الوالي نامق باشا الصغير وقد عز فقده على جميع أهل بغداد الخاص والعام لما له من المنزلة العالية بينهم وقد شيع جثمانه بالحسرات والدموع ودفن في جامع آل جميل في محلة قنبر علي ببغداد .

وقد رثاه أسعد أفندي الطبقچلي بأبيات أرسلها برقياً من الحلة وهي :

لفقـد محمد قد حـل خطب ... بـه بغـداد طأطأت الرؤسا

وأن الصبر في عيسى جميل ... فـتى يجلو بطالعه النحوسا

بموت أبيه مات المجد لـكن ... باذن الله قد أحيـاه عيسى

وبعث العلامة السيد محمد القزويني من الحلة هذين البيتين :

لأبي عيسى بكت عين المعالي ... فهوى في فقده بدر الـكمال

فلعيسى اسوة بالمصطـفى ... يتسلى وبمحمود الخصـال

السيد حسين آل السيد حيدر

هو العالم الجليل والزعيم الديني الذي كان مرجعاً للجعفرية في بغداد ومجلسه كان حافلاً برجال بغداد وعلمائها وتجارها وكانت داره في محلة صبابيغ الآل مركزاً للاجتماعات الدينية والمآتم الحسينية ومدرسة للعلوم المختلفة ومنها تخرج عدد كبير من الأدباء والفضلاء وهو من السادة الحسنية التي ينتمي اليها آل السيد عيسى وآل السيد حيدر وآل السيد هادي العطار وآل السيد راضي وآل المراياتي آل حمندي .

جاء إلى بغداد من الـكاظمية فى عام ١٢٩٥هـ وكيلا عن الامام الـكبير السيد محمد حسن الشيرازي (ر ه) ومن بعده الشيخ محمد طه نجف . فـكان مرجعاً للشيعة في مسائلهم الدينية وحل مشاكلهم الخاصة كان له من الاولاد السيد كاظم وكان عالماً فاضلا له مؤلفات خطية سكن الـكرخ ذكره المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ممن ذكره من علماء بغداد في كتابه (المثل العليا) توفي سنة ١٣١٣ هـ قبل والده والسيد عبد الـكريم الذي خلف

والده في مركزه الديني والسيد صادق التاجر المعروف في سوق الشورجة .
توفي السيد حسين في سنة ١٣٢٠ هـ فشيعته بغداد ونقـل مشياً على الأقدام
إلى الكاظمية حيث اقبر في حسينية الاسرة فيها وقد رثاه عدد كبير من
الشعراء كالشيخ محمد حسن كبه والسيد راضي القزويني والسيد حسون
القزويني والسيد محمد صادق الاعرجي وغيرهم .

العلامة الشيخ قاسم البياتي

هو ابن الشيخ محمد البغدادي البياتي ، كان رحمه الله عالماً عيلماً ومفسراً
كبيراً ومحققاً بارعاً وكان في العلم آية كما كان جنة نعيم لا يجوع طالب فيها
ولا يعرى وكان ينطبق عليه قول القائل :

يحل عقود المشكلات برأيه ... إذا أشكل المعنى الدقيق وعقدا
وأحيا دروس العلم في علم درسه ... بدت فيه آثار الفضائل مذ بدا
وأفصح من نهج البلاغة منطقاً ... تخر له الاقلام في الطرس سجدا

وكثيراً ما كان يخطب وده الولاة فلم يفلحوا في مقابلته ، وقد أخذ على عاتقه
دراسة العلوم على اختلافها حتى توفاه الله تعالى في سنة ١٣٢٥ هـ وشيع جثمانه
بموكب حافل مشى فيه جميع طبقات الأمة ودفن في مقبرة الحيدرومي ، وقد
أرخ عام وفاته معروف الرصافي بقوله :

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت ... جواهر فضل ما لها الدهر قاسم
بكاه التقى والعلم والحلم والنهى ... وحسن السجايا والعلى والمكارم
فقدنا الذي قد كان في العلم عيلماً ... فهاجت لمنعاه البحار العيالم
لئن قد طواه الموت عنا فذكره ... مع العلم منشور على الدهر دائم
رزءناه حبراً في الطريقة مرشداً ... به اتضحت للسالكين المعالم
عفت أربع الارشاد بعد ارتحاله ... وكانت به منها تقوم الدعائم
حليف التقى ما دنس الدهر ثوبه ... بأثم ولا مرت عليه المحارم

ترحل للأخرى وأبقى مناقباً تهنى من الدنيا بهن المواسم
يصوم نهار الصيف لله طائماً ويحيي الليالي وهو لله قائم
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهه دلائل من نور الهدى وعلائم
ولما مضى للخلد قلت مؤرخاً لقد بات في أعلى الفراديس قاسم
١٣٢٥ هـ

وكذلك أرخ عام وفاته جميل الزهاوي بقوله :

كبيرٌ موت كبار الأعاظم فأنى بهم عماد الدين قائم
أيبقى قائم للدين بيت إذا انهدمت من الدين الدعائم
قضى والمفتنا من كان يحيا لتزكية النفوس من المآثم
قضى العلامة الحبر الذي لم تلد كمثاله أم المكارم
قضى الشيخ الوحيد فقلت أرخ توفى أشرف الزهاد قاسم

((العلماء المبرزين بعد الدستور العثماني))

العلامة مصطفى نور الدين الواعظ

هو ابن السيد محمد أمين الواعظ ابن السيد محمد الأدهمي ولد في ربيع الاول سنة ١٢٦٣ هـ يقابلها سنة ١٨٤٤ م وقد أرخ عام ولادته الشاعر عبدالباقي العمري بقوله آخر بيت من قصيدة :

أضاء من نادى الأمين فأرخوا   بالمصطفى مجـد الأمين انتعشا

كان رحمه الله بارعاً في كافة العلوم وبالغ القصوى في تحقيق المنطوق والمفهوم رحيما في سيرته شفيعا بحسن طويته لا يرد مراجعة مظلوم ولا يخشى بطش ظالم .

نصب مدرساً في مدرسة الخاتونية وهو ابن عشرين سنة وفي سنة ١٢٨٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٢ م نصب مدرساً وواعظاً وخطيباً في مدرسة بمدينة البصرة في الجامع المسمى بأبي (منارتين) وعين في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٠هـ يقابلها سنة ١٨٧٣ م عضواً في محكمة التمييز والحقوق بالبصرة وقد استمر في هذه الوظيفة حتى ١٦ ذي القعدة سنة ١٢٩١هـ يقابلها سنة ١٨٧٤م ثم عاد إلى بغداد وفي سنة ١٢٩٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٠ م عين رئيساً لمحكمة جزاء البصرة وقد سافر اليها في ١٣ شعبان من السنة نفسها وقد بقي فيها حتى جمادي الأخرى سنة ١٢٩٩ هـ يقابلها سنة ١٨٨١ م ثم استقال منها وفي ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٠ يقابلها سنة ١٨٨٢ م نصب للافتاء بمدينة الحلة وقد أرخ عام توليته للافتاء الشاعر أحمد التميمي بقوله :

اني اهنى سمى المصطفى بعـلا   سما على غارب الجوزا وكوكبها

فلو يروم إلى الفتوى سواه فتى   من البرايا لعمري كان مشقبها

يفتي ويوعظ عن عـلم وموعظـة   يصغى لها من غدا للوعظ منقبها

بشرى إلى حلة الفيحاء في علم   وسيداً من كرام الناس انجبها

لما تهنت به نادى مؤرخه   المصطفى مفتي فيحاء العراق بها
١٣٣٠ هـ

وقد أنيطت به رئاسة مجلس المعارف ومديرية الأوقاف علاوة على الافتاء في مدينة الحلة ، وفي سنة ١٣٢٦ هـ يقابلها سنة ١٩٠٨ م انتخب (مبعوثاً) أي نائبا عن مدينة الحلة وسافر مع النواب المنتخبين إلى استانبول وبعد أن انفض مجلس المبعوثان في استانبول رجع إلى بغداد مع زملائه المبعوثين وعاد إلى سيرته الأولى الوعظ والارشاد وفي يوم الثلاثاء ٢٤ جمادي الأولى سنة ١٣٣١ هـ يقابلها سنة ١٩١٣ م أيام الوالي محمد زكي باشا لبى نداء ربه وبموته أخرس لسان الوعظ والنطق، مصباح الخطابة وقد شيع جثمانه تشييعا فخما اشترك فيه جميع أهل بغداد ودفن في تكية البكري في محلة باب الشيخ وقد أرخ عام وفاته العلامة الشيخ عبدالوهاب النائب بقوله :

وأجل خطب غصت الدنيا به   في عصرنا فقد الهمام المصطفى
كنز المواعظ من علت أسلافه   أوج العلى والفرع بالأصل اقتفى
كالبحر علماً والسحاب افادة   فلكم أفاد المستفيد و سعفا
في كل علم لا يبارى علمه   كشف الغوامض مذ أجاد وألفا
ناداه داعي ربه فأجابه   مستبشراً بلقائه مستعطفا
فبكت لفقد حياته أهل النهى   والكل أصبح واجماً متأسفا
ولسان حال الوعظ نادى أرخوا   من للمنابر مثل نهج المصطفى
١٣٣١ هـ

وكذلك أرخ عام وفاته العلامة السيد علاءالدين الآلوسي بقوله

أسفا لقد حل الحمام بفاضل   من فقده الزورا بأمر باهظ
قد كان في علم الشريعة حافظا   ولسنة المختار جد محافظ
وله اليراع العضب يرهف ثغره   الدين خير مآزر وملاحظ
فقضى حقوق العلم غير مقصر   بكتابة وخطابة ومواعظ

وبمذهب النعمان جاهد حقبة	من عمره جهد الغيور اللاحظ
حتى قضى نحباً وسار لربه	همم الحامد في أمان الحافظ
وثوى جوار أب أبر مجاهد	في الدين نصار (أمين) حافظ
تبكي عليه قلوب أرباب النهى	حزناً فقد دهمت برزء غائظ
كم من لسان يوم مات المصطفى	يولي الثناء وبالمراثي لافظ
والدين ناح عليه لما أرخوا	الدين نواح على ابن الواعظ

١٣٣١ هـ

العلامة الشيخ سعيد النقشبندي :

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبدالغني العبيدي ، كان رحمه الله في علومه كزق عسل إن فتحت فمه خرج عسل حلو وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو وفتحت يده خرج عسل حلو كله جيد وكله نافع له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية لا يضاهيه بها أحد ولا يجاريه بها فرد وكان مدققاً ومحققاً عن وجوه الاستنباط والأدلة له معرفة كلية بالأحكام الدينية حتى عد في رتبة المرجحين وفوق هذا كله كان يسعى لاستقلال العرب وقد لاقى في هذا السبيل مصاعب جمة وكان رئيساً لحزب (المشور) الذي كانت خطته الوحيدة ارجاع الشريعة الاسلامية إلى حضيرتها الأولى وهذا الحزب تشكل في العهد العثماني بعد اعلان الحرية واستيلاء الاتحاديين في شؤون الدولة في بغداد وتشكل هذا الحزب بكل من الفريق كاظم باشا ومحمد فاضل باشا الداغستاني والسيد عبد الرحمن النقيب والسيد محمود النقيب والسيد عبدالله النقيب وعيسى أفندي آل جميل وعبدالرحمن أفندي آل جميل وعبدالرحمن باشا الحيدري وسالم أفندي الحيدري وجميل أفندي أمين الادارة ومن أعمال هذا الحزب أن أخذ يقاوم الفكرة اللادينية حتى قضى عليها وفي سنة ١٣١٤ هـ يقابلها سنة ١٨٩٦ م سافر إلى استانبول بناءاً على طلبه من قبل المشير توفيق باشا

أحد تلامذته بعد أن عرض صفاته إلى المابين ولما حل في استانبول مثل بين يدي السلطان عبدالحميد ومن هناك صدرت الارادة بانشاء مدرسة دينية كبرى في مدينة سامراء على أن يكون الشيخ سعيد شيخا للعلم فيها وعلى أثر هذه المنحة الدينية رجع إلى بغداد ولما عاد مر في قاهرة مصر واجتمع بعلمائها الاعلام وقد زار ضريح الامام الشافعي وهناك ارتجل الأبيات التالية :

أتيت لقبر الشافعي امامنا … لكي ارتوى من بحره المتلاطم
فلما أتيت القبر شاهدت لجة … علتني علو الست منها بسالم
فنوديت ما هذا عليك بفلكنا … فانا وضمناها إلى كل قادم

ولما حل ببغداد انشأت المدرسة بسامراء واكتضت بطلاب العلم وبقي يدرس العلوم فيها حتى وفاة العلامة السيد محمد حسن الشيرازي وفي سنة ١٣١٨ هـ يقابلها سنة ١٩٠٠ م نقل إلى التدريس في مدرسة الامام الأعظم أبو حنيفة وقد أرخ عام نصبه مدرسا معروف الرصافي بقوله :

ألا قد سر طالب كل علم … ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد … بمقدمه المبارك في غيابه
وتدريس العلوم لطالبيها … لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضم بغير حد … فرائد كل علم في عبابه
فقلت بعرض التاريخ بشرى … وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨ هـ

وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها سنة ١٩١٧م نصب شيخا للارشاد في (تكية الخالدية) وأخذ الناس يفدون عليه من جميع أنحاء العراق للسلوك في طريقة النقشبندية

وهكذا بقي يناصر الدين الحنيف حتى وافى أجله المحتوم سنة ١٣٣٩ هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية وشيع جثمانه من داره إلى جامع الفضل ودفن في تربة آل النائب وأرخ عام وفاته شقيقه العلامة الشيخ

عبد الوهاب النائب وكتب التاريخ برخامة ووضع فوق باب التربة وهو :

هنيت يا قبر بمن قـــد حوى شريعة المولى الرؤوف الحميـــد
قد كان يحيي القلب في وعظه ويرشـــد الســالك والمستفيد
كان من الأخلاق تمثالها وفي التقى قد كان بيت القصيد
مدارس العلم بكت بعده فهـــو لعمر الله نعم العميد
أم المعـــالي عقمت بعده هيهات أن تأتي مثل الفقيد
فى روضة الجنات قـــد أرخوا حل بدار الخـــلد فرداً سعيد

١٣٣٩ هـ

وكذلك أرخ عام وفاته مؤلف هذا الكتاب بقوله :

أبعد السعيد يطيب المنام فذاك لعمري علينـــا حرام
وكيف يطيب الكرى فى الدنا وفيها فقـــدنا التقي الهمام
ناداه اقـــدم إلـــه السما وأبشر فأنت بأعلى مقـــام
فلبي النـــداء بتاريخـــه وأضحى سعيداً بدار السلام

١٣٣٩ هـ

العلامة السيد علي علاء الدين الآلوسي

هو ابن العلامة نعمان خير الدين الآلوسي ولد فى شعبان سنة ١٢٧٧هـ يقابلها سنة ١٨٦٠ م كان غصناً يانعاً من دوحة علم أصلها ثابت وفرعها فى السماء حج فى صباه مع والده وسافر إلى استانبول مراراً منها مرة مع أبيه وتعلم اللغة التركية والفارسية وأتقن الأولى حتى نظم الشعر فيها وانتظم في سلك طلاب النيـــابة والقضاء ونال منها الشهادة ولما توفى أبوه سنة ١٣١٧ هـ يقابلها سنة ١٨٩٩ م قام مقامه وولي تدريس مدرسة مرجان فى الرصافة ومدرسة الشيخ صندل في الكرخ ولما اعلن الدستور العثماني والتأم المجلس في استانبول انتخبه الشعب العراقي مبعوثاً أي نائباً عنه ، وله قدم صدق في المطالبة بحقوق

البلاد والذود عنها بكل ما اوتي من طول وحول وبقي إلى أن انفض المجلس ، وفي سنة ١٣٣٥ هـ يقابلها سنة ١٩١٦ م دعي إلى القضاء في بغداد فزهد فيه وأصروا عليه فلم يجد بداً من تقليده على كره منه وقام به حق قيام .

وما أصدق قوله وأحكمه حينما أصرت عليه الحكومة بقبول قضاء بغداد وهو

إن القضاء هو البلاء فلا تكن متعرضاً فتصاب في سوء القضا
وإذا ابتليت به على كره فقد نهج العدالة انها سبب الرضا
والله عون الحق ينصر أهله ويذل من هضم الحقوق واعرضا

وبقي في منصب القضاء يجله الوقار ويكتنفه الجلال وقد صلحت به العباد وانحسم الفساد إلى أن أصابه مرض الفالج ليلة عيد الفطر سنة ١٣٣٨ هـ ولم يزل هذا ناشباً أضفاره فيه حتى اخترمته المنية ليلة السبت ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ هـ بعد احتلال بغداد وشيع جثمانه من الأعظمية تحفه طبقات الدوائر الرسمية والعلمية والأهلية ودفن في جامع مرجان .

العلامة السيد محمود شكري الآلوسي

هو ابن العلامة السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي ولد ١٩ رمضان سنة ١٢٧٣هـ يقابلها سنة ١٨٥٦م توفي أبوه وهو لم يزل في سن الصبا وتعهده عمه العلامة نعمان خيرالدين الآلوسي فغذاه غذاءاً علمياً وأسقاه من معين علمه الزلال حتى أهلته مواهبه للتدريس فدرس في جامع الحيدرخانة وجامع السيد سلطان علي ولما ذاعت شهرته وطبق الخافقين صيته لاسيما بعد أن ظفر كتابه (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بجائزة لجنة اللغات الشرقية المتحدة في (استكهولم) بدعوة من ملك النرويج قصده المستشرقون (كرغليوث) الانكليزي و (ماسينيون) الافرنسي اللذان اعترفا بفضله وارتفع صوته رحمه الله كمصلح وصار يدوي في المطالبة بتطهير الدين الحنيف مما لحقه من ضياع وقد شن

في سبيل ذلك غارات شعواء على الجامدين تعرض من ورائها إلى سخطهم وغضبهم فراحوا يشنعون عليه ويرمونه بتهم شتى هو براء منها حتى أغروا الوالي عبدالوهاب باشا أن يقدم إلى الباب العالي طلباً بنفيه وقد صدر الأمر بإبعاده عن بغداد ومر بطريقه إلى منفاه بمدينة الموصل، فقام الموصليون وقعدوا وقابلوا ذلك بالسخط المرير لما للآلوسي عندهم من المكانة السامية وأبرقوا للسلطان عبدالحميد يسألونه الصفح عنه واتفق أن اعلن الدستور العثماني فصدرت الارادة بالعفو وعاد إلى بغداد ، ولا ننسى ما للآلوسي من مكانة المرموقة والاحترام الشامل عند ولاة بغداد ومنهم الوالي سري باشا فكان لاينقطع عن الاجتماع به والاسترشاد برأيه فأناطبه انشاء القسم العربي من جريدة الزوراء التي أنشأها الوالي مدحت باشا ولم يغفل الوالي جمال باشا حين عهدت اليه ولاية بغداد عن مواهبه السامية وآرائه الصائبة فانتدبه خلال الحرب العالمية الأولى إلى نجد لمفاوضة أميرها بشؤون سياسية ولم يكن الآلوسي وهو عالم نحرير يصلح بمثل هذه المهام فأخفق فيها وعاد إلى بغداد وعكف على دراسته وارشاداته حتى سقوط بغداد من قبل البريطانيين سنة ١٣٣٥ هـ فعرضوا عليه قضاء بغداد فزهد فيه ثم عرض عليه أوائل تشكيل الحكومة العربية المؤقتة الأفتاء فرئاسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء فالمشيخة الاسلامية فرفض كل خدمة غير خدمة العلم الصحيح ، وبعد مرض مزمن ألم به طيلة بضع سنوات ، وفي ٤ شوال سنة ١٣٤٢ هـ لبي نداء ربه وقد شيع جثمانه بالحسرات والدموع واشترك فى التشييع العلماء ورجال الحكومة والأهلين ودفن بمقبرة الجنيد البغدادي بجانب الكرخ واقيمت له (فاتحة) فى داره وقد أنشدت فيها قصيدة مع الشعراء الذين أنشدوا القصائد فى رثائه وهي :

صبراً وإن كان المصاب جليلا ... قد طبق الدنيا بكاً وعويلا
ويلاه من هذا الزمان فانه ... لم يدر إلا الغدر والتنكيلا
أبداً يريش نباله لكنه ... لم يصم إلا أصيداً ونبيلا

لله أي مصيبةٍ ورزيـــةٍ ... أضحى لها طرف العلوم كليلا
يا أيها النبأ المغادر دجـــلة ... عز الفرات به وعز النيـــلا
اليوم قد رزء العراق بفقد من ... مقل الورى سحت عليه سيولا
اليوم بيت العلم طـاح عمـــاده ... فانهار من بعد السمو مهيلا
اليوم أقفرت المدارس وامحت ... منها الرسوم وعطلت تعطيـــلا
اليوم اقفلت النوادي كلها ... اليوم أصبحت الديار طلولا
اليوم شمـــل العلم عاد مشتتاً ... مذ بات عقد نظـــامه محلولا
هيهات بعد (أبي المعالي) أن نرى ... لعلومـــه بين الأنام مثيـــلا
من ذا ترى (للحيدرية) بعده ... في العلم والتقوى يكون بديلا
يا راحلاً والمكرمات تحفه ... يممت ظلاً في النعيم ظليـــلا
مالي أراك وأنت تسرع في السرى ... هلا وقفت إلى الوداع قليـــلا
ما شيعوا للقـــبر نعشك وحده ... بل شيعوا التكبير والتهليلا
قد كنت للزوراء أقوى ساعد ... واليوم ساعدها انثنى مشلولا
سل الزمان عليك عضباً مرهفاً ... يا ليت مرهفـــه انثنى مفلولا
مولاي يومك ما أجل مصابه ... أذهلت فيه من الأنام عقولا
إني وددت بأن اكون لك الفدى ... لو كان يرضى الموت فيّ بديلا
وأبيت قبلك في التراب مغيباً ... لو أنني ألقى لذاك سبيـــلا
فلأرثينك ما حييت على المدى ... ولأبكينك بكرة وأصيلا

وفي عصر يوم الأربعين ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤٢هـ اقيمت حفلة تأبينية كبرى في جامع الحيدرخانة اشترك فيها جماعة من الشعراء والأدباء وكنت من ضمنهم وقد القيت قصيدة في رثاء العلامة الآلوسي وهي :

جئنا نقيم بهـــذا اليوم تأبينا ... والدمع كالغيث يجري من مآقينا
جئنا نجدد ذكرى ما ألم بنا ... من المصاب لو أن الذكر يجدينا
جئنا نشـــاهد آثاراً مخلدة ... تهدى اليـنـا ونهديها لتـــالينا

جئنا نعزي المعالي والعلوم بمن ... إلى طريق الهدى قد كان يهدينا

الله أكبر مات العلم واندرست ... آثـاره وخلت منه نواديىنا

الله أكبر ما للدهر يفجعنا ... ما إن نصادقه إلا يعادينا

لا تعتبن على دهر يفرقنـــا ... فشيمة الدهر تفريق المحبينا

يا كوكباً غاب في الأجداث منطفئاً ... وجوهراً بات تحت الترب مدفونا

لئن نسيت عهوداً في محبتنـا ... فنحن لسنا لعهد منك ناسينا

بعدت عنا ولم تسمع تحيتنا ... وطالما كنت يا (شكري) تحيينا

قم من ضريحك وانظر امة وقفت ... تبكي علاك وتبكي العلم والدينا

قم من ضريحك وانظرنا بعين رضاً ... فنظرة منك بعد اليوم تـكفينا

مذ سرت سار الهنا عنا وودعنا ... والحزن ظل مقيماً في نواحينا

تركت أنجالك الطلاب في جزع ... مشتتين مدى الأيام باكينا

كانت أمانيــ لنا يا قوم زاهية ... بموت (شكري) لقد ضاعت أمانينا

عزوا المحافل عزوا اليوم (بهجتها) ... عزوا المدارس بل عزوا الدواوينا

عزوا تلاميذه الانجاب قاطبـة ... وعزوا أسرته الغر الميـامينا

العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب

هو ابن الشيخ عبدالقادر بن الشيخ عبدالغني ولد سنة ١٢٦٩ ه كان رحمه الله خاتمة المحدثين وإمام المفسرين لا يجادله أحد إلا افحمه ولا يناظره جاحد إلا خذله كان رحمه الله آية من آيات العلم ومعجزة من معجزات الأدب ولغزارة علمه انيط به من المناصب الشرعية والفتاوى العلمية ما هو أهل لها وهي أهل له فضلاً على نصبه مدرساً في مدرسة (جامع الخاتون) وواعظاً في جامع مرجان في شهور رمضان في كل سنة وفى جامع الفضل عصر كل يوم بعد الصلاة وكانت مجالس وعظه لا تخلو من ولاة وعلماء وقضاة ووجوه وأعيان فضلاً على جماهير الناس المحتشدة في كل مكان بالجامع .

وظل شيخنا النائب يتمتع بثقة الولاة ويرقى إلى أعلا المناصب بين تدريس وافتـاء وحكم وقضاء ، وعضويتي مجلس الادارة والملمي نظارة الأوقاف وبذلك أسدى للحكومة خدمة جليلة مما جعل السلطان عبدالحميد أن يمنحه رتبة (أزمير) بعنوان أقضا القضاة بموجب فرمان شاهاني مؤرخ في يوم الأول من جادى الآخرة سنة ١٣١٥هـ كما منحه رتبة (الحرمين الشريفين) وهذه أيضاً بموجب فرمان شاهاني مؤرخ ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢١ هـ وكذلك منحه السلطان محمد رشاد رتبة (ادرنه) بعنوان أقضى قضاة المسلمين بموجب فرمان شاهاني مؤرخ سنة ١٣٢٥ هـ وقد حاز أوسمة مرصعة رفيعة الشأن قدمت له بحفلات رسمية .



الشيخ عبدالوهاب النائب

لقد عاش شيخنا النائب وروحه تواقة إلى الأعمال الخيرية ورفع مستوى العلم فشيد ثلاث مدارس من خالص ماله (الأولى) فى محلة الفضل كما نوهنا آنفـاً (والثانية) جنب دار ضيافته فى (الراشدية) واختار لها مدرساً الشاعر معروف الرصافي وخصص له راتباً من خالص ماله (والثالثة) في قرية (الجديدة) ولـكرمه الحاتمي وهب تلك المدارس إلى الحـكومة لتـكون تحت رعايتها فشكرته الحـكومة وتقبلتها منه قبولاً حسناً وهي لا تزال إلى الآن ، وفوق كل هذا فقد دفعته غريزته العلمية والاحتلال ضارب أطنابه في جميع أنحاء العراق للسعي في فتح مدرسة أهلية التي هي اليوم تسمى (مدرسة التفيض) وبعد أن كابد المشاق وجابه الصعاب حصل الاجازة بفتحها وذلك سنة ١٩٢٠ م

وبعد اخماد الثورة العراقية وتشكيل حكومة وطنية اختير لرئاسة محكمة الصلح ببغداد وهي أول محكمة تشكلت بعد الاحتلال وتعيينه لهذه أكبر دافع على الأخذ بيد الأهليين وخلاصهم من تعسف المحتلين واختير لمنصب رئاسة التمييز الشرعي سنة ١٩٢٤ م كما اختير لتدريس تفسير القرآن الكريم بجامعة آل البيت وبقي يدرّس فيها إلى أن سدت .

إن كثيراً من الناس من يظن أن ليس لشيخنا النائب مؤلفات علمية وهذا خلاف ما يظنون فلقد ألف كتباً قيمة وحواش ثمينة ومنظومات غالية ولكن النفس الخبيثة واليد الأثيمة سرقتها ضمن الكتب التي سرقت من خزانة كتبه وشاء الله أن يفضح ذلك السارق فقد عثر على بعض الكتب المسروقة لدى ملا خضر بائع الكتب في سوق السراي ولما علم شيخنا النائب بذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتمثل بهذا البيت بعد أن عرف السارق !

رب من ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله

وقيل لشيخنا النائب في حديث جرى بمجلسه العامر حبذا لو أكثرت في التآليف العلمية لأنها هي التراث الخالد فسكت ثم قال مرتجلاً :

عاق تدريسي عن التدريس لكن فبهذا لست أني متأسف
من تلاميذي ألفت كتاباً كل فرد هو بالعلم مؤلف

وهكذا ظل شيخنا النائب يبث العلوم وتعليم الناس معالم دينهم وإرشادهم بالحسنى إلى الخير والسعادة حتى أخذت آثار المرض تبدو عليه فأوهن قواه وفي ظهيرة يوم الخميس ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٥ هـ فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وانطوت صحيفة أعماله العلمية من سجل الحياة وفوجيء العالم الاسلامي بخبر وفاته فشق نعيه على جميع الناس وشيع جثمانه بالتهليل والتكبير بصورة ما رأت بغداد مثله واجتازوا به شارع الرشيد حتى انتهوا به إلى جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وبعد أداء الصلاة عليه عادوا به إلى مقره الأخير في جامع الفضل ودفن في الروضة المقابلة لروضة الامام محمد الفضل وأقيم له مجلس فاتحة

فى الجامع المشار اليه وقد تليت فى مجلس الفاتحة عدة قصائد لجهرة من الشعراء وقد أرخت عام وفاته بقولي

أي رزء أودى بشعب العراق ... ومصاب قد عمّ فى الآفاق
هو فقد الامام العالم الحبر ... وشيخ العلوم بالاتفاق
قد قضى نحبه وراح مطيعاً ... ومجيباً لدعوة الخلاق
يا له الله من فقيد عظيم ... قد رقت روحه لأعلى المراقي
فهنيئاً له بدار نعيم ... قد خلت من دسائس ونفاق
علمه الجم بعده سوف يبقى ... كبقاء المراد في الأحداق
لم يمت فضله وقد أرخوه ... فضل عبدالوهاب بالصحف باق

١٣٤٥ هـ

وبعد مضي أربعين يوماً لوفاة شيخنا المرحوم عبدالوهاب النائب أقيمت له حفلة تأبين كبرى فى جامع الفضل اشترك فيها خيرة الشعراء والكتاب وقد ألقيت فيها قصيدة وهي :

ترحل صاحب الفضل العميم ... وخلف فى القلوب لظى الجحيم
مضى عنا وكان العيش غضاً ... بجانب ذلك الفذ الرحيم
ومادت راسيات الأرض حزناً ... عليه وقد هوت زهر النجوم
وقد فاضت عليه كل عين ... ولم تنج القلوب من الكلوم
ووجه الشمس أضحى مكفهراً ... يمثل صورة الخطب الجسيم
وبيت الفضل أمسى وهو قفر ... فليس بربعه غير الرسوم
فلا نطق سوى نوح فجيع ... ولا صوت سوى ناع مقيم
بكى العلم الشريف على شريف ... بكى الرأي الحكيم على حكيم
بكى الوطن العزيز على عزيز ... بكى العزم الشديد على الزعيم
بكى الكرم المضاع عليه دوما ... بدمع قد حكى هطل الغيوم
فلا عجب إذا ما راح يبكي ... فقد يبكي الكريم على الكريم

فقل للشامتين من الأداني شماتتكم على خطاء عظيم
فلم يرحل لأمر دنيوي ولكن حن للوطن القديم
وقل للحادثات من الليالي لقد بلغت ويحك ما ترومي
فبعد النائب الشهم المفدى فمن يرعى الجوار من الحريم
وبعده من يحيي الوفد عنا ويلقى الضيف بالثغر البسيم
وبعده من يرد الخطب عنا ويدفع عدله كيد الخصيم
وبعده من يرى أمر الأيامي ومن يرني إلى حال اليتيم
ومن للشرع بعد أبي (حسين) ومن للعلم بعد أبي العلوم
ومن للشعر بعد أبي (علاء) وصوت الشعر أصبح في وجوم
ومن للزهد بعد أبي (كمال) ومن يحمي حمى الدين القويم
ومن للفضل بعد أبي (جلال) وصرح الفضل أصبح كالهشيم
أبا (حسن) إذا ما غبت عنا فذكرك (خالد) عند الهموم
لقد عفت الحياة ونحن فيها نكابد لوعة العيش الذميم
وحقك ما الحياة حياة عز تطيب لكل شيطان رجيم
خيار الناس تلقاهم نياماً على مضض كأصحاب الرقيم
فكيف يطيب عيش في بلاد يذل بها الكريم إلى اللئيم
تنعم في الجنان فأنت فيها مدى الأيام في عيش نعيم

الشيخ محمد حسن كبه

هو العالم الأديب والشاعر الأريب والرجل الفذ الذي جمع من الصفات ما لا يمكن لغيره ، فقد عرف إنه من العلماء الأعلام ومن الفقهاء المبرزين في بغداد . وانه أديب نابه وشاعر مفلق دلت مساجلاته الشعرية التي كانت تجري بينه وبين أقرانه من فطاحل الشعراء كالحبوبي والعمري والسيد حيدر الحلي من مساجلات أدبية وقصائد شعرية ومراسلات نثرية تدل على

بعد غوره وتضلعه في هذه الفنون وما كتاب العقد المفصل الذي ألفه الشاعر المعروف المرحوم السيد حيدر الحلي في الشيخ محمد حسن كبه والذي يعتبر بحق انه من خيرة كتب الأدب التي الفت في العراق ومن يرجع إلى الكتاب المذكور الذي طبع في عام ١٣٣١ هـ في بغداد يجد فيه مرجعاً خصباً للحركة الأدبية في العراق عامة وفي بغداد خاصة في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري كان لأسرته الكريمة التي أحرزت في بغداد خاصة مكانة مرموقة ونفوذاً كبيراً في المجتمع ولدى الولاة وأرباب الدوائر . لما لها من أياد كبيرة على الناس وخيرات كثار تشهد لهم ما تركوه من آثار لا تزال حتى اليوم يشار لها بالبنان . فما هذه الخانات التي انشئت في القفار لتكون مأوى لقوافل الزائرين لمراقد الأئمة الأطهار . يجدون فيها الماء والسكن والأمان

وكان لهذه الاسرة دور كبير في خدمة الحركة الادبية أثناء القرن المنصرم فقد تبنوا الأدب ، وكان عميدهم المرحوم والد المترجم الحاج محمد صالح المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ واخوته المهدي المولود سنة ١٢١٩ هـ والمتوفى سنة ١٢٧١ هـ والحاج محمد رضا المولود سنة ١٢٤٥ هـ والمتوفى سنة ١٢٨٢ هـ والحاج مصطفى المولود سنة ١٢٥٥ هـ .

كان لهؤلاء فضل يذكر ومكانة مرموقة في الوجاهة والتجارة ولكن الشيخ محمد حسن عرف بالفقه والشعر والأدب .

ولد المرحوم في رمضان سنة ١٢٦٩ هـ . ولدى انصرافه عن التجارة إلى دراسة الفقه سكن مدة في سامراء أيام الشيرازي الكبير وبعده درس على الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية وقضى أكثر من عشرين عاماً منقطعاً إلى التأليف في الفقه والاصول ، وتوفي في الحادي عشر من رمضان سنة ١٣٣٦ هـ وكان لوفاته وقع شديد وأسف عظيم من الجميع .

كانت له مساجلات شعرية وقصائد مشتركة بينه وبين أقرانه من الشعراء.

تجد ذلك في كتاب العقد المفصل وديوان الحبوبي وديوان العمري وشعر المترجم جامع بين الرقة والمتانة ونقاء الديباجة والجزالة . تقرأه فتحس كأنك تقرأ ابن سناء الملك وتارة كأنك تقرأ أبا فراس الحمداني .

هكذا وصفه الدكتور مهدي البصير في كتابه (نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر) . ومن شعره متشوقاً إلى بغداد :

أرحها أيها الحادي	على مغنى ببغداد
وطارحها أحاديث	هوى فت بأعضاد
وقرط سمع داعيها	بانشاء وإنشاد
بحيث رياضها باد	وألفي زهرة النادي
بروحي أنت من ألف	وإن عز لك الفادي
فصل مضناك تغليسا	وزر من غير ميعاد
هزات فليس غير المجـ	ـد لي ألفاً ببغداد

((الشعراء المبرزين فى عهد الدستور العثمانى))

جميل صدقي الزهاوي

شاعر عبقري وفيلسوف عظيم ولد سنة ١٢٨٠ هـ يقابلها سنة ١٨٦٣ م أيام الوالي نامق باشا الكبير تربى في بيت علم بكنف والده العلامة محمد فيضي الزهاوي مفتي العراق فكان جميل الشاعر وكان جميل الفيلسوف وبعد إعلان الدستور العثماني استبشر جميل خيراً باعلانه فسافر من بغداد وألقى عصا ترحاله في استانبول دار السلطنة العثمانية وعين أستاذاً في المكتب الملكي أي المدرسة الملكية للفلسفة ومدرساً في جامعة (دار الفنون) للآداب العربية .



جميل الزهاوي « بالعمامة »

ولم تدم إقامته هناك لمرض ألم به فعاد إلى بغداد واشترك في الانتخابات النيابية مرشحاً عن حزب الاتحاد والترقي فاز بالأولى بنيابة (المنتفك) والثانية ببغداد ووقف وقفته المشهورة في ساحة مجلس النواب باستانبول في جلسة ٢٩ حزيران سنة ١٩١٤ م مطالباً إدخال اللغة العربية في المحاكم التي تشكل في ولاية بغداد وقد لقى المتعصبون من (المبعوثان) أي أعضاء مجلس النواب هجوماً عنيفا من الزهاوي ففي ذات مرة كان المجلس يبحث في ميزانية البحرية فقرر أن تخصص مبالغ إلى موظفين يقومون بتلاوة بعض

الأحاديث النبوية الشريفة من (البخاري) دفعاً للخطر الذي يداهم الأسطول العثماني فاعترض الزهاوي على ذلك وقال بتهكم أيها السادة إن البواخر تسير بالبخار وليس بالبخاري فضج المحافظون سخطاً واستنكاراً ، وخطب الزهاوي في مناسبة أخرى فقال لقد جاء في الآية الكريمة (إن الأرض يرثها عبادي الصالحون) هم العباد النساك إنما القصد هم الصالحون لأعمارها فارتفعت أصوات المعممين تطالب باخراج هذا الزنديق من المجلس ، ومع هذا لم تلهه لاهية عن طلب حق العرب المغصوب وهو في المجلس رغماً على نزعته الاتحادية ولما شبت نار الحرب العالميه الأولى وخرج العراق من الحكم العثماني ودخل في حكم الانكليز راح الزهاوي يسايرهم ويجاملهم فمدح الانكليز ليبعد عن نفسه تهمة الولاء للعثمانيين فيقول

أحب الانكليز وأصطفيهم	لمرضي الاخاء من الانام
جلو في الملك جلوة كل ظلم	بعدل ضاء كالبدر التمام
تبصر أيها العربي واترك	ولاء البعض من قوم لئام
ووال الانكليز رجال عدل	وصدق في الفعال وفي الكلام

وقد لازم الزهاوي أواخر أيامه سخط عميق ولم ينفك لسانه من التذمر. إلى أن وافاه الأجل المحتوم وذلك سنة ١٣٥٥ هـ يقابلها سنة ١٩٣٩ م وشيع جثمانه إلى مقره الأخير في مقبرة الامام الأعظم فوقف الشاعر معروف الرصافي على حافة قبره وأبنه بأبيات وهي :

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى	مثل ميت وصرت بالموت حيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر	ناطق بالبقاء لم تخش شيا
أنت في الفضل عشت حياً وميتاً	حزت في الحالتين ذكراً عليا
سوف أبكي عليك شجواً واني	كنت أبكيك في الحياة شجيا

وقد أرخت عام وفاته بقولي :

لا تندبوا شيخ القريض فانه	يغنيه منكم في المهات عويل

فلقد تولته العناية فاغتدى له في فراديس الجنان مقيل
طوبى له في جنة قد أزلفت رضوانها للمتقين يقول
مذ تاب تاب الله عنه أرخوا نال الرضاء من الاله جميل
١٣٥٥ هـ

معروف الرصافي

لقب الشاعر معروف الرصافي نسبة إلى جانب الرصافة بمدينة بغداد ولد سنة ١٢٩٣ هـ يقابلها سنة ١٨٧٦ م أيام الوالي عبدالرحمن باشا وبعد أن ترعرع ونشأ التحق بالمدارس العلمية وقد غلب عليه حب الشعر فقرضه فكان ريحانة أوانه وجمانة أقرانه .

وقد ظهر في شعره الكوني والفلسفي نزعات قوية دالة على عمق تفكره كما أبان شعره الوصفي عن دقة وقوة تصوير الأشياء أما شعره السياسي والاجتماعي فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة التي تدل على أنه كان سياسياً بل كان من الطراز الأول في جيله يتمنى الخير لبلاده ولقومه بل للعرب جميعاً وفي سنة ١٣١٨ هـ يقابلها سنة ١٩٠٠ م أيام الوالي نامق باشا الصغير عين مدرساً

معروف الرصافي « بالعمامة »

للآداب واللغة العربية في مكتب الاعدادي العسكري وظل مواضباً فيه حتى إعلان الدستور العثماني فطلبه صاحب جريدة (إقدام) التركية للتحرير في

جريدة عربية باسم (الاقدام) تضاهي جريدة (اقدام) التركية فذهب إلى استانبول وبقي مدة فيها ثم عاد إلى بغداد لعدم اصدار الجريدة المذكورة وظل يواصل سعيه ويناضل بكل جدارة واخلاص فانتخب (مبعوثاً) أي نائباً عن لواء (المنتفك) ولما اعلنت الحرب العالمية الأولى ودخل الحلفاء إلى استانبول وبعد اعلان الهدنة فى ٢٦ المحرم سنة ١٣٣٧ هـ يقابلها ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ م خرج من استانبول وحل فى الشام ، وفي سنة ١٩٢١ رجع إلى بغداد وبقى فيها إلى الحكم الوطني وقد آلى على نفسه الأبية أن لا ينخدع بزخرفة الدينار العراقي ، وبعد أن سئم المقام فى بغداد اختار مدينة (الفلوجة) مسكناً له ، وفي أواخر أيامه عاد إلى بغداد وسكن فى الأعظمية يعاني البؤس والشقاء متمسكاً بعقيدته إلى أن داهمه المرض ، وفي ربيع الثاني سنة ١٣٦٥ هـ يقابلها سنة ١٩٤٥ م توفي وشيع جثمانه بدموع الأدباء وحسرات الشعراء ودفن في مقبرة الامام الأعظم حسب وصيته وقد أرخت عام وفاته بقولي :

قضى رب القوافي الغر نحباً   فوا لهفي على رب القوافي
قضى من بعدما قد كان فيها   يحلق بالقوادم والخوافي
قضى والفقر حالفه بعنف   يلازمه بوضع غير خاف
أقول لمعشر نبذوه جهراً   أما فيكم له خل موافي
أمثل الشاعر المعروف يبقى   رهين البيت فى عيش كفاف
فقم واندب مآثره وأرخ   بعدم مات معروف الرصافي

١٣٦٥ هـ

* * *

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي :

علم من أعلام الفضيلة والعرفان يرفرف عالياً في الأدب الرفيع يرد طرف حاسده النجم الوهاج الرائي اليه خاسئاً وهو حسير .

علم شامخ سامي الذرى قمته أفنان الفنون الجميلة واعشوشبت في سفوحه أزهار العلم والأدب النضير



الشيخ محمد رضا الشبيبي

عالم فاضـــل اعترفت الحقيقة له بلسان القلم الذي هو باريه بأنه في بديع بيانه قل من يجاريه في مبتكرات معانيه .

هذا هو فتى النجف الأشرف ولد فى ٦ رمضان المبارك سنة ١٣٠٦هـ ونشأ فى بيت علم وأدب فى حجر من أورثه شمماً واباءاً .

شب الشبيبي واستهل دراسته العلمية على كثير من العلماء الأعلام حتى أصبح دعامة من دعائم النهضة العلمية والوطنية في العراق وانتدب أثناء انعقاد الصلح في مهمة خطيرة الشأن في الحجاز فقام بأدائها خير قيام على أثر وصوله إلى مكة المكرمة في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٣٧ هـ ثم فارق الحجاز الى الشام وغرضه درس المسألة العربية هناك وظل فيها إلى أن نشبت الثورة العراقية ففارق دمشق قافـــلاً الى العراق بطريق البادية يوم الاربعاء ١٤ صفر سنة ١٣٣٩هـ يقابلها ٢٧ تشرين أول سنة ١٩٢٠م ووصل بغداد في ١٠ ربيع الاول سنة ١٣٣٩هـ حيث أقبل على استئناف العمل المثمر في الدرس والبحث والتفكير والتأليف ، وهو الى الآن يتمتع بحياة علمية زاهرة في بغداد .

ومن غرر قصائده الشعرية قصيدة (باطل الحمد ومكذوب الثنا) وهي :

فتنــة الناس وقينا الفتنا باطل الحمــد ومكذوب الثنا
رب جهـم حولاه قراً وقبيح صيّــراه حسنا
أيها المصلح من أخلاقنا أيهـا المصلح الداء هنـا
كلنا يطلب ما ليس له كلنا يطلب ذا حتى أنا
ربمـا تعجبنـا مخضرة أربع في الأصل كانت دمنا
لم تزل ويحك يا عصر أفق عصر ألقاب كبار وكنى
حكم الناس على الناس بما سمعوا عنهم وغضوا الأعينا
فاستحالت وأنا من بعضهم اذني عيناً وعيــني اذناً
أخطأ الحــق فريق بائس لم يلومونا ولاموا الزمنـا
إننـا نجــني على أنفسنا حين نجني ثم ندعو من جنى
بلغ الناس الأماني حقبــة وبلغناها ولـكن بالمنى

* * *

خسرت صفقتكم من معشر شروا العار وباعوا الوطنـا
أرخصوه ولو اعتاضوا بــه هذه الدنيــا لقلت ثمنا
يا عبيد المال خــير منكم جهـلاء يعبدون الوثنا
إنني ذاك العراقي الذي ذكر الشام وناجى اليمنا
إنني أعتد نجــداً روضتي وأرى جنة عـدني عدنا

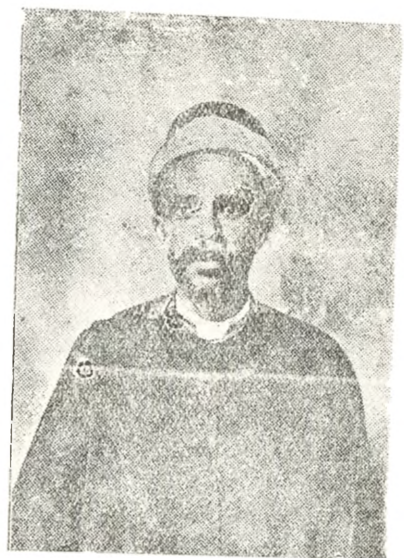
* * *

أيها الجيل اكتشف لي حاضراً كلما خرّب ماضــيك بنى
ينهض الشعب فيمشي قدماً لو مشى الدهر اليه ما انثنى
حالة النفس التي تسعدها وتريهـا كل صعب هينا
ففقير من غنــاه طمع وغني من يرى الفقر غنى

* * *

الحاج عبد الحسين الأزري

شاعر وكاتب جال جولة في ميدان الصحافة قبل الحرب العالمية الاولى فظهر كاتباً فاضلاً وحام حول الشعر بعد الحرب فأسمعنا شعراً معجباً أنسانا ان ناظمه كاتب مجيد وترى قصائده التي ينظمها وينشدها في محافل العراق رنة استحسان لما تضمنته من العواطف الرقيقة والاحساسات الطيبة فضلا عن سلاستها واتساق معانيها



الحاج عبد الحسين الأزري

ولـد الأزري في ربيع الأول سنة ١٢٩٨ هـ ونشأ فيها وقد تخرج في حداثته من المدارس الابتدائية ثم درس على الشيخ شكر قاضي الجعفرية شيئاً كثيراً من علوم الأدب والدين ونظم الشعر وعمره ١٥ سنة ودخل حزب (الائتلاف) بعد اعلان الدستور واشتغل في الصحافة وانشأ في سنة ١٩٠٩ م جريدة (الروضة) وفي سنة ١٩١٠م انشأ جريدة (مصباح الشرق) وفي نفس السنة انشأ جريدة (المصباح الأغر) وقد نفي إلى بلاد الاناضول (قيسرى) مع من نفي من الأحرار والمنورين لاشتغاله في القضية العربية وانضمامه الى حزب (اللامركزية) الذي كان مركزه في بيروت وهو يحسن اللغة الفرنسية وكان يمقت السفور ويتحامل عليه ويناصر الحجاب ويرغب فيه وعلى أثر قصيدة (المرأة في الشرق) التي نظمها المرحوم معروف الرصافي وأنشدها على أحد مسارح بغداد نظم قصيدة بعنوان (الكتاب والحجاب) وهي :

أمنازل الخفرات بالزوراء ... لا زعزعتك عواصف الأهواء
قري فأنك للفتاة أريكة ... ضربت سرادقها على النجباء
لا تحزني مما رماك به الهوى ... ظله وظلك معقل الاسراء
أين الأسارة من عفاف طاهر ... أين المعاقل من كناس ظباء

★ ★ ★

أكريمة الزوراء لا يذهب بك ... النهج المخالف بيئة الزوراء
أو يخدعنك شاعر بخياله ... ان الخيال مطية الشعراء
حصروا علاجك بالسفور وما دروا ... ان الذي حصروه عين الداء
أولم يروا أن الفتاة بطبعها ... كالماء لم يحفظ بغير إناء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها ... مما يجيش بخاطر السفهاء
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه ... من خدع كل خريدة حسناء
ليس الحجاب بمانع تهذيبها ... فالعلم لم يرفع على الأزياء
أولم يسغ تعليمهن بدون أن ... يملأن بالأعطاف عين الرائي
ويجلن ما بين الرجال سوافراً ... بتجاذف الأرداف والأثداء
فكأنما التهذيب ليس بممكن ... إلا إذا برزت بدون غطاء
وكأنما الاصلاح عز بناؤه ... ما لم يشيد مسرح بنساء
إن المسارح لا تدير شؤونها ... من كلفت برعاية الأبناء
مثل بها دور الفضيلة انها ... تغنيك عن تمثيل دور إباء
وانظر إلى شأن المحيط وأهله ... كيلا تفوتك حكمة الحكماء

★ ★ ★

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح ... للمسلمين تبرج العذراء
قل لي فماذا يصنع العلماء لو ... نزهتهم عن سيرة الجهلاء
ماذا يريبك من حجاب ساتر ... جيد المهاة وطلعة الذلفاء
ماذا يريبك من أزار مانع ... وزر الفؤاد وضلة الأهواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهل من التهذيب أن يهتكن ستر حياء

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو أصدقتك ضمائر الجلساء

شيد مدارسهن وارفع مستوى أخلاقهن لصالح الأبناء

وافحص عن الاخلاق قبل حجابها أوما سمعت بطائر العنقاء

أسفينة الوطن العزيز تبصري بالقعر لا يغررك سطح الماء

وحديقة التمر الجني ترصدي عبث اللصوص بليلة ليلاء

وظل الازري يمرح في رياض الشعر ويطير في سماء خياله إلى أن توفي في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٥٤ م ودفن في النجف الأشرف .

عبد الرحمن البناء

كان البناء شاعراً مطبوعاً ـ كما وصفه الاستاذ محمد بهجة الاثري ـ وكان ينظم الشعر في الفخر والمديح والرثاء والتهاني ولما أعلن الدستور العثماني أخذ ينظم القصائد السياسية والاجتماعية وسطع نجمه فكان ثالث اثنين لجيل الزهاوي ومعروف الرصافي فنال منزلة شجعته على مثابرة النظم .

وبعد أن طبع ديوانه الجزء الاول ذاع صيته واشتهر وظل يكافح ويناضل حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني وحينما اندلعت نار الثورة العراقية



عبد الرحمن البناء بالعمامة

سنة ١٩٢٠م ساهم فيها واعتلى منابر الحفلات وأخذ يزأر بوجه المحتل غير هياب ولا وجل ، وعلى هذا لقب (بشاعر الاستقلال) حتى أقعده المرض المزمن وظل رهين داره يعاني الآلام التي ألمت به ، وفي ٥ شوال سنة ١٣٧٤ هـ يقابلها سنة ١٩٥٥ توفي رحمة الله عليه ورثيته بقصيدة أرخت بها عام وفاته وطبعت بعد مضي أربعين يوماً لوفاته بجريدة الزمان وهي :

خرست لنعيك ألسن الفصحاء ... وبكت لفقدك أعين الأدباء
وروى الرواة حديث شعرك مرسلا ... متحلياً بروائع الانشاء
شعر به أوحى نهاك فصغته ... من مصدر الالهام والايحاء
شعر رصين محكمات آيه ... قد ركبت من جوهر الآراء
في حسن مطلعه ومسك ختامه ... يبدو كقطر سحابة وطفاء
قد زاحم الشعرى العبور شعاره ... وعلت مكانته على الجوزاء
صوت فيه في المحافل داعياً ... أيام كان الصوت للأعداء
كم صك مسمعهم بقوة لفظه ... وأطال محنتهم بحسن أداء
وأراع (لندن) في صواعقه التي ... أرسلتها تترى بلا إبطاء
دافعت عن شعب نشأت بربعه ... حراً بلا زهو ولا خيلاء
عاهدت نفسك أن تكون له الفدى ... والشعب لا يرقى بغير فداء
وبنيت صرح المجد في عليائه ... والفخر كل الفخر للبناء
إذهب لقد قضيت واجبك الذي ... أديته للشعب خير أداء
إذهب فذكرك في البرية خالد ... كالبدر يسفر واضح اللألاء
إذهب اخيّ فأنني بك لاحق ... فلقد سئمت بذي الحياة بقائي
ما كان ظني أن يداهمك الردى ... قبلي وظني أن تصوغ رثائي
لا تعتبن على الزمان فأنه ... زمن غدا يمشي مع الجهلاء
فلئن قضيت العمر بين معاشر ... قد قابلوك بغلظة وجفاء
ولئن شقيت وما بلغت مآرباً ... فالحر دوماً مبتلى بشقاء

ما كنت وحدك في البلاد مضيعاً فيها تقاسي العيش في برحاء
لك في (الرصافي) اسوة وبغيره من خيرة الأدباء والشعراء

* * *

يا ساكن الصحراء بين دوارس والصمت ملء جوانب الصحراء
ومعانق الاكفان في طي الثرى بعد اعتكار الليلة الظلماء
فارقت دنيا أرهقتك بجورها وغنمت أجر الغارة الشعواء
مرت عليك الأربعون وأنت في نوم عميق بعد طول عناء
نم ملء جفنك آمناً ومنعماً ناءٍ عن الشحناء والبغضاء
في مرقد يكفيك من حسناته أن ليس جنبك في الحديث مرائي
في ساحة الفردوس بين رياضها في المقعد الأسمى مع الشهداء
أرخت بيتاً بالعلاء مقره رفعت قواعده إلى البناء

١٩٥٥ م

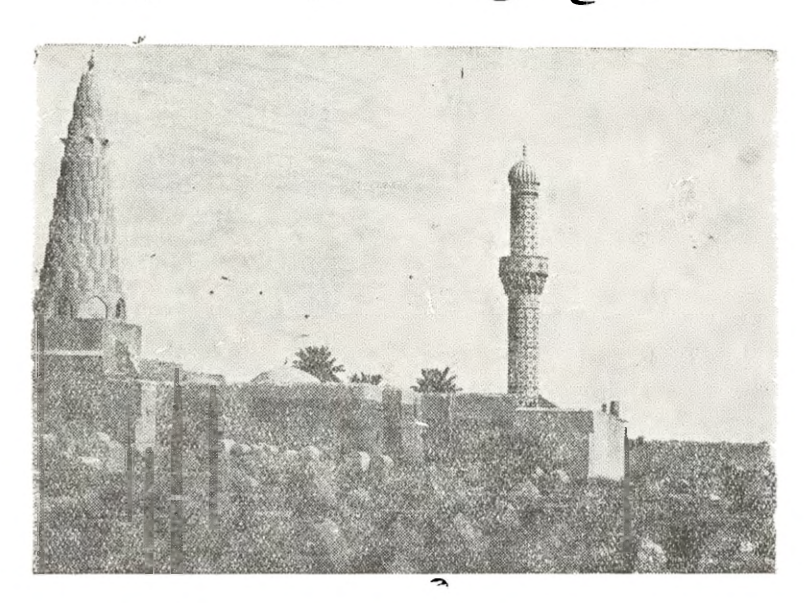
((اعلان الحرب العالمية))

تعيش بغداد في هذا الدور باطمئنان ورخاء مستمر وفي ١١ رمضان سنة ١٣٣٢ هـ يقابلها ١٣ آب سنة ١٩١٤ م بينما الناس آمنون وعاكفون على صلاتهم معتزين بصيامهم إذا الحكومة العثمانية تفاجئهم باعلان النفير العام بمناسبة اعلان الحرب العالمية المعروفة عند أهل بغداد (بالسفربر) وقد شاهدنا على الجدران ألواح مخطوطة بالقلم العريض (سفر برلك وار) أو (وان) وصوّرت تحت هذه العبارة سيف وبندقية متعانقان وتحتها صورة مدفع وسرعان ما غير أهل بغداد كلمة (سفر برلك) بكلمة (سفر علك) اشارة إلى الهزيمة وان هذا السفر المشؤوم لم يزل عالقاً في أذهان العراقيين عامة والبغداديين خاصة فلقد ذهب ضحيته ما ينوف على العشرين الف جندي قادهم حسام الدين باشا إلى ساحة (أرضروم) للخوض في غمار الحرب مع (روسيا) فكانوا فريسة الامراض الفتاكة والبرد القارص ، وهذه المصيبة العظمى والطامة الكبرى تركت رنة حزن وأسى في بيوت بغداد عامة .

غرق بغداد

في أيام الوالي جاويد باشا والحرب مشتعلة نارها وفي المحرم سنة ١٣٣٣ هـ يقابلها ١٥ تشرين الاول سنة ١٩١٤ م ارتفعت مناسيب نهر دجلة ارتفاعاً هائلاً استولى الماء على طرق بغداد بصورة لم يسبق لها مثيل وباتت بغداد على شفا جرف الغرق وفي منتصف الليل حصلت ضجة والناس يستفزون اخوانهم وأبناء وطنهم لمقاومة الماء الذي غمر الدور والمساكن وقد حصل الغرق من جهة الباب الشرقي وكانت حالة مؤلمة فقد صادفت أيام احتلال مدينة البصرة في أيدي البريطانيين ، وسبب غرق بغداد عزت الفارسي رئيس بلدية بغداد فقد أمر برفع السد القديم الذي كان حاجزاً لمنع مجيء الماء إلى بغداد وعلى أثر

رفع ذلك السد هجم تيار الماء الصاخب على محلة باب الشيخ وأغرق بعض دورها المجاورة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وأخذ يتدفق بسرعة هائلة على المحلات المقابلة لجامع الشيخ عمر السهروردي حتى غمر المقابر وبعض الدور



جامع الشيخ عمر السهروردي

وكلما حاول الأهلون أن يضعوا سداً فلم يفلحوا وأخذوا يعملون سدوداً في الأزقة والطرق وما هي إلا غمضة عين حتى دخل الماء إلى محلة العزة وانساب إلى سوق الفضل فهناك عاد الصراخ والضجيج والبكاء والعويل

شيخ سعيد النقشبندي يخطب بالناس

وقد رأيت المرحوم الشيخ سعيد النقشبندي شقيق العلامة الشيخ عبدالوهاب النائب واقفاً بين جموع النساء والأولاد المحتشدة وهو يحثهم على حمل التراب ووضعه على السد الذي اقيم واذكر انه القى خطبة ارتجالية لم اتمكن من ضبطها وقد بكى وأبكى الناس وحمل التراب (بجبته) ولما رآه الناس وهو يحمل التراب استماتوا على السد والطبول تضرب والصراخ قائم والبكاء

والعويل بالفان أشدها ولكن (لا عاصم اليوم من أمر الله) فقد جرف الماء ذلك السد واندفق حتى وقف خلف مدرسة الفضل الابتدائيـــة اليوم ولو لم ينخفض نهر دجلة لكان الوضع على غاية الخطورة وقد ترك أصحاب البيوت التي غمرها الماء أكثر أمتعتهم في البيوت وذهبوا إلى ما شاء الله فمنهم من لجأ إلى الجوامع ومنهم من ذهب إلى جانب الكرخ ومنهم من لاذ بأقربائه البعيدين عن الخطر وقد شاهدت الأثاث البيتية مكدسة في الماء والناس في غنى عنها وبمناسبة هذا الغرق الفظيع أرخ عامه عبدالرحمن البناء بقوله :

عوّذت داري ومن قد حل ساحتها ... بقــــل أعوذ برب الناس والفلق

عام به الماء في تشرين حين طغى ... على الرصافه قد أرخت (بالغرق)

١٣٣٣ هـ

اعلان الجهاد

وبعد أن سقطت مدينة البصرة بيد البريطانيين أصدرت المشيخة الاسلامية في استانبول فتوى شرعية في كافة الممالك الاسلامية وفي جوامع بغداد عامة وذلك في ٢٧ المحرم سنة ١٣٣٣ هـ ومضمون الفتوى مداهمـــة الخطر المحدق بالبلاد الاسلامية وتدعو إلى لزوم الجهاد والنفير العام بوجه الأعداء ، وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (الوطن والجهاد) يستنهض بها همم المسلمين على الجهاد ويحثهم على الدفاع والذود عن حياض الوطن وهي :

يا قوم إن العدى قد هاجموا الوطنا ... فانضوا الصوارم واحموا الأهل والوطنا

واستنفروا لعدو الله كل فتى ... ممن نأى من أقاصي أرضكم ودنا

واستنهضوا من بني الاسلام قاطبة ... من يسكن البدو والأرياف والمدنا

واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن ... به تقيمون دين الله والسننا

واستبسلوا للعدا بالصبر واتخذوا ... صدى العزائم في تدميرهم جننا

واستنكفوا في الوغى أن تلبسوا أبداً ... عار الهزيمة حتى تلبسوا الكفنا

إن لم تموتوا كراماً في مواطنكم ... متم أذلاء فيها ميتة الجبنا

لا عذر للمسلمين اليوم إن وهنوا ... في هوشة ذل فيها كل من وهنا

ولا حياة لهم من بعدما جبنوا ... كلا وأي حياة للذي جبنا

عار على المسلمين اليوم انهم ... لم ينقذوا مصر أو لم ينقذوا عدنا

قل للحسينين في مصر رويدكما ... قد خنتم الله والاسلام والوطنا

شايعتما الانكليز اليوم عن سفه ... تالله ما كان هذا منكما حسنا

قد بعتما الدين والدنيا مجازفة ... فكنتما في البرايا شر من غبنا

لا تفرحا بالوسامين اللذين هما ... طوقا اسارة مصر فيكما اقترنا

قد مثلا منكما للناس قاطبة ... عجلا أضل الورى من قبل أو وثنا

ما زان صدركما شيئاً بحملها ... بل أصبحا في كلا صدريكما درنا

إن الحمية لم تنظر بمقلتها ... إلى وساميكما إلا بكت حزنا

ما كان أغلاهما إذ قد غدت لهما ... خزائن النيل في أيدي العدا ثمنا

ستندمان ولا يجديكما أبداً ... إذ تقرعا السن أو أن تقبضا الذقنا

حتى تعود إلى مصر كرامتها ... ويطهر النيل من ماء به أجنا

لا زلت يا وطن الاسلام منتصراً ... بالجيش يزحف من أبنائك الأمنا

يرد عنك يد الأعداء خاسرة ... ويكشف الغم عن أفقيك والمحنا

سعديك من وطن جلت مفاخره ... عن الزوال فلا يخشى بلى وفنا

تالله ان معاليك التي سلفت ... تعيي الفصاحة والتبيان والالسنا

كم قد أقمت على الأيام من شرف ... لنا وأنبت في نبع العلا غصنا

إنا نحبك حباً لا انتهاء له ... يستغرق الأرض والأكوان والزمنا

نفديك منا بأرواح مطهرة ... أخلصن لله فيك السر والعلنا

إذا دهتك من الأيام داهية ... فلا رعى الله عيناً تألف الوسنا

وإن فتنت باحدى المزعجات نرق ... منا الدماء إلى أن تخمد الفتنا

فقر عيناً وطب نفساً وعش أبداً ... وفز بما شئت من حمد وطيب ثنا

ورب مستصحب قد قال يخبرني ... إن العدو على أرض العراق دنا
فقلت دع عنك هذا انه خبر ... سواه يبعث في أحشائي الشجنا
إن العراق لعمر الله مسبعة ... تواثب الأسد فيها من هنا وهنا
دون الوصول اليه كل مشعلة ... شعواء تترك وجه الشمس مكتمنا
فان فيه رجالاً من بني مضر ... إذا تحارب لا تستشفع الهدنا
قوم لقاح أبوا أن يخضعوا أبداً ... إلى الملوك وإن أعطوهم المؤنا
تحملوا كل عبث في حياتهم ... إلا الصغار وإلا الضيم والمننا
لو أن أماتهم منت على أحد ... منهم بألبانها لم يشربوا اللبنا
هم المغاوير إن صالوا بملحمة ... فلا يرون لهم غير المنون منى
بنوا فأعلوا بناء المجد وارتفعوا ... به على كل من قد شاده وبنى
فكيف تقعد عن حرب العدا فئة ... أبت سوى العز مأوى والعلى كفنا

* * *

وقد سافر عدد غير يسير تلبية للجهاد في سبيل الله والاسلام على أثر تلك الفتاوى الشرعية أتذكر منهم السيد عبد الكريم آل السيد حيدر وجماعة فى معيته منهم الحاج سلمان أبو التمن والحاج داود أبو التمن وغيرهم من الوجوه والأشراف .

أول طائرة انكليزية فوق بغداد :

في يوم الاربعاء ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٥م شاهد أهل بغداد أول طائرة انكليزية تحوم فى سماء بغداد فأخذهم الرعب والخوف من مشهد تلك الطائرة وانها غدت حديث كل اثنين ولم يحدث منها ما يكدر الأمن .

اعدام أشخاص صلباً فى بغداد :

وفي سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٥ م اعدم أشخاص صلباً فى محلة رأس القرية ببغداد ومنهم التاجر يوسف شكوري وكامل عبد المسيح وقد

أحدث صلبهم رهبة فى قلوب أهل بغداد وقد شاهدت على صدر كل واحد منهم (فرمان) درج فيه ثبوت جريمة التجسس التي اقترفوها .

القائد الالمانى غولج باشا :

وفي أواخر المحرم سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٥ م ورد إلى بغداد القائد الالماني فوندر غولج باشا وعين لقيادة الجيش السادس واجريت المراسيم المعتادة له وكان هذا القائد معروف بعمله وقدرته الحربية ومن المشهور عنه ان فيلقه في جبهة (الفلاحية) دحر جيش الانكليز المرابط فيها فظل القائد غولج باشا يشدد الخناق بخططه الحربية على الجيش البريطاني المرابط هنـــاك حتى توفي في ٢٩ جمادى الاخرى سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٥ م على أثر مرض ألم به لازمه عدة أيام وجرى دفنه باحتفال رسمي مهيب اشترك فيه جميع رجال الدولة العثمانية من عسكريين وملكيين ودفن في المحل الذي اعد له في باب الشرقي محل بيع البانزين اليوم ثم نقل إلى مقره الاخير وانطوت صحيفة هذا القائد العظيم .



القائد سليمان عسكري

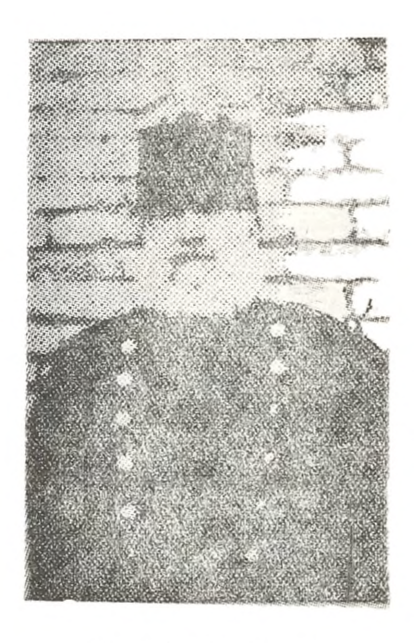
انتحار القائد سليمان عسكرى :

وبعد أن جرح القائد سليمان عسكري بك في هجومه الذي شنه على الانكليز نقل إلى بغداد للتداوي في المستشفى العسكري (خسته خانة المجيدية) ولم يمكث فى المستشفى غير أيام قلائل حتى عاد إلى ساحة الحرب وقد شوهد هذا القائد راكباً عربه ولا يزال مضطرباً من جرحه يتنقل من مكان إلى آخر فيسوق

الجيش ويديره وبعد أن رأى الجيش على شفا جرف هار مولي الأدبار وان معنويته قد ضعفت انتحرسنة ١٣٣٤ هـ يقابلها ٤ نيسان سنة ١٩١٥ م وانمحى اسم هذا القائد من صحيفة أعماله المملوءة بالأغلاط الحربية .

استشهاد محمد فاضل باشا الداغستاني :

في ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٥ م نال رتبة الشهادة الفريق المجاهد محمد فاضل الداغستاني بعد أن أبلى بلاءاً حسناً في ساحة الحرب رضى به الله والوطن ومحمد فاضل باشا غني عن التعريف فهو أشهر من نار على علم في بسالته وبطولته وان صحائف أعماله الناصعة تشهد له أمام الله



محمد فاضل باشا الداغستاني

وقد نقل جثمانه من ساحة الحرب إلى بغداد واجريت له المراسيم العسكرية وحضر تشييع جثمانه جميع رجال الدولة من عسكريين وملكيين وعزلت الاسواق وبكاه الناس بدموع الحزن والأسى لما كانوا يعهدون به من شهامة عربيـــة والحرص على مصالحهم وقد اشترك في تشييع جنـازته نساء جميع محلات بغداد على اختلافهن وشاهدت جمهرة من النساء خلف النعش صارخات حاسرات يندبن قائلات (وين أبو داود وينه) ودفن في مقبرة الامام الأعظم وقد أرخ عام وفاته العلامة الشيخ عبدالوهاب النائب بقوله :

إن القبور تبـــاشرت بمحمد   الفاضل الندب الكريم الأمجد
في النشأتين له عظيم مفاخر   ودم الشهادة شاهد بالمقصد

ذاك الذي بذل الحيـــاة لدينه ويلي عليـــه وويل كل موحد
جبـل تسير به الـكرام لقبره أسفاً على هذا الأمير الأوحد
قالت ملائـكة السماء فأرخوا هذي الجنان إلى الشهيد محمد

١٣٣٤ هـ

الوالى خليل باشا

بعد أن نجح القائد نوري الدين باشا في مسعاه بانسحابه إلى (سلمان پاك)


الوالي خليل باشا

لم يرق للقيادة العامـــة ابقائه في منصبه وعين القائد خليل باشا والياً لولاية بغداد وقائداً للجيش وذلك فى ٦ ربيع الاول ١٣٣٤ هـ يقابلها ١٢ كانون الثاني ١٩١٦ م وفي أيامه الأولى اندحر الجيش الانكليزي في معركة (سلمان پاك) مغلوباً وحوصر في الكوت ومما قاله الشاعر عبد الرحمن ابراهيم المصري في هذه المناسبة :

يا قائداً جيش العراق لك الثنا والحمد والشكران والاطراء
بك لا بغيرك نسترد بلادنا وبسيف عزمك تسحق الأعداء
وإليك قال الخـــير انشد قائلاً أرخ نعود لبصرة الفيحاء

١٣٣٤ هـ

وفي هذه السنة كنت جندياً اجبـارياً في مستشفى الأعظمية وتسمى (اعظميه غروب خستنه خانه سى) برتبـــة (ژرنال چاووشى) أي عريف

وعلى الانتصار الذي أحرزه جيشنا نظمت قصيدة قرأتها في المستشفى بحضور الأطباء وجميع الجنود وهي :

قـد عقدنا آمالنـا بالخليـل وحمانا من كل شر وبيل
دحر الانكليز دحراً فصاروا مثل عصف من اللظى مأكول
في سيوف وفي مدافع حرب وشظـايا ألقتهم في عويل
ما دروا في عريننا أسد حرب رابضين من كل شهم نبيل
أشبعوهم من القنـابل ضرباً طرحتهم إلى الرقاد الطـويل
أيها الانكليز هلا اكتفيتم من فساد الافعال والتضليـل
كم غدرتم وكم خدعتم شعوباً بنفـاق لنيـلة المأمول
أنبئونا يا زمرة الغي جهراً أفهل جاء ذاك في الانجيـل
فاقطعوا الموصول كل رجاء من فرات ودجلة والنيل
واتقوا بانتصارنا فهـو حق آية النصر ما لها من بديل
أنزل الله نصرنا في كتاب وحيـه جاء للنبي الرسول
كيف لا والاسلام أومض نوراً من (رشاد) الأنام والتبجيل
ملك خصه الكريم بنصر ما له في العصور في تحويل
ملك قبلت يديـه ملوك فاحتمى عرشهم من التقبيل
غرس العدل في البلاد وساوى بين عال في ملكه وضئيـل
طود حـلم يكاد يستعبد الد هر بعزم وحد سيف صقيل
حازم الرأي ذو مراس شديد ثابت الجأش ما له من مثيل
نشره العلم في الخلائق شمس نجمه الفتح ما له من أفول
ثبت الله عـزم جيش رعاه في جميع البلاد والدردنيـل
وبفضل الالـه يبقى مليـكاً دائمـاً آمناً بظل ظليـل

* * *

والشائع عن الوالي خليل باشا انه انهمك انهماكاً شائناً في بعض المومسات

في بغداد فاستولت عليه ولعبت بعقله وألهته عن الأمر المهم الذي أنيط به وانه قال لها وهو نشوان : (أنا قائد الجبهة وأنت الحاكم المطلق عليّ) ولم يتجنب مثل هـــذه الالفاظ التي لا تليق بمنصبه بصفته والي ولاية بغداد وقائد الجيش هذا هو خليل باشا وقـد توفي سنة ١٣٧٧ هـ يقابلها سنة ١٩٥٧ م في استانبول

تسليم الجيش الانـكليزي المحصور في الـكوت :

وبعد أن حاول الجيش الانـكليزي المحصور في الـكوت التخلص من الانحصار فلم يفلح وأخيراً في أوائل رجب سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها سنة ١٩١٦ م سلم الجنرال (طاوسند) ومعه خمسة جنرالية و ٢٧٧ ضابطاً و ٢٧٤ ضابطاً هندياً و ١٣٣٠٠ جندي وبذلك عم الفرح والسرور في جميع انحـاء البلاد العثمانية لاسيما في بغداد فقد كان يوم ورودهم إلى بغداد عيداً من الأعياد .

أنور باشا في بغداد

وبعد أن سلم الجيش الانـكليزي المحصور في الـكوت وفي ١٧ رجب سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها ١٩ مايس سنة ١٩١٦م وصل بغداد وكيل القائد العام وناظر الحربية أنور باشا واجريت له المراسيم العسكرية ومكث في بغداد ستة أيام تفقد فيها جبهة الحرب وزار العتبات المقدسة وأهدى ضريح الامام الأعظم وضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني مصاحف ثلاثة رصعت بالماس والياقوت وعاد إلى استانبول .



أنور باشا

جادة خليل باشا :

كان في نية العثمانيين من قبل . فتح (جادة) أي شارع في بغداد ولكنهم لم يتجرؤا على فتحه لما كان يكلفهم من المبالغ الطائلة ولما اعلنت الحرب وجدوا أن الفرصة قد حانت لفتحه إذ لا يستطيع أحد أن يعارضهم ولما شرعوا في فتحه ظلموا كثيرين من الناس وجاروا على الضعيف والذين قدروا أن يرشو من بيده الأمر وجد لهم الف عذر لعدم هدم داره والتعرض لها ، وقد فتح هذا الشارع في أيام الوالي خليل باشا ويبتدئ الشارع من الباب الشرقي وينتهي في باب المعظم وقد جرى افتتاحه في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩١٦ م وكتب لوح بالكاشي هذه العبارة باللغة التركية (خليل باشا جاده سى) أي شارع خليل باشا وبني بالجدار المطل على الشارع من جامع السيد سلطان علي وبعد احتلال بغداد رفع ذلك اللوح وسمي (شارع الرشيد) وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (الشارع الكبير) يصف بها هذا الشارع وهي :

نكب الشارع الكبير ببغداد	ولا تمشي فيه إلا اضطرارا
شارع إن ركبت تنيه يوماً	تلق فيه السهول والأوعارا
تترامى سنابك الخيل فيه	إن تقحمن وعثه والخبارا
فهي تحثو فيه التراب على الأ	وجه حثواً وتقذف الأحجارا
لو ركبت البراق فيه أو البرق	نهاراً لما أمنت العثارا
تحسب العابرين فيه سكارى	من عناء تنسموه غبارا
ساطعاً يملأ الفضا مستطيراً	حاملاً في ذراته الأقذارا
مستجيشاً من الجراثيم جيشاً	مسبطراً عرمرماً جرارا
هو إن رش جاش وحلاً وإلا	جاش نقعاً على الوجوه مثارا
تصهر الشمس فيه أدمغة القوم	إذا هم تخبطوه نهارا

وإذا ما مشيت في جانبيه فتجنب رصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت إلى الأطرا ف لحظاً أنكرته إنكارا
لا ترى ما يسرك بالصنعة حسناً ويبهج الابصارا
بل ترى العين فيه كل جدار تكره العين أن تراه جدارا
فجدار عال وفي الجنب منه متدان تقيسه أشبارا
ودكاكين كالأقاحيص تمتد يميناً بطوله ويسارا
أين هذا من الشوارع في الأمصار زانت بحسنها الأمصارا
عبدوها ومهدوها فجاءت لا اعوجاجاً فيها ولا إزورارا
وأعدوا من كل رصيف يحمه السير فوقه من سارا
وأقاموا لهم بها كل صرح مشمخر بناؤه اشمخرارا
فعلى الجانبين كل بناء خيل في الحسن كوكباً قد أنارا
ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضفافها الأشجارا
فوقتهم ظلالها وهج الشمس وسر اخضرارها الأنظارا
هكذا فلتكن شوارعنا اليوم وإلا فما عمرنا الديارا

طيارات انكليزية تلقى القنابل على بغداد

في يوم ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ هـ يقابلها سنة ١٩١٧ م ظهرت ثلاث طائرات انكليزية فوق بغداد والقت عليها عدة قنابل القيت واحدة على (قشلة البيادة) ثكنة المشاة وقد سقطت وراء دائرة البلدية أمانة العاصمة اليوم في دار أيوب چلبي فخربتها وكسرت زجاج شبابيك الدار المجاورة لها وواحدة سقطت على محطة القطار في الجانب الغربي ببغداد وواحدة سقطت في (القلعة) ثكنة المدفعية في الميدان أصابت رجلاً فقتلته وآخر جرحته وقد أحدث وقع تلك القنابل ضجة عظيمة في بغداد الأمر الذي جعل السكان لا يأمنون على أنفسهم وساورهم الخوف والرعب من جراء ذلك

سقوط بغداد بيد الانكليز

وهكذا شاءت ارادة الله أن تذهب (دار السلام) بغداد عاصمة العباسيين ضياعاً ويحتلها الأعداء عنوة فأمرت الحكومة العثمانية بنقل ما لديها من سجلات مهمة ونقود إلى مدينة سامراء . وفي ١٧ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥ هـ يقابلها سنة ١٩١٧ م صدر الأمر للموظفين بالنزوح عن بغداد وكنت أنا من النازحين مع جنود (الخسته خانه) المستشفى وعندما وصلنا إلى سامراء شاهدت تلك المدينـــة الصغيرة وهي تموج بالموظفين العسكريين والملكيين والجنود أيقنت أن بغداد قد ضاعت من أيدي العثمانيين وبقيت في المستشفى والجرحى والمرضى ينهالون علينا وغصت المستشفى بهم وكثرت الوفيات منهم ولعدم وجود كفن (خام) لتكفينهم كنا ندفنهم بملابسهم الملطخة بالدماء رحمهم الله وأسكنهم فسيح جنانه مع الشهداء الأبرار .

وفي يوم الاحد ١٧ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥ هـ يقابلها ١١ آذار سنة ١٩١٧ م فوجئنا بخبر سقوط بغداد على أيدي الجيوش الانكليزية ! فوقع وقوع الصاعقة علينا وبعد ساعات ظهرت طيارات في سمـــاء سامراء ورمت القنابل على محطة القطار ومن فزعنا لذنا في ضريحي الامامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام وذهبت أنا ولذت (بغيبة) الامام المهدي عليه السلام ووقفت وقلت والدموع تذرف من عيني :

فقم لهـــا يا إمام المسلمين فقـــد
آن الأوان وخذ في كفك العلما
واصرخ على الشرك واعلن بالجهاد وقل
وا أحمـــداه ترى الغبرا تفيض دما

وعلى أثر سقوط بغداد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (نواح دجلة) وهي :



دخول الجيش الانكليزي الى بغداد من باب المعظم

هي عيني ودمعها نضاح ... كل حزن لمائها يمتاح
كيف لا أذرف الدموع وعزي ... بيد الذل هالك مجتاح
قد رمتني يد الزمان بخطب ... جلل ما لليله إصباح
حيث غمت عليَّ وجه سمائي ... ظلمات تخفى بها الأشباح
وتوارى عن أعيني مضمحلاً ... شرف في مواطني وضاح
يوم أمسيت لا حماة تذود الضيم ... عني ولا ظبى ورماح
فأنا اليوم كالسفينة تجري ... لا شراع فيها ولا ملاح
ضقت ذرعاً بمحنتي فتراءت ... قيد شبر إلى الفجاج الفساح
نحت حتى رثى العدو لحالي ... واعتراني من العويل بحاح
فمياهي هي انسكاب دموعي ... وخريري هو البكا والنواح
أوما تبصر اضطرابي إذا ما ... خفقت في جوانبي الأرواح
ليس ذا الموج فيَّ موجاً ولكن ... هو مني تنهد وصياح
إن وجدي هو الجحيم ولولا ... أدمعي أحرقتني الأتراح
لو درى منبعي لما أنا فيه ... من أسى جف ماؤه الضحضاح
علّه قد درى بذاك فهذا ... هو باك ودمعه سفاح
أين أهل الحفاظ قد تركوني ... نهبة في يد العدو وراحوا
برحوا وادي السلام عجالا ... أفجد براحهم أم مزاح
ما لهم يبعدون عني انتزاحاً ... وعزيز منهم عليَّ انتزاح
أوما يعلمون أن حريمي ... للمعادين بعدهم مستباح
فلئن يبعدوا فأن فؤادي ... لأليهم بوده طماح
تركوني من الفراق أقاسي ... ألما ما تطيقه الأرواح
لو رأوني سبياً بأيدي الأعادي ... لبكوا مثلما بكيت وناحوا
لا مسائي بعد البعاد مساء ... يوم بانوا ولا الصباح صباح
أتمنى بأن أطير إليهم ... بجناح وأين مني الجناح

أنا أدري بأنهم بعد هجري لم يذوقوا غمضاً ولم يرتاحوا
بل هم اليوم عازمون على الزحف بجيش به تغص البطاح
إن تأنوا فربضة الليث تأتي بعدها وثبة له وكفاح
كيف يقضون من إغاثة وادٍ زانه من ودادهم أوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
أنا باق على الوفاء وإن كا نت بقلبي ممن أود جراح
فاليهم ومنهم اليوم أشكو بلغيهم شكايتي يا رياح

وبعد احتلال بغداد أخذت الجيوش العثمانية تنسحب من مدينة سامراء ووجهتها مدينة الموصل غير ملتفتة إلى جنودها أبناء العرب فصارت لا تعبأ بهم وصاروا يفرون من ساحة القتال ومن مدينة سامراء ، أما أنا فلم يطب لي الالتحاق بهم رفضلت العودة إلى بغداد ودخلتها يوم الخميس ١٦ آذار سنة ١٩١٧ م ولما شاهدت وضع الاحتلال فيها قلت ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً .



السلطان وحيد الدين

مصير آل عثمان

ولما ضاع العراق من أيدي العثمانيين دامت سلطنة آل عثمان وهي تنازع سكرات الموت وعلى عرشها لا زال السلطان محمد رشاد ، وفي سنة ١٣٣٦ هـ يقابلها ١٩١٧م توفى وخلفه على عرش السلطنة وحيد الدين ابن السلطان عبد المجيد .

وعند نهوض الغازي مصطفى كمال (اتاتورك) وتشكيل حكومة وطنية وفي ١١ ربيع الأول سنة ١٣٤١ هـ قرر المجلس الوطني التركي الغاء حكومة استانبول وخلع السلطان وحيد الدين من عرش السلطنة ، وفي ٢٠ ربيع الأول من هذه السنة اختار المجلس الوطني التركي ولي العهد خليفة باسم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز وهو آخر خليفة من خلفاء آل عثمان .



السلطان عبد المجيد

وبعد المداولة فى الأمر قرر المجلس الوطني قراره الأخير بجعل الحكومة العثمانية حكومة جمهورية والغاء الخلافة وانتخب الغازي مصطفى كمال (أتاتورك) رئيساً لها وهكذا انقرضت الخلافة التركية ودامت من سنة ٩٢٣ هـ إلى سنة ١٣٤١ هـ فيكون عمرها ٤١٨ سنة هـ وفي خلال هذه المدة طرأ عليها من القوة والضعف ما طرأ على الخلافة العباسية وقد تداولها ٢٩ خليفة منهم وأولهم السلطان سليمان الأول تاسع الملوك العثمانيين وآخرهم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز ، فبهذا انطوت صحيفة آل عثمان من سجل التاريخ وأصبحت كأن لم تكن بمنطوق الآية الكريمة قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الغرالميامين . حصل الفراغ منه في منتصف شهر رجب الفرد سنة ١٣٧٧ هـ يقابلها ٥ شباط سنة ١٩٥٨ م .

((الولاة الذين حكموا بغداد))[1]

في عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود :

١ ـ الوالي مدحت باشا من سنة ١٢٨٦ هـ إلى سنة ١٢٨٩ هـ .

٢ ـ » محمد رؤوف باشا من سنة ١٢٨٩ هـ إلى سنة ١٢٩٠ هـ .

٣ ـ » رديف باشا من سنة ١٢٩٠ هـ إلى سنة ١٢٩٢ هـ .

٤ ـ » عبد الرحمن باشا من سنة ١٢٩٢ هـ إلى سنة ١٢٩٤ هـ .

في عهد السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد

٥ ـ الوالي ماكف باشا من سنة ١٢٩٤ هـ إلى سنة ١٢٩٥ هـ

في عهد السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد

٦ ـ الوالي قدري باشا من ١٢٩٥ هـ إلى السنة نفسها .

٧ ـ » عبد الرحمن باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٦ هـ إلى أواخر سنة ١٢٩٧ هـ .

٨ ـ » تقي الدين باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٨ هـ إلى سنة ١٣٠٤ هـ .

٩ ـ » الوالي مصطفى عاصم باشا من سنة ١٣٠٤هـ إلى سنة ١٣٠٧ هـ .

١٠ـ » الوالي سري باشا من سنة ١٣٠٧ هـ إلى أواخر سنة ١٣٠٨ هـ .

١١ـ » الحاج حسن باشا من سنة ١٣٠٩ هـ إلى سنة ١٣١٤ هـ .

١٢ـ » عطا باشا من سنة ١٣١٤ هـ إلى سنة ١٣١٧ هـ .

١٣ـ » نامق باشا الصغير من سنة ١٣١٧ هـ إلى سنة ١٣٢٠ هـ .

١٤ـ » أحمد فيضي باشا من سنة ١٣٢٠ هـ إلى سنة ١٣٢٢ هـ .

---

(١) كان والي بغداد يتقاضى راتباً شهرياً من الدرجة الاولى قدره ٢٠٠٠٠ قرش يساوي ٥٠ ليرة ذهب عثمانية .

١٥ ـ الوالي عبدالوهاب باشا من سنة ١٣٢٢ هـ إلى سنة ١٣٢٣ هـ .

١٦ ـ « مجيد بك من سنة ١٣٢٣ هـ إلى سنة ١٣٢٤ هـ وبقي بالوكالة .

١٧ ـ « حازم بك من سنة ١٣٢٥ هـ إلى السنة نفسها .

١٨ ـ « ناظم باشا لعدم اتفاقه مع رئيس الاصلاحات طلب النقل فنقل .

في عهد السلطان محمد رشاد بن السلطان عبد المجيد

١٩ ـ الوالي نجم الدين ملا من سنة ١٣٢٥ هـ إلى سنة ١٣٢٧ هـ واودعت بالوكالة إلى محمد فاضل باشا الداغستاني .

٢٠ ـ الوالي محمد شوكت باشا من سنة ١٣٢٧ هـ وفي السنة نفسها عزل وبقي بالوكالة

٢١ ـ الوالي الفريق ناظم باشا من سنة ١٣٢٨ هـ إلى سنة ١٣٢٩ هـ ثم عزل واودعت الوكالة إلى يوسف باشا .

٢٢ ـ الوالي جمال باشا من سنة ١٣٢٩ هـ إلى سنة ١٣٣٠ هـ .

٢٣ ـ « محمد زكي باشا من سنة ١٣٣٠ هـ إلى سنة ١٣٣١ هـ .

٢٤ ـ « حسين جلال بك من سنة ١٣٣١ هـ وفي السنة نفسها عزل واودعت بالوكالة إلى محمد فاضل باشا الداغستاني .

٢٥ ـ الوالي جاويد باشا من سنة ١٣٣٢ هـ إلى سنة ١٣٣٣ هـ ثم عزل واودعت بالوكالة إلى معاون الوالي رشيد بك .

٢٦ ـ الوالي سليمان نظيف بك من سنة ١٣٣٣ هـ إلى سنة ١٣٣٤ هـ .

٢٧ ـ الوالي نور الدين بك من سنة ١٣٣٤ هـ إلى السنة نفسها .

٢٨ ـ الوالي خليل باشا من سنة ١٣٣٤ هـ إلى سنة ١٣٣٥ هـ وبهذه السنة احتل الجيش البريطاني بغداد

المصادر

كتاب بلوغ الأرب : للعلامة السيد محمود شكري الآلوسي
« الروض الأزهر : للعلامة السيد مصطفى نور الدين الواعظ
« تاريخ العراق بين احتلالين للاستاذ عباس العزاوي
« أعلام العراق للاستاذ محمد بهجة الأثري
« لب الالباب للاستاذ السيد محمد صالح السهروردي
« تاريخ يهود العراق للاستاذ يوسف غنيمة
« قلب العراق للاستاذ أمين الريحاني
« العقد المفصل للسيد حيدر الحلي
« جغرافية العراق للاستاذ طه الهاشمي
« الأدب العصري للاستاذ روفائيل بطي
« ديوان السيد عبد الغفار الاخرس
« « عبد الباقي العمري
« « جميل صدقي الزهاوي
« « معروف الرصافي
« « عبد الرحمن البناء
مجلة لغة العرب للاستاذ أنستاس ماري الكرملي
« العلم للاستاذ هبة الدين الشهرستاني
« الرشاد للاستاذ رشيد الصفار
« اليقين الاستاذ السيد محمد الهاشمي
« للاستاذ أحمد عزت الاعظمي
« عصر السلطان عبدالحميد لأبي النصر
مذكرات الجنرال طاوسند

جريدة الزوراء للحكومة العثمانية
« الرقيب للاستاذ عبد اللطيف ثنيان
« الزهور للاستاذ رشيد الصفار
« صدى بابل للاستاذ داود صليوا
« الرياض للاستاذ سليمان الدخيل
« صدى الاسلام للاستاذ عطاء الله الخطيب
تاريخ التعليم في العراق للاستاذ عبدالرزاق الهلالي

لمؤلف هذا الكتاب

١ ـ كتاب بغداد القديمة (مطبوع)
٢ ـ « الطرب عند العرب (مطبوع)
٣ ـ « موجز الاغاني العراقية (مطبوع)
٤ ـ « المواهب في ذكرى عبد الوهاب النائب (مخطوط)
٥ ـ « قطف الأثمار مجموعة (مخطوط)
٦ ـ « نيل المرام في قاموس الأنغام (مخطوط)
٧ ـ « ديوان شعر (مخطوط)

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

من منشورات

المكتبة الأهلية

لصاحبها : شمس الدين الحيدري

بغداد ـ شارع المتنبي